



خزعل الماجدي

مثولوجيا الأردن القديم



تقديم: زليخة أبو ريشة

تراث ودراسات أردنية

مثولوجيا الأردن القديم

خزعل الماجدي

[دكتوراه تاريخ قديم]

تقديم : زليخة أبو ريشة

البرنامج الوطني للقراءة

مكتبة الأسرة الأردنية

سلسلة تصدرها وزارة الثقافة الأردنية، أطلقت لأول مرة في عام (2007)، وتم تطويرها في عام (2020) ضمن البرنامج الوطني للقراءة.

وتهدف (مكتبة الأسرة الأردنية) إلى نشر المعرفة وإثراء مصادر الثقافة وتنمية التفكير الناقد ورفع مستوى الوعي لدى الأسرة الأردنية من خلال توفير الكتاب بجودة عالية وبأسعار رمزية.

تضم السلسلة ستة حقول أساسية: دراسات أردنية، تراث عربي وإسلامي، آداب وفنون، فلسفة ومعارف عامة، علوم وتكنولوجيا، والأطفال.

مكتبة الأسرة الأردنية/ مهرجان القراءة للجميع الدورة (2020/14)

عنوان الكتاب : مثولوجيا الأردن القديم

المؤلف : خزعل الماجدي

الناشر: وزارة الثقافة
شارع صبحي القطب، المتفرع من شارع وصفي التل، بناية 20
هاتف: 5699054 / 5696218
فاكس: 5696598
ص.ب.6140 - عمان - الأردن Email : info@culture.gov.jo

• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2020/12/5115)

• (ردمك) ISBN 978-9957-94-616-6

الطباعة : مطبعة حلاوة النموذجية

الى

تايكي

وهي تضعني في دولاب أفلاكها

لأتعالى بها

فهرس المحتويات

الفصل الثالث : المثولوجيا الكنعانية

الفصل الرابع : المثولوجيا الأردنية

الفصل الخامس : المثولوجيا النبطية

الفصل السادس : المثولوجيا اليونانية الرومانية

فهرس الأشكال

فهارس أشكال بداية الفصول

★ ★ ★

فهرس الجداول

فهرس الخرائط

تقديم

تعتبر الأسطورة معيناً روحياً لا ينضب للشعر تحديداً ، والنبض العميق للتاريخ والثقافة والأديان . وبغض النظر عن أصلها الحكائي المقدس ، فانها صورة عليا من صور المخيلة البشرية . على أنها في نهوضها الأول كانت تغالب أسرار الخلق والتكوين ، وتجنح الكائنات بقدرات خوارق لتتربع هذه الكائنات على سدة الألوهية ، وتتصارع كما يتصارع الليل والنهار ، والحياة والموت ، والعالم العلوي والعالم السفلي والأنوار والأسرار ... وبذا فهي ذاكرة البشرية التي تحتفظ ببكارتها ، واللغة التي تستفز المشاعر الأولى وتؤجج مغامرة العقل وتبعث به في مسالك الشوق نحو المعرفة البدئية وفهم العالم وقوى الكون ونظام الطبيعة .

وقد استهوى علم الأسطورة أو المثولوجيا الشاعر الباحث الدكتور خزعل الماجدي - مؤلف هذا السفر الثمين - من حيث هو شاعر من العراق وجد في مثولوجيا الرافدين ثرا جمّاً يغني بنيانه المعرفي والشعري ، ويعطر وجدانه بسيل من عبق زمان موغل في القدم حملت ذاكرته الأسطورية جماليات لا حصر لتناهيها . وقد أتيح لي أن أطلع على مقالة مطولة كان الماجدي قد كتبها عن مثولوجيا الأردن ، ففتح عيني على حقل مهمل مفرطع مبعثر في طوايا المراجع العربية القليلة والمراجع الأجنبية . وجعلني التداول والنقاش أن تستهويني فكرة استدراج الباحث / المؤلف إلى تأليف كتاب عن مثولوجيا الأردن القديم ، خصوصاً أن الساحة الأكاديمية والثقافية الأردنية تخلو من متخصص أو متخصصة في حقل المثولوجيات . وكان مما عزز هذه الفكرة أن الماجدي قد أشار في مقالته وحديثه إلى خصوصيّة ما ، ينفرد بها الأردن القديم في مجال الأسطورة تميزه عن المثولوجيا الرافدينية ومثولوجيا كنعان في فلسطين والشام ، ناهيك عن غياب كتاب واحد يلم ما تناثر من أطراف مثولوجيا الأردن القديم ووضعها تحت نظر فاحص ، وهو ما قدمه هذا الكتاب .

ولأن الدراسة في تصورها الأول كانت للبحث في عمق الثقافي ، واستنطاق المكان

الساكن (الآثار) بما في طواياه من حنجرات صامتة ، واستنهاض روحه الحية لتخفق في فضائه وتعيد في عيوننا ملامح ما مضى ... فقد قادت حقائق مذهلة عن التاريخ القديم للأردن منذ العصور الحجرية إلى سبر منطقة العقائد تحديداً لإعادة رصف الفسيفساء الروحية والمثولوجية للأردن .. وهو ما فعله تماماً المؤلف .

وكما كانت الأسطورة مادة أولى للخلق الشعري عند أهل الشعر من الغرب والعرب ، كالسيّاب ممن دخلت نسيجهم الشعري ، كما صارت استلهاماً لعناصر بناء وتقنيات كما بدأ ذلك الشاعر الانجليزي وليم بليك وتبعه في ذلك شعراء خلقوا أساطيرهم الخاصة ، فإن التنقيب عميقاً في صحراء الأردن ووادي نهرها وأطراف الضفة الغربية سيهيل التراب بعيداً عن مخلوقات خارقة الجمال كانت تتحكم في حياة البشر في هذه المنطقة التي عبرتها وداهمتها سيول من ثقافات وحضارات شتىّ ، وأقوام مرّت وأقامت واحتدمت وتصارعت وتركت آثار هذا الاحتدام والصراع ساجياً في رمالها وبين حجارتها وتحت نور شمسها الحارق ، فقد آن لهذا المتوارى في عتمته أن ينكشف .. مثلما آن لعشتار الأردن (تايكي) أن تنهض في بخورها وطيبها وزينتها لتحرس أبواب الحظ والمصائر وتجنّح منها جناحاً وسعفةً تنشر في أفق اللغة خضرتها وبساتينها ، ليتلقّف نثار ما تنثر أهل الشعر والأدب ، وأهل الآثار والتاريخ ، وأهل الدراسات والأنثروبولوجيا ، وأهل دراسات الأديان ... وهي الفئات المستهدفة الأولى لهذا الكتاب .

إنّ الدكتور الماجدي لم ينفض الغبار عن الجانب الألوهي في تاريخ الأردن القديم فحسب ، بل اجتهد اجتهاداً مخلصاً في إقامة شبكة علاقات وتفسيرات - لعلّها في هذا السياق - تُقَدَّم للمرة الأولى ، متحملةً تبعة مغامرة عقلية جريئة لارتياد بابٍ في التأويل ليس من السهل عبوره . واذ كسا الماجدي هيكل الأشياء أثوابها وبث في رميمها روحها - وهو أبعد ما يفعله أهل التاريخ - فلا بدّ أن أتحفَّظ على اندفاعاته في التأويل اللغوي الذي يذكّرنا بمنهج الدكتور كمال الصليبي في كتابه «التوراة جاءت من الجزيرة العربية» ...

هذا التأويل الذي يمكن أن يغرّر بالبحث والباحث ويقودهما إلى مناطق نائية عن الحقيقة التاريخية ، أو إلى مناطق التشكك به ..

ومع ذلك ، فانه ليبدو لي أنّ الجهد الذي بذله الباحث في فترة زمنية ضاغطة وقياسية ، يعتبر اختباراً حقيقياً لمقدرة الباحث على تقديم دراسة فنية مشعّة بآرائه ، حاملةً التاريخ بكف ، ووصوصات الآلهة القديمة وعوالمها الخارقة بالكف الأخرى .. بالإضافة الى رصانة وأمانة علمية وحيوية ذهنية وروحية قلّ اجتماعها في بحث متصل بالتاريخ القديم ..

وبذلك ، فإن لنا أن نعتبر هذا الكتاب إنجازاً أول في المكتبة العربية على الأقل ، ومن الكتب العربية القليلة التي تتناول المثولوجيا بصرامة شروط البحث العلمي وطراوة لغة الشعر ، بما لا يسيء إلى الفحوى ولا الحقائق ولا اللغة العلمية المكثفة .

وإني لفخورة أن أكون سبباً في تقديم هذا المشروع إلى وزارة السياحة والآثار وأن اتابعه في مراحله المتعددة حتى يرى النور .

وإني لعلى يقين أن الوزارة بدورها قد ميّزت ما دعمت ، وانها أدركت أهمية أن تتبنى كتاباً جليلاً يخدم بلا شك أهدافها ، ويسعى الى تنوير صورة الأردن حضارياً ، وهو ما فعله بإخلاص وحياد هذا الباحث الشاب .

زليخة أبو ريشة
عمان/ أيلول ١٩٩٥

مقدمة

لم تعد التعميمات السياسية والتأريخية والدينية التي توصف بها منطقة الشام ، تصلح لتفسير المشهد الحضاري لهذه المنطقة ، وصار من المناسب تأشير ما هو عام ومشترك فيها عن ماهو خاص محلي يوجد في هذه المنطقة ولا يوجد في تلك . ويبدو لنا أنه من المؤكد اننا اذا أخذنا بهذه الفكرة فسنجد الكثير مما هو جديد وخاص اندرج ذات يوم في النظرة العامة لتراث هذه المنطقة .

لقد قادني اطلاعي على التراث الروحي والحضاري لمنطقة الشام الى التقاط مادةٍ خاصة للكثير من مدنــه واصقاعه وقطاعاته .. حتي اخترت البداية بالاردن ، فوجدت ان هذا البلد لم يحظ بالاهتمام اللازم للبحث في تراثه الخاص ، واخترت بحكم اختصاصي في البحث المثولوجي جمع المادة المثولوجية التي تخصّ الاردن تحديداً ، والاردن ليس منطقة عبور الى الشام أو الجزيرة أو مصر أو العراق ، وليس تابعاً اقليمياً لمناطق حوله ... فقد شهد منذ أقدم العصور تجمعات بشرية واسعة ثم ظهرت فيه أنظمة سياسية واجتماعية ودينية خاصة به ، فالعمونيون والمؤابيون والادميون كانو أقواماً اردنية خالصة نزحت ، في البداية كغيرها ، من مناطق هنا وهناك الا أنها أنشأت كيانات وثقافات خاصة متميزة عن غيرها . ثم انها خاضت مع اليهود اكبر صراع سياسي وحضاري على الاطلاق في منطقة الشام ، لأنها كانت تتاخم وجودهم وممالكهم في فلسطين .. ويجب اعادة النظر جدياً في هذه المسألة حيث تحفل التوراة والوثائق التاريخية بأخبار مسهبة عن احتكاك طويل بين الممالك العبرية والممالك الاردنية .. وسنرى كيف أن اليهود خاضوا في التراث الديني لهذه الممالك وتأثروا به وكيف أنهم كانوا يتوعدونها بالزوال والخراب فيما بعد .

وفي الأردن تفتحت المثولوجيا النبطية الى أقصاها حيث كانت البتراء عاصمة لمملكتهم الواسعة وكاد هؤلاء الأنباط يأخذون دوراً حضارياً عظيماً في المنطقة والعالم لكن الرومان انتبهوا لخطورة دورهم فقضوا على مملكتهم ، لكنهم ، من المؤكد ، كانوا تقدمةً لأقوام قادمة

بعدهم هم العرب الذين امتلكوا أخطر ما كان يجب أن يمتلك في ذلك الوقت الذي يعاني من فراغٍ روحي وديني وهو الرسالة الدينية الممثلة بالاسلام .

لقد حاولت في كتابي هذا ان اوصف المشهد المثولوجي للاردن القديم منذ العصور الحجرية وحتى مجيء الاسلام . وقد كان مفتاح دخولي هذا المشهد هو فكرة تقسيم هذه المثولوجيا الى طبقات وعدم النظر المسبق اليها على أنها يجب أن تكون متجانسة واحدة ناميةً مطّردة . وكانت اولى هذه الطبقات وأعمقها تكمن في قاع العصور الحجرية القديمة (الباليوليت والميزوليت والنيوليت) حيث حاولت أن استعين بالكشوفات الآثارية لترميم مشهد مثولوجي محدد . ثم وجدت في طبقة المثولوجيا الكنعانية البذرة الأم لكل مناطق الشام ، وسلكت مع الباحثين مسلكهم في الحديث عن نصوص اوغاريت (وهي النصوص القديمة الوحيدة للمثولوجيا الكنعانية) باعتبارها تصلح لأن تكون مثولوجيا مناطق الشام كلها سوريا وفلسطين ولبنان والاردن .

ثم تناولتُ خصوصية الطبقة المثولوجية الثالثة (العمونية والمؤابية والأدومية) وصلتها بالمثولوجيا الكنعانية الأم وبمثولوجيات مجاورة لها وقد حاولت أن اعيد بناء هذه الطبقة من خلال اللقى والآثار والمعابد والطقوس والمقارنات ، متمنياً أن نرى ذلك اليوم الذي نعثر فيه على نصوص خاصة بها لنسده بها ما نقص أو غاب .

أما طبقة المثولوجيا النبطية فقد تابعت جذورها الصحراوية وعقدتُ صلةً بينها وبين مثولوجيات الأقوام المحيطة بها هناك ، ثم وصفتُ تحولاتها الى المرحلة الزراعية المستقرة ثم انفتاحها على المثولوجيا اليونانية والرومانية حيث نشهد أفضل نموذج للاختلاط الحضاري الروحي بين عقائد محلية وكيف صهروا في عقائدهم كل هذا المحيط المثولوجي الذي يحفّ بهم .

ثم انصرفت في طبقة المثولوجيا اليونانية الرومانية الى وصف المظهر المثولوجي اليوناني ثم الروماني في اصوله (اليونان وروما) وحصرت بعد ذلك ما وفد منه الى أرض الاردن عن

طريق التعرف الى أسماء الآلهة ومعابدها وتماثيلها ولقاها والمسكوكات النقدية فاحصيت ما يقرب من ستة عشر الهاً يونانياً رومانياً لقوا أكثر من غيرهم عنايةً خاصةً على أرض الاردن وبالتالي فقد دارت اساطيرهم في أفواه الناس .. لأن عبادتهم كانت غير مقتصرة على الجنود والحكام اليونان والرومان بل تعبّدَهُم الناس وخلطوهم بما ورثوه من عقائد .. وحاولتُ التركيز على خصوصية هذا المزج وعززت ذلك بصورة كثيره من الاصول اليونانية والرومانية ومن الاردن .

أما مثولوجيا الطبقة السادسة (المسيحية) فقد اهملتُ الحديث عن المثولوجيا المسيحية بعامة ، لأنها ليست من اختصاص هذا الكتاب وركزتُ على ما أسميته بالمثولوجيا التاريخية للتوراة والتي شكلت خلفيةً للصورة الكتابية (من الكتاب المقدس) عن الاردن .. ثم تناولتُ خصوصيات اردنية في هذا المجال مثل (لوط وعيسو وبلعام ويحيى) .

وكان الاسينيون القمرانيون موضع اهتمامي لثلاثة أسباب : الأول انعزالهم عن المركز اللاهوتي اليهودي ورفضهم له ولجوؤهم الى التخوم علي البحر الميت باتجاه الاردن . والثاني الشحنة المثولوجية في عقائدهم وصلتهم بالنبي الاردني يحيى ، والثالث ارتباط مخطوطات البحر الميت بالاردن في الكشف عنها والتعرف عليها والاحتفاء والعناية بها .

ثم تحدثت عن تسرب الأساطير اليونانية والرومانية في نسيج الدين المسيحي ممثلاً بما ظهر في فسيفساء الكنائس الاردنية . وهذا يعني انني لم اتناول الجوهر المثولوجي للديانة المسيحية بل تناولتُ العرض أو المظهر المثولوجي لها في الاردن تحديداً ، وكنت قبلها قد اتكأت على التراث التوراتي لاعطي مسوغاً لصورة كتابية للاردن القديم .

ورغم اني ادرك عميق الادراك ان كل فصل من فصول هذا الكتاب يمكن أن يكون كتاباً منفصلاً ، اذا اسهبنا في التفاصيل ، الاّ اني وجدت انه من المناسب وضع صورةٍ بانورامية أولية للمثولوجيا الاردنية القديمة ثم تأتي بعد ذلك مهمات التحليل والمقارنة والتفصيل ، على اني لم اترك فرصة لتحليل خاص او عام الا وطرقتها فقد كانت واحدةً من غاياتي وصف الصلة بين هذه الطبقات ومسك لخيط السري بينها .. وقد حاولت .

لقد سعيتُ أيضاً أن اعزز كل ما تحدثتُ عنه بالصور والخرائط والجداول لايماني المطلق بأن الدليل الأركيولوجي والفني والتوضيحي أمرٌ لا بد منه في كتاب من هذا النوع ، اذا لا يمكننا أن نتحدث عنه دون شواهد أو أدلة مصورة .

وكذلك رأيت أن وجود مقدمة تعريفية بالمثولوجيا والأسطورة كانت ضرورية لأن يدخل القارىء بيسر الى متن يعج بالمسميات والطقوس لكي يفرز الاسطورة وعلمها عن غيرهما .

ومن المؤكد اني بالقدر الذي وضعتُ فيه هذه الكتاب في منطقة اختصاص علمي معروف هو (حقل المثولوجيا) فقد حاولتُ بالقدر نفسه أن اقدمه للقارى ميسراً جهد الامكان . ولكني اعول فيما اعول عليه أن يكون هذا الكتاب مادة ميسرة بين أيدي المثقفين والادباء والكتّاب وفي الاردن بشكل خاص ليطلعوا على هذا المشهد الفجري الاسطوري لنهار هذا البلد الآمن ، وليحاول أن ينشط فيهم احساسهم بالمكان وتلمسهم لزمانٍ آفل ، ولتاريخ روح مرفرف فوقهما .

ولا بد لي أن انوه بانني قد رأيت أن هذا الكتاب فتح لي باب امكانية البحث في مثولوجيات منطقة الشام كلها السورية واللبنانية والفلسطينية كلاً على حدة لكي استطيع تقديم ما يمكن أن نسميه بصورة متخصصة بعيدة عن الصورة التعميمية التي درج عليها الكثير من الباحثين .

وأخيراً .. لم يكن بالامكان لهذا الكتاب أن يرى النور لولا جهود كثيرة تضافرت معي وذللت أمامي أكبر الصعوبات ، ولا بد لي من ذكرها وتقديم الشكر العميق لها .. واضع في مقدمة هؤلاء معالي وزير السياحة والاثار في الاردن الاستاذ عبد الاله الخطيب الذي دعم مشروع البحث في هذا الكتاب وتحمس له وذلل كل الصعوبات التي صادفتني ، وكذلك عطوفة الأمين العام لوزارة السياحة والاثار الاستاذ اكرم مصاروة الذي سعى لتنفيذ كل متطلبات البحث والدراسة ، ولن انسى ما قدمته لي الشاعرة والكاتبة الاردنية زليخة أبو

ريشة من عون ومساعدة وتسهيلات ادارية من خلال كونها مديرة لهذا المشروع وما أبدته لي من ملاحظات وأفكار ساهمت في بلورة هذا الكتاب وتبادل الرأي بشأنه في أدق التفاصيل وما وفرته لي من مراجع هامة من مكتبتها أثرت البحث وعززته . كذلك لا بد من ان اتقدم بالشكر الي الدكتور غازي بيشه مدير عام دائرة الاثار العامة والسيدة عائدة نغوي رئيسة قسم التوعية الاثرية والارشيف في دائرة الاثار العامة والى السيدات راوية نبيل وسلمى مهيار وفاطمة التل ودينا أيوب في مكتبة دائرة الآثار العامة والسيدة ايمان عويس في متحف جرش ، ولا يفوتني أن أوجه عميق شكري للمصورين زكريا العطيات في وزارة السياحة والاثار وسالم الدعجة في دائرة الاثار العامة لما أتحفاني به من صور ميدانية وعن المراجع والسلايدات الموجودة في دائرة الاثار .

والله الموفـــق

د . خزعل الماجدي

أيلول / ١٩٩٥



الفصل الأول

مقدمة في المثولوجيا



ننْخُرساج : الإلهة السومرية الأم - أقدم عشتار في العصور التاريخية ويعني اسمها الهة الجبل ، وتدعى كذلك ننماخ «الإلهة الكبيرة» وهي مصدر المثولوجيا والأساطير . وقد مثلتها لاحقاً الالهة عشتار خير تمثيل



ما المثولوجيا ؟

المثولوجيا (Mythology) علم دراسة الأساطير ، ويتكون هذا المصطلح من مقطعين : الأول هو مث (Myth) المشتق من الجذر اليوناني (Muthas) ويعني قصة أو حكاية أو من الجذر ميثوس (Mythos) ويعني قصة غير واقعية ، والثاني هو (Logy) ويعني العلم أو الدراسة العلمية والمشتق من الجذر لوغوس (Logos) الذي كان يشير في الفلسفة الى المبدأ العقلي .

بذلك تكون المثولوجيا هي الدراسة العلمية للأساطير وفحصها وفق القواعد العلمية المتبعة "وقد كان أفلاطون أول من استعمل تعبير (Mythologia) للدلالة على فن رواية القصص ، وبشكل خاص ذلك النوع الذي ندعوه اليوم بالأساطير ، ومنه جاء تعبير (Mythology) المستخدم في اللغات الأوروبية الحديثة ، أمّا في لغات المشرق القديم فلا نعثر على مصطلح خاص ميّز به أهل تلك الحضارات الحكاية الأسطورية عن غيرها"(١) ومن المؤكد أن (فن رواية القصص) الذي حدده إفلاطون للمثولوجيا ليس هو (علم دراسة الأساطير) فالأول يكاد يدخل في الإطار الأدبي وتحديداً في فن القصة والرواية ، أما الثاني فهو علم معاصر لا يختلف عن بقية العلوم الانسانية ويعني بدراسة شريحة تراثية اسمها (الأسطورة) والتي سنحاول تعريفها وتمييزها عن مصطلحات مجاورة لها ، وما يهمنا الآن هو تسليط الضوء على المثولوجيا كعلم ، وأول ما يتبادر الى أذهاننا هو موقع هذا العلم في العلوم الإنسانية الحديثة وصلته بها .

يرى الكثير من الباحثين أن المثولوجيا فرعٌ من فروع الأنثروبولوجيا (علم الإناسة أو علم دراسة الإنسان ثقافياً) ، ولكن موقعها هذا لا يجعلها مستقرة كلياً ، فقد تنازعت هذا العلم حقول أخرى لعلّ أهمها علم دراسة الأديان وعلم الفولكلور .

يقوم علم دراسة الأديان على مبادئ عامة تتناول كل ما يتعلق بديانة محددة أو مجموعة أديان ، العقائد والنصوص المقدسة والطقوس والأساطير وسِيَر الأعلام ... الخ ، وبذلك تندرج المثولوجيا كجزءٍ من أجزاء هذا العلم ، ولكننا نرى أن المثولوجيا علم قائم بذاته يتصل بعلم دراسة الأديان ولكنه لا يغرق فيه ، وهو يمد أذرعاً ومناطق مشتركة مع

الكثير من العلوم الإنسانية الحديثة كالأنثروبولوجيا والفولكلور وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها ولكنه ينفرد بخصائص معينة تجعله حقلاً علمياً مميزاً .

يكاد الفولكلور يُدخل المثولوجيا في ذات التعميم الذي يدخله فيها علم دراسة الأديان أو الأنثروبولوجيا ، إذ تظهر دراسة الأساطير أو جمعها ضمن متن كبير في هذا العلم يتناول المرويات الفولوكلورية من أساطير وخرافات وحكايات شعبية وملاحم وقصص حيوان وغيرها . إن الفولكلور يعني تحديداً جمع ودراسة "مايصدر عن الشعب من إبداع ، وما يمارسه من شعائر ومراسيم وما يصدر عنه من عادات وتقاليد ، أو بعبارة أخرى يدل على المادة الشعبية التي أصبحت موضوعاً لعلم قائم بذاته هو علم الفولكلور ، الذي كاد يصبح له مجال محدد ، ومنهج متفق عليه ومصطلحات على شيء من الدقة ، وهو مع استقلاله فرع مهم من فروع العلوم الإنسانية ، يتبادل وإياها النتاج والأحكام ، ويفيد منها كما تفيده في مجال البحث والتمييز والتصنيف والعرض"[٢] .

إن علوم دراسة الأديان والأنثروبولوجيا والفولكلور علوم ذات مدىً واسع ومجالات كثيرة في حين يتخصص علم دراسة الأساطير بموروث محدد وله مواصفات محددة سنأتي على عرضها .

لقد تطورت المثولوجيا كثيراً خلال القرن التاسع عشر وظهرت منذ نهاية هذا القرن مدارس متعددة في هذا العلم تنطلق كل مدرسة من طريقة في دراسة وتفسير الأساطير والبحث في أسبابها وبواعثها وتشكلها ومقارنتها بأساطير أخرى ، ولقد اختلفت آليات الدرس في هذه الاتجاهات المختلفة وأصبح لجميع هذه الاتجاهات من الإنجازات والتوصلات ما يوجب علينا ضرورة الاطلاع السريع عليها ومعرفة المنطلقات والنتائج التي توصلت اليها .. وهذا ما سنعرفه بعجالة بعد أن نتعرف على معنى الأسطورة ونحدد ما هيتها فهي موضوع المثولوجيا وجوهر بحثه.

ما الأسطورة ؟

الأسطورة في أبسط تعريف لها « حكاية مقدسة » ، حيث يرى فراس السوّاح في كتابه (دين الانسان) أن الأسطورة واحدة من ثلاثة مكونات أساسية لأي دين ، فالدين يتكون حسب رأيه من ثلاث مكونات هي : المعتقد والطقس والأسطورة . ويسعى السوّاح الى وضع شروط أو صفات عامة تتصف بها الأسطورة دون غيرها وهي كما يلي ملخصة[٢] :

١- **الأسطورة** - شكل من أشكال الأدب الرفيع ، فهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي .

٢ - **الأسطورة** - قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تناولتها الأجيال شفاهياً وكتابة .

٣ - **الأسطورة** - لاتشير في جوهرها إلى زمنٍ جرى فيه الحدث وانتهى بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى .

٤ - **الأسطورة** - ذات موضوعات شمولية كبرى كالخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر ... الخ

٥ - **الأسطورة** - يكون محورها الآلهة وأنصاف الآلهة ، فإذا ظهر الانسان على مسرح الأحداث كان دوره مكملاً لا رئيسياً .

٦ - **الأسطورة** - لا مؤلف لها لأنها ليست نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه ، بل هي ظاهرة جمعية وقد يعيد الأفراد صياغتها وفق صنعةٍ أدبية .

٧ - **الأسطورة** - تتمتع بقدسية ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في عصرها .

٨ - **الأسطورة** - مربوطة بنظام ديني معين فإذا انهار هذا النظام تحولت الى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية ، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية .

ويمكننا أن نوسع التعريف المبسط للأسطورة على أنها "حكاية مقدسة" في ضوء هذه النقاط الى تعريف أشمل ، فالأسطورة هي (قصة تقليدية ثابتة ومقدسة مربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد بل الى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى ، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة ، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي) .

إن الصفات المذكورة سابقاً تفسر وتحدد الأسطورة بدقة عن ماقد يشبهها من حكايات وقصص ، فقد سببت الكثير من التعميمات خلط الأسطورة بأنماط أدبية أو دينية أو شعبية كثيرة ، فضاعت الملامح الخاصة والصفات المحددة لها .

إن جميع الأديان (البدائية منها والقومية والشمولية) تحتفظ بأساطير خاصة بها إذ لا يمكن الظهور والنمو وزيادة التركيب والتعقيد دون أن يخلق معه أساطيره الخاصة به . وقد يقوم البعض لأسباب أخلاقية أو عقائدية بحذف الأسطورة من بنية الدين على اعتبار أنها حكايات لا معقولة وتقوم على الخيال لا على الحقائق الدينية المعروفة .. ونرى أن مثل هذه الآراء تنطلق من نظرة ضيقة معدّة سلفاً ولها جذور في التاريخ القديم "فقد اعترض بعض فلاسفة الإغريق على مارواه الشاعر هوميروس في الإلياذة والأوديسا من خوارق الأعمال المنسوبة للآلهة والأبطال ، واعتبروها تهاويل خيال ووهم لاعلاقة له بعالم الواقع على الإطلاق ، وأبى اكزنفون أن يقتنع بخلود الآلهة الذي قال به هوميروس وهزيود ، واعترض هذا الفيلسوف بصفة خاصة على تشبيه الآلهة بالناس ، واحتج بأنه لو اتيح للخيل والأنعام والوحوش القدرة على الرسم ، لصورت الآلهة على مثالها"[٤] ، لكن هناك من نظر الى الأسطورة ، قديماً وحديثاً ، باعتبارها واحدة من أعظم إنجازات العقل البشري فهي خزانته منذ أقدم العصور إذ تضمنت العلم البدئي الذي جعلت الإنسان يتأمل الكون ومعناه وغايته وما وراءه ، وتضمنت الأدب الأول الذي عبر به الانسان عن مشاعره الأولى بمجازات واستعارات جزئية وكلية ، ولم يصف ما يراه كما هو بل سمح لخياله صياغة ما يقصه بطريقة جذابة ومشوقة ، كذلك فقد تضمنت الأسطورة الروح الديني محكياً .

هكذا اجتمعت في الاسطورة أسس (العلم والفلسفة والأدب والدين) في صورتها

الأولى الأشد قرباً الى الناس وقتذاك ، فهي إذن صفحة من صفحات العقل البكر للإنسان والتي تخفى نضاراته وطفولته وأولى تشوقاته لفهم وتفسير ما حوله .

رأي جديد في أصل مصطلح (أسطورة)

بعد أن تعرفنا على الأسطورة - ما هيةً ومعنى - لا بد لنا من البحث في أصل مصطلح (أسطورة) في اللغتين العربية واللاتينية .

إن الجـذر اللغـوي لكلمـة (أسطـورة) هو (س . ط . ر) ونقـرأ في لسـان العـرب أن "السَطْرُ والسطَرُ هـو الصـف مـن الكتـاب والشجـر والنخـل وهـو الخـط والكتـابـة وواحـد من الأساطيـر أسطـورة وسطـر يسطـر اذ كتـب ، قـال الله تعـالى : ﴿ **ن والقلم ومـا يسطرون**﴾ ، أي ومـا تكتب الملائكة ، وقد سطر الكتاب يسطره سطراً ، والأساطير أحاديث لا نظام لها واحدتها أسطار وإسطارة بالكسر ، وأسطير واسطيرة وأسطور وأسطورة بالضم يقال سطَر فلان علينا يسطرُ اذا جاء بأحاديث تشبه الباطل . يقال : وهو يسطرُ ما لا أصل له ، أي يؤلف"[٥] وهذا يعني بأن المعنى اللغوي للأسطورة يؤكد أن الأسطورة هي أحاديث وقصص وتأليفات غير معقولة .

أما كلمة (Myth) اللاتينية أو اليونانية الأصل فقد عرفنا أنها تعني الحكاية ومعناها الحرفي (ألفاظ) أو (كلمات) وربما يعنى ذلك ضمناً الحكاية الشفاهية .

لقد سلَم الباحثون بالتركيب اللفظي لكلمة (أسطورة) العربية ، وبعضهم سلَم بمعناها القاموسي ، ولم يتم البحث في اغوار هذه الكلمة . وسأحاول أن أطرح رأياً جديداً في اشتقاق هذه الكلمة وجذرها اللغوي فأقول أن هذه الكلمة مشتقة تحديداً من اسم آلهة الحب والجمال والخصوبة (عشتار) فكلمة عشتار البابلية الأصل مرت بأوساط لغوية وثقافية متعدّدة حتى استقرت بصيغة (أسطورة) في اللغة العربية وقد يكون تحول الكلمة جرى وفق سياق مشابه لهذا السياق :

(عشتار ← اشتار ← اشطار ← اسطار ← اسطارة ← أسطورة)

لقد كانت (عشتار) أعظم الإلهات اللائي ظهرن في العالم القديم . وقد احتلت في العقائد القديمة مساحة واسعة من الحضور ، بل لقد شكل جذرها الألوهي المرتبط بـ(الإلهة الأم) التي عبدها الإنسان منذ العصور الحجرية وجداناً نابضاً عميقاً للإنسان فارتبطت معها اولى تفتحات الروح الانساني لعبادة الإله . وأصبحت عشتار رمزاً لكل أسطورة وقد انتشرت هذه الآلهة في العالم كله بأسماء مختلفة .

يذكر القاموس الآشوري ان اسم عشتار في الأكدية يعني (الآلهة) بصورة عامة وتعني أيضاً المعبودة الشخصية أو تمثالها والتي كان يتخذ منها الفرد قديماً وسيلة بينه وبين الآلهة الأخرى ، ومن هذا الاسم اشتقت صفة (المقدسة) التي تدل على عشتار أو ممثلاتها العشتاريات من الكاهنات .



شكل (١) ؛ عشتار التي ترضع العالم .. مصدر الاسطورة

إن قصص عشتار وحكاياتها التي كانت محور قصص وأساطير العالم القديم أصبحت تدل على الأسطورة بكاملها ، وأصبح معنى الأسطورة كامناً في الأعماق اللغوية القديمة لهذه الكلمة وهو (الحكايا المقدسة) أي (حكاية الآلهة) وهذا المعنى يتطابق مع التعريف الحديث للأسطورة .

إذا أردنا أن نمضي أبعد من هذا فيمكننا أن نعود الى اللغة اللاتينية والى الانجليزية لنجد أن مقطع (Astr) و (Astro) آلهة العدالة وهي شكل من أشكال إلهات الحب والجمال .

ومن عشتار ظهرت كلمة (Star) بالإنجليزية بمعنى نجمة لأن عشتار كان يرمز أو يشار إليها بنجمة الصباح أو نجمة العشاء ، وهي كوكب (الزهرة) في أغلب الأساطير والديانات القديمة .

يتبع ذلك أن مصطلح علم التنجيم (Astrology) وهو علم سحري شعبي وعلم الفلك (Astronomy) وهو علم مراقبة النجوم ووصفها لها علاقة بما ذهبنا اليه ، أي أنهما علمان عشتاريان ، وكذلك اشتقاق كلمة اسطرلاب (Astrolabe) ، وهو جهاز تسجيل حركة الكواكب والنجوم ، يعني لغوياً (مرآة عشتار) أي (مرآة النجوم) وهو هكذا فعلاً .

هل نمضي أبعد فنقول أن كلمة (Story) أي القصة لها علاقة اشتقاقية بالآلهة عشتار ، ونميل الى أنها هكذا فعلاً ، فعشتار عرفت بقصصها ، وأن كلمة تاريخ بالانجليزية (History) تتكون من مقطعين في الأساس هما (Story) و (Hi) ومقطع (Hi) تعبير يراد به لفت الانتباه وقد يكون مستمداً من أصول شرقية ليعني أداة التعريف و (Story) قصة فيكون التأريخ في معناه اللغوي البعيد رواية قصة أو حكاية ، وتظهر عشتار هنا أيضاً تنبض في أعماق (التاريخ) .

ويمكننا أن نعدد اشتقاقات اخرى ولكننا سنكتفي بذلك لندلل على أن كلمة (عشتار) تقلبت في حضارات وشعوب وغاصت في ألسن ولغات وتبدل شكلها الصوتي الصرفي ولكنها بقيت تدلّ على ماضيها البعيد .

فرق الأسطورة عن الخرافة والحكاية الشعبية والملحمة

يخلط الكثيرون بين الأسطورة وما قد يشابهها من فنون حكائية محيطة بها مثل (الخرافة والحكاية الشعبية والملحمة) ، ولذلك نرى ضرورة التفريق بين هذه الفنون وبين الأسطورة .

الفرق بين الاسطورة والخرافة هو اعتماد الخرافة على أبطال رئيسيين من البشر أو الجن في حين يكون أبطال الأسطورة الآلهة ويظهر البشر بشكل عرضي ، كما أن الخرافة تكون دائماً مثقلة بالخوارق والمبالغات في حين تعبّر الأسطورة عن تساوق عميق في حركة الآلهة والطبيعة .

أما الحكاية الشعبية فتفرق عن الأسطورة بكونها حكاية عادية لا دور للآلهة فيها ولا تحمل طابعاً مقدساً وتخلو من الموضوعات الكبرى المصيرية وتعنى في الغالب بالأمور اليومية والدنيوية .

أما الملحمة فهي حكاية طويلة تتميز بالاسترسال والإسهاب وتنظم في الغالب شعراً ، ويكون البطل الملحمي انساناً خارقاً بعكس البطل الأسطوري الذي هو إله أو شبه إله ، وهناك نوعان من الملاحم "الملحمة االشعبية Folk Epic التي ينسب تأليفها إلى الجماعة أكثر مما ينسب الى فرد بعينه ، وهناك الملحمة الفنية Art Epic أو الأدبية ، وهي التي تنسب الى مؤلف معروف . والضرب الأخير يحاكي الأول ، وتبدو فيه ملامح شخصية الأديب الذي أبدعها أما الضرب الأول فتقليدي ، ويقتطع من التاريخ ، وإن جنح في عالم الخيال . والشخصية التي اشتهرت بتأليف أحدى ملاحمه غامضة ، ولا يستطيع تأريخ الأدب أو الحضارة أن يميز لها واقعاً محدداً . ودارسو الأدب المقارن يمثلون للضرب الأول بأشهر ملحمة وهي إلياذة هوميروس ، يستشهدون على الضرب الثاني بانيادة فرجيل"(٦) .

ويمكننا على ضوء ما سبق وضع هذا الجدول المبسط للتفريق بين الأنواع الأربعة المتقاربة :

النـــوع	البطـــل	نوع التأليف	موقعهـــا	أهم ميزاتها	نموذج أو مثال
الأسطـورة	إله أو شبه إله	شعري قصصي	دينيـــــة	مقدسة تتحدث عن الموضوعات الكبرى كالتكوين والولادة والموت	أسطورة الخليقة البابلية
الخرافـــة	جن او انســـان	ســـــردي	خياليــــة	مثقلة بالخوارق والمبالغات	حكايات الغول والسعلاة
الحكايا الشعبية	إنســـــان	ســـــردي	بسيطة متداولة	تعني بالأمور اليومية والدنيوية	حكايات ألف ليلة وليلة
الملحمـــة	إنســـــان	شعري قصصي	دنيوية قومية تجسد أبطال الشعوب	تتميز بالاسهاب والطول وهي نوعان : ١) الشعبية تؤلفها الجماعة ٢) الأدبية يؤلفها الأدباء	كلكامش البابلية والالياذة والادويسة الانياذة لفرجيل

جدول (١) : الفرق بين الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية والملحمة



شكل (٢) : اسطورة الخليقة البابلية - الآلهة مع الآلهة - الآله مردوخ يقاتل الالهة تياميت



شكل (٣) : ملحمة الإلياذة - البشر مع الآلهة / أم أخيل (ثيتس) تستدر عطف الاله زيوس من أجل أبنها

مدارس المثولوجيا

هناك مدارس واتجاهات متعددة سلكها علم دراسة الأساطير ، وهي تختلف بحسب المنطلقات والدوافع التي أراد دعاتها تفسير الأساطير وتحليله ، ومن هنا اختلفت النتائج التي توصلت اليها كل مدرسة وأصبح لكل مدرسة واتجاه نسيجه الخاص الذي يميزه :

١) **المدرسة النفسية :** وهي مدرسة تضم اتجاهات عدة ، وكان رائدها سيجموند فرويد الذي كان يرى تشابهاً كبيراً بين الحلم والأسطورة وخصوصاً في آليات تكونها ورموزها ، فالحلم أسطورة فردية يصنعها الإنسان في نومه عندما يتحرر لا شعوره ويطفوا على السطح والأسطورة كذلك ، ولذلك فإن الحلم والأسطورة مشحونان بالرموز ، وعلى دارس الأسطورة القيام بذات الدور الذي يقوم به المحلل النفسي للحلم ، ولأن الحلم يكشف عن أعماق الفرد الحالم ورغباته اللاشعورية ومكبوتاته ..

كذلك تقدم الأسطورة (باعتبارها مدونة حلمية من الماضي) في الكشف عن أعماق الذي أنتجها ودوافعه اللاشعورية ومكبوتاته وقواه العميقة .

يطرح فرويد هذه الأفكار في مجموعة من كتبه التي بحثت في هذا المعنى وأهمها (تفسير الأحلام) و (الطوطم والتابو) .أما (يونغ) الذي جعل الأسطورة ركناً أساسياً من أركان مدرسته النفسية فيختلف عن استاذه (فرويد) في أن الأسطورة تناظر الحلم الجماعي اللاشعوري وليس الحلم الفردي ، ولذلك يرى (يونغ) في الأساطير نصوصاً حلمية للمجتمعات القديمة ويقوم بتحليلها كمحلل نفسي للكشف عن الرموز الإنسانية التي مازالت تلعب دوراً خفياً في تحريك حياة الإنسان الفرد أو الجماعة على السواء .

أما (أريك فروم) فيرى أن الأسطورة هي صراع بين النظام الأموي والنظام الأبوي . ويقوم في كتابه (اللغة المنسية) بتحليل بعض الأساطير وفق هذا المنهج ، فيحلل أسطورة الخليقة البابلية مثلاً ليستنتج بعد ذلك بأن "الأسطورة البابلية تشير بوضوح شديد الى النزاع القائم بين مبدأ الأبيّة ومبدأ الأمية في التنظيم المجتمعي والتنظيم الديني . إذ أن الأبناء الذكور قد انقلبو هنا على شريعة الأم العظيمة . ولكن كيف تسنى لهم أن ينتصروا رغم تفوق النساء عليهم ؟ وذلك أن النساء في النهاية ، هن اللواتي يتمتعن بملكة الخلق الطبيعي ، نظراً لقدرتهن على الحبل . بينما نجد الرجال ، في هذا المجال عقيمين"[٧] . وهكذا ينظر الى الأساطير على انها نصوص صراع نفسي بين الأم والأب في أعماق الكائن البشري أو الجماعة البشرية .

٢) **المدرسة الأنثروبولجية** : يهتم الانثروبولوجيون عموماً باقامة علاقة بين الأساطير والرموز في المجتمعات البدائية ، ولنأخذ المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة وهو (ادوارد بيرنت تايلور) الذي عرض نظريته في كتابيه الرئيسسين (أبحاث في التأريخ المبكر للجنس البشري ١٨٦٥) و (الثقافة البدائية ١٨٧١) حيث يرى في مجمل ما يراه « أن الشعوب البدائية تتمتع في رأيه بقدرة خاصة تكاد تكون نوعاً من الملكة على صنع الأساطير ، وذلك نتيجة لنظرتهم العامة الى الكون وايمانهم بحيوية الطبيعة وهو ما يطلق عليه اسم – أينمزم (animism) – لدرجة تصل الى حد تجسيد كل مظاهرها ، وعلى

هذا الأساس فإن الأنيمزم تعتبر مفتاح فهم رمزية الأساطير ، وفي ضوئها يمكن دراسة العلاقات الرمزية التي تتضمنها الشعائر والطقوس الدينية والسحرية على السواء »[٨] .
ولذلك يكون انتاج الأساطير خلاصة لتجسيد بعض أفكار الإنسان البدائي الغامضة عن الكون فيقوم بابتكار الآلهة والكائنات العليا كرموز توازي أو تعادل ما في الطبيعة من مادة .. وهكذا تظهر الأساطير مثل حقول رمزية أمام الحقول المادية للطبيعة .

أما الانثربولوجي الفرنسي (كلود ليڤي شتراوس) ، مؤسس المنهج البنيوي في تحليل الأسطورة ، فقد رفض منهج (تايلور) وطالب بالفصل بين الأسطورة والسياق الاجتماعي والثقافي الذي تظهر فيه ، ويرى شتراوس أن الأسطورة لغة رمزية وأن التفكير الأسطوري ليس متخلفاً أو سابقاً على التفكير المنطقي ، بل هو تفكير منطقي شديد التماسك ويعمد في تحليلاته الى اهمال مضامين الأساطير وحكاياتها ورسم العلاقات الداخلية التي تحكمها "وإذا كنا نجد ليڤي شتراوس دائماً يحاول فهم الأسطورة الواحدة على ضوء غيرها من الأساطير ، أو يعمل تقابلاً بينها وبين أسطورة اخرى من نفس الفصيلة فما ذلك الا لأنه قد فطن الى أن الأساطير لهي أشبه ما تكون بالصور المحسوسة التي تنعكس على صفحة مرآة ، أو بالأحرى على سطوح مرايا متعددة ، فترد كل واحدة منها الصورة الى الاخرى ، أو ربما كان الأدنى الى الصواب أن نشبه الأسطورة بالصور الفوتوغرافية التي تظهر على شكل « سالب » يمثل معكوس الأضواء والظلال ، ثم على شكل « موجب » يمثل الوضع الأصلي للأضواء والظلال ، ومن هنا فإن ماهو (أسود) في اسطورة ما قد يقابله ما هو (أبيض) في اسطورة اخرى ، ومن ثم فقد نجد تقابلاً واضحاً بين (المرأة المخطوفة) و (المرأة المعطاة على سبيل التبادل) ، بين (اللحم الحيواني) و (اللحم البشري) ، بين (المطبوخ) و (النيء) .... الخ"[٩] .

٣) **المدرسة الوظيفية :** يرى مؤسس هذه المدرسة ما لينوفسكي أن الأسطورة ظهرت نتيجة لحاجة عملية أملتها ظروف الإنسان وإرادته في صنع أو عمل قضية محددة ، ولذلك فإن لها وظيفة جعلتها تحتل المكانة التي احتلتها ، أي أن مالينوفسكي يضع الغايات العملية سبباً رئيساً لنشوء الأسطورة ، ولا يعطيها البعد النفسي الذي قال به

فرويد أو يونغ أو فروم أو البعد الأنثروبولوجي الذي وجد في الأسطورة رموزاً عميقة بين الأنسان والكون ، ولكنه يضع الأسطورة بمثابة الدستور العقائدي الذي تكون مهمته في الحاضر تفسير ما يجري ومهمته في المستقبل ضمان ما جرى . ولذلك يعطي دوراً للحاكم والكاهن والزعيم في صنع الأساطير لأنها توفر له سقفاً عقائدياً لاستمرار دوره .

٤) **المدرسة اللغوية :** تنظر المدرسة اللغوية الى الأسطورة على أنها شكل فكري ظهر عن طريق اللغة تحديداً ، وهذا يعني أن اللغة المستعملة في الأسطورة تتمتع بتكوينات واستعارات وبنى نحوية وبلاغية وأسلوبية تدلّ على نمط فكري معين قائم بذاته . وقد قاد ماكس موللر (Max Muler) هذه المدرسة .ونظر اتجاه آخر في هذه المدرسة الى الأسطورة على أنه جزءٌ من أمراض اللغة ، فهي لغة (أو لسان بالمعنى الأشمل) انحرف عن اللغة القياسية أو اللسان الذي تفكر به جماعته معينة من الناس ، وأصبح هذا الانحراف غريباً مدهشاً بعيداً عن المألوف ، ولذلك أدخلوه ضمن أمراض اللغة بشكل عام .

وفي كلا الحالين كانت المدرسة اللغوية ترى الأساطير كلها على أنها "استعارات ومجازات تعبر عن صراع الشمس والظلمة ومقابل هذه النظرية نشأت اسطورة الخضرة فيظهر هرقل لا على أنه النهار - يحارب الليل . بل على أنه الربيع يصارع الشتاء ، والنظرية اللغوية كانت شعرية وجذابة وسحر اللغة لعب دوراً عظيماً في إنشائها حتى أن بعضهم نقم للنيل منها وأنقص من شأنها ولا نقدر أن نقول أنها رفضت رفضاً باتاً الا انها في الوقت الحاضر غير مسيطرة"[١٠] .

الأسطورة : أعماقها ومحيطها

١- أعماق الأسطورة : بذرة العقل

تجتمع في الأسطورة عناصر بدئية تمثل الكثير من النشاطات العقلية التي يمارسها الإنسان في الحاضر ، وبسبب من قدم الأسطورة وتوغلها في تربة الروح الانساني وغورها في أعماقه يمكن أن نشبهها ببذرة العقل الأولى التي ما أن كبرت وترعرعت حتى ظهرت منها العلوم والفلسفات والآداب والتاريخ والحكمة ، لقد احتوت عناصر الأسطورة كل هذا

النشاط العقلي ذات يوم على شكل بذرة جمعت داخل صورتها المغلقة المحدودة احتمالات العلم والفلسفة والأدب والتأريخ حتى اذا ما سقاها الإنسان بالماء ووفّر لها الأرض الخصيبة ترعرعت وظهرت كوامن هذه البذرة من أوراق وسيقان وأغصان وثمار .

يمكننا أن نجد في علم الأجنة (Embryology) شيئاً مشابهاً لتقريب الصورة البذرية للأسطورة ، فهناك في هذا العلم ما يصطلح عليه بالنسيج غير المميّز (Undiffrintiated tissue) وهو النسيج الذي يتشكل به الجنين في أيامه الأولى ، ويكون هذا النسيج عادة متجانساً (Homogenous) ويتكون من نمط من الخلايا الخاصة التي تجمع في صفاتها صفات خلايا متعددة في الانسان الناضج .. ويقول العلماء إن هذه الخلايا تحتوي في تكوينها أكثر من صورة خلوية قادمة ، وما أن ينمو هذا النسيج غير المميز الى نسيج مميز في وقت لاحق حتى نشاهد أنه تحول الى نسيج عظمي أو مخاطي أو غضروفي أو جلدي أو عضلي ... الخ ، وهو ما نسميه بالنسيج المميز (Diffrintiated tissue) ، لقد كان النسيج غير المميز يحتوي على معظم هذه الأنسجة المميزة بشكل بدائي أو أولي غير ظاهر ولكن ما إن نما حتى تحول في اتجاهات معينة الى هذه الأنواع المختلفة من الأنسجة المميزة "إن جسم الانسان مثلاً يتكون من حوالي ٦٠-١٠٠ مليون خلية ، ولكل خلية نواتها (عدا كرات الدم الحمراء) ، ولقد اشتقت هذه الأعداد الهائلة من الخلية الأولى الملقحة . ثم نراها وقد تميزت بعد ذلك الى خلايا وعظام وعضلات ومخ وأمعاء وكبد وطحال .. الخ) ولاشك أن هذه الخلايا تختلف عن بعضها في الشكل والحجم والوظيفة"(١١) ، يمكننا تشبيه الأسطورة بالنسيج غير المميز الذي يحتوي ضمناً أنسجة متميزة قابلة للتطور والظهور .

ولنذهب الي علم الجزيئات الحية (Molecular Biology) ونستعير منه اطروحة في غاية الدقة تفيد فهمنا هذا وبحثنا في جوهر الأسطورة وطبيعتها ، فهناك ما يسميه هذا العلم بالجينوتايب (genotype) وهي صفات الكائن الحي المشفرة على حامض الوراثة النووي الذي يسمى (دنا DNA) الموجود في نواة الخلية ، وفي شريط هذا الحامض هناك شفرات معبّر عنها بطريقة معينة لترتيب الحوامض الأمينية مثلاً (أ ب ج د) تعني صفة الطول أو (ب أ ج د) تعني صفة لون العيون أو (ج أ ب د) تعني صفة لون الشعر وهكذا .. ان هذه الصفات المشفرة داخل نواة الخلية هي ما يسمى بالجينوتايب .

هناك ما يسمى بالفينوتايب (Phenotype) وهو تحديداً ظهور هذه الصفات مجسدة نراها ونحسها ونلمسها على جسد الكائن .. أي ان الشفرات المختزلة للصفات في نواة الخلية تظهر واضحة كاملة على جسد الكائن كله وبذلك تتحول صفة الطول الى (الطول أو القصر) وشفرة صفة لون العيون الى (زرقة أو سواد العيون) وشفرة صفة لون الشعر الى (شقرة أو سواد الشعر) وهكذا .

وقياساً على ما سبق نقول أن الأسطورة هي جينوتايب الأنواع العلمية والفلسفية والأدبية التي ظهرت لاحقاً ، فقد حملت الاسطورة شفرات النصوص العلمية والفلسفية والأدبية (وليس تجسداتها الكلية) ولذلك علينا ، ونحن نبحث في الأسطورة ، تأشير هذه الشفرات ومعرفة دلالتها . إن الاسطورة تشبه الشريط الوراثي الذي يجمع هذه الأنواع مشفّرة ، غير ظاهرة ، أما الظهور العلني للعلم والفكر والفلسفة والشعر والقصة فإنه يشبه (الفينوتايب) الواضح والملموس في عصرنا هذا .

وفي حقل الفيزياء الحديثة كان ديفيد بوم يرى أن في العالم مستويين : الأول – ضمني تتعايش فيه المتناقضات ويخفي في بؤرته كل الآفاق ، المستوى الثاني – الظاهر أو الافقي الذي تنفصل فيه الأشياء وتتميز . ولذلك فإن « كل ما يبدو لنا في العالم مستقراً ، ملموساً ، مسموعاً لا يخرج عن كونه مجرد وهم ، وحقيقة العالم أنه ديناميكي ، لا نهائي في أشكاله وألوانه لكنه ، ليس في حقيقة هناك ، فما نراه علي نحو قياسي ونظامي هو نظام الأشياء المنبسط المنفتح القابل للتفسير والتوضيح . لكن هنالك نظاماً تحتياً يشتمل على الكل ويعد أباً لهذا النشوء الثاني .. ووصف بوهم هذا النظام الثاني بأنه متضمن ، ضمني أو منطوٍ ومنغلق . ويضمر هذا النظام المنطوي الضمني واقعنا ويخفيه . تماماً كما يضمر الـDNA الموجود في نواة الخلية الحياة الكامنة أو الموجودة بالقوة ويوجه طبيعة انفتاحها وكشفها »(١٢) .

إن الأسطورة هي البذرة ، والنسيج غير المميز ، والشريط الوراثي ، والعالم الضمني .. فهي تحمل دون وعي من صانعها أو صنّاعها احتمالات أنواع أخرى ستظهر لا حقاً .

مرايا الأسطورة

ما الذي تعكسه الأسطورة في داخلها ؟ هذا السؤال يتبادر الى الذهن دائماً ، وتتلخص الاجابة عنه في أن الأمر يعتمد على زاوية النظر اليها ، فقد نرى من زاوية معينة علماً ، وقد نرى حكمة ، وقد نرى فكراً ، وقد نرى تاريخاً ، وقد نرى قصةً ، وقد نرى شعراً ، وقد نرى أكثر من نوع إذا ما وسعّنا زاوية النظر .. ولذلك توجب علينا أولاً إحكام زاوية النظر هذه والتقاط ما نشاهده .

شفرة العلم

يرى الكثير من المثولوجيون أن الأسطورة كانت العلم الأول ، الغفل والبدائي . العلم في شكله الجنيني البكر .

لقد سبق السحر والأسطورة في كونه علماً مقلوباً أو زائفاً (Pseudo scince) حيث كان يضع الأسباب في جهة والنتائج في جهة اخرى ويقيم بينهما علاقات لا منطقية ، لا محكمة ، تتداعى بحركة اعتباطية . وكان الساحر عالماً ولكنه عالم زائف ، أما الأسطورة فلا يؤلفها ساحر أو كاهن بل تنضج من شعور ولا شعور الجماعة ، من عقلها الواعي واللاواعي وتحمل أفكاراً علمية يغلفها الضباب ، وتبعدها كليتها عما نسميه بوضوح العلم المعاصر الذي ينقّب في التفاصيل .

ان الأسطورة لا تقيم علاقات زائفة بين الأسباب والنتائج ، بل تشير أو تشفّر الصلات دون أن تضعها في منطقة العلم التجريبي ، انها تريد أن تقول شيئاً حقيقياً ولكنه بعيد غامضٌ تضببه الأحداث ، فعلى سبيل المثال تقدم لنا أسطورة الخليقة البابلية (اينوما أيليش) في مستهلها صورة السكون الأولى وعنصريه الأولين الانثوي والذكري في صورتي الإلهين (تيامت وأبسو) وتستتر خلف العنصر الأنثوي الذي يمثله البحر المالح الشحنة السالبة وتستتر خلف العنصر الذكري (أبسو) الذي يمثل الماء العذب الشحنة الموجبة ويصير اللقاء بينهما مدعاة لخلق رجّة في الهيولى الساكنة وخروج كون متحرك نشط ينتج عنه ظهور أجيال جديدة من الآلهة ، وتدعونا هذه الحادثة الأسطورية لتذكر أحدث النظريات العلمية في تكون الكون وهي نظرية (الانفجار الكبير) .

هناك عناصر اخرى عفوية ظهرت في هذه الأسطورة تستدعينا حقاً لتذكر الكثير من الآراء العلمية في الخليقة ، ولن أحصر حديثي بهذه الأسطورة الأم حول التكوين بل أشير الى الكثير من أساطير الخليقة عند الأمم الأخرى وأرى فيها ما يماثل هذا ، بل وفي أساطير أخرى تهتم بخلق الإنسان من بيضة أو كيفية ظهور الكواكب والأشجار وغير ذلك .

لقد سلك علماء الهرموناطيقا (التأويل) مسلكاً واضحاً في تأويل الأساطير الدينية والعثور فيها علي شفرات علمية دالة ، وأرى أن النظريات العلمية الحديثة جداً والتي تتحدث عن المبدأ الكلي والهولوغراف والمستوى الضمني والتي يمثلها ديڤيد بوم وكارل بربرام وشيلدرك وآخرون تتلاقى صورها مع صور المرايا التي تبعثها الأساطير في أعماقها .

شفرة الفلسفة : لا ينسى المهتمون بالفلسفة ذلك المنعطف النوعي الذي قام به طاليس اليوناني (حوالي عام ٥٤٧ ق.م) يوم نظر (عقلياً) في الأساطير القديمة وقال بأن الماء هو أصل كل الأشياء ، وهذا ليس بفعل الآلهة أو بفعل (آلهة الماء) تحديداً بل بفعل الماء نفسه ، وبذلك شطر طاليس الأسطورة الى فرعين (معرفة عقلية وفلسفية) و(خرافة) "ولا تنبع أهمية هذا الحادث في القول بأن أصل الأشياء هو الماء لأن ذلك ورد كثيراً في أساطير الخلق العراقية والمصرية القديمة وغيرها ، ولكن الأهمية تكمن في إثارة سؤال عقلي عن أصل الأشياء .. وفي وضع جوابٍ عقلي برد الأشياء لأصل واحد ، ولذلك فقد أقام اليونان نظاماً عقلياً منفصلاً عن النظام اللاهوتي او المثيولوجي في تفسير العالم والوجود . ومن هذه النقطة انفصلت الفلسفة عن اللاهوت والأساطير . وكان لهذا الحادث أثره الرهيب على الفكر الإنساني اذا تسلسل بعد طاليس مفكرون كثيرون نظروا في فكرة الوجود ونوعوا عليها ، وكانوا بذلك يكرسون ذلك الانشقاق على الفكر الميثوبي المليء بالخرافات والأساطير .. حتى تكونت الفلسفة بعد ذلك كنظامٍ عقلي على أيدي عملاقي الفلسفة اليونانية أفلاطون وأرسطو"(١٢).

ان الفكر الميثوبي الذي يتموج في الاسطورة كان شفرة للفكر الفلسفي الذي استغرق (عقلياً) في تأمل الوجود والمعرفة والاخلاق ، وكانت الأسطورة في تلك الأيام الخوالي فلسفة مشاعية يتبناها الناس ويتداولونها ، الى ان صارت اليونان موطناً لفلسفة النخبة ثم دخلت

الفلسفة في مسالك ومدارج أبعدتها كثيراً عن الناس وجعلت منها منطقة خاصة لا يرتادها الا من تحصن بفكر غزير .. في حين كانت الأسطورة تُطوّع الفكر وتجعله متداولا ومحكياً وممارساً بين كل الناس .

ان هذا لا يعني بأن الاسطورة أرقى أو أفضل من الفلسفة ولكنه يعني تحديدا بأن الفلسفة كانت مشفرة هناك في اعماق الاسطورة . لقد أحسّ الانسان في الاسطورة "بمشكلة الأصل ومشكلة الغاية ، غاية الوجود ، وأدرك أن هناك نظاماً للعدل لا تراه العين ، ترعاه عاداته وعرفه وتقاليده ، وقرن هذا النظام المحجوب بالنظام المرئي ، بما فيه من تعاقب الليل والنهار ، والفصول والسنين ، وهو النظام الذي اتضح له أن الشمس تبقي عليه"[١٤] .

ان الفكر الديني يتكىء على الاسطورة وينهل منها وقد كان هذا الفكر ممهداً للفكر الفلسفي الصارم ومعبدا الطريق نحن نشوء مذاهب فلسفية متعددة ، ولكن الفكر الديني يتشرب في جذوره بالفكر الميثوبي وينهل منه ، ودليلنا على ذلك ان ما يحتفظ به الفكر الديني من اعماق اسطورية ما زال قائماً في مدارس ومذاهب عديدة كالفيثاغورية والاورفية والهرمسية والغنوصية تنتمي الى الفلسفة وتقع في المنطقة الفكرية الدينية ولكنها تنبضُ بروح الاسطورة والسحر ، وسنجد الاسطورة في أهم منابع (العرفان) و (الفلسفة الباطنية) وعماد قصة المبدأ والمعاد التي "توظف أساطير بابلية وايرانية ويونانية بالإضافة الى استلهام قصة الخلق الواردة في التوراة . ومن أهم النصوص الهرمسية التي تشرح قصة المبدأ والمعاد بواسطة السرد الاسطوري ، والتي يمكن اعتبارها المصدر الهرمسي الأول في هذا الموضوع ، ذلك النص الذي صدر منه المدونة الهرمسية Corpus Hermeticm"[١٥] .

ان الشفرات الفلسفية والفكرية في الأساطير أمرٌ لا يحتاج الى الكثير من الجهد لاثباته ، بل لعلنا نستطيع القول أن هذه القصص الاسطورية لم تكن ذات يوم سوى نضح فكري للجماعات البشرية وتعاليم فلسفية تأملية لأجيالها القادمة .

شفرة التاريخ : قبل أن يبتكر الانســان الكتابة تداول الأساطير وسجل فيها بعض ملامح تاريخه القديم ، والأساطير لم تنشأ بعد الكتابة بل سبقتها بعهود طويلة ثم دونت بعدها وتداولتها الأجيال اما مكتوبة أو شفاهية ، وضاع الكثير منها خارج هذين المسربين . في الكثير من الأساطير تأريخ سحيق يذكر بأحداث كبرى مرت بها البشرية كأساطير الطوفان ونشوب الأمراض والحروب والدمار وغير ذلك ، ويأتي بعضها واضحاً ومفصلاً ويأتي البعض الآخر ملمحاً به ، وفي كل الأحوال "تروي لنا الأسطورة تاريخاً مقدساً ، حدثاً بدئياً جرى في بدايــة الزمان ، لكن رواية تاريخ مقدس تعني الكشف عن سر ، لأن شخصيات الاسطورة ليسوا كائنات بشرية : هم آلهة أو أبطال حضارة ولذلك كامت بوادرهم اسراً : لا يسع الانسان معرفتها اذا هي لم توح له . الاسطورة ، اذن ، هي تأريخ ماحدث في ذلك الزمان و(قول) اسطورة هو اعلان ما حدث في الاصل"(١٦) . لقد نبضت الأساطير بنوع من التأريخ المقدس ولذلك ألهمت الأساطير الانسان فكرة (العود الأبدي) التي تعتني بالتكرار الأبدي لايقاع الكون : العصر الذهبي ، السقوط الى الأرض ، الطوفان ، البحث عن الفردوس ، هبوط الملكية من السماء ، الكوارث ، نشأة المدن ، دمارها ... الخ

هذه الايقاعات التي أوحت للبابليين مثلاً بفكرة الســار SAR وهي الدورة الكونية الممثلة بحلقات صغرى وكبرى متكررة ، وهي التي اخذها اليونان عنهم وأسموها (الساروس) حيث نلاحظ (العود الأبدي) يتردد بين الماضي الذهبي والمستقبل المهدد بالماء أو النار (الطوفان أو الحريق) .

ان التاريخ المقدس النابع من الاسطورة يضغط باتجاه اعطاء معنى للسنة الدورية ويتجلى ذلك شعبياً في إقامة طقوس أعياد رأس السنة ابتداءً من السومريين (عيد الزكمك) والبابليين (عيد الاكيتو) حتى أيامنا هذه (عيد رأس السنة الميلادي والهجري) .. كل هذه الاحتفالات الطقسية كانت ذات يوم نبضاً تاريخياً مقدساً يملأ أحشاء الأساطير "ففي كل عام ، يتكرر خلق العالم ، يتجدد خلق العالم ، وبهذا يخلق الزمان أيضاً ، وتتجدد ولادته إذ « يبدأ من جديد » وهكذا تصلح الأسطورة الكوسموغونية نموذجاً مثالياً لكل « خلق » أو لكل « بناء » ، وهي تصلح حتى وسيلة طقسية للشفاء . فالمريض اذ يصبح رمزاً معاصراً

للخلق ، فإنما يسترجع الامتلاء البدئي فيشفى لأنه يبدأ حياته من جديد ومعه قدر من الطاقة لم ينفذ منه شيء"(١٧) ، وبذلك تمنحنا الأسطورة احساساً وتدويناً مشفراً لمسراه الدوري .

شفرة الدراما : تتضمن أغلب الأساطير نوعاً من الصراع مع قوى الطبيعة أو قوى الشر . ويأخذ هذا الصراع أشكالاً عدة ومنحنيات مختلفة ونهايات منوعة . ونلمح في الكثير من هذه الأساطير ، بالإضافة الى طريقة سرد الصراع التصاعدية ، حوارات احتدامية تعزز وتماسك هذا الصراع وتخدمه .

لا أظننا بحاجةٍ الى التذكر بأن المسرح نشأ من الأسطورة وتحديداً من أساطير الإله تموز وعشتار في سومر وبابل وما يقابلهما في مصر أوزوريس وإيزيس ثم حانت ولادته الحقيقية في اليونان عندما كانت دراما ديونيزيوس (الإله اليوناني المقابل لتموز وأوزوريس) تمثل شعبياً في طقوس احتفالية كبرى . وقد ظهرت التراجيديات الماعزية التي كانت ترثي هذا الإله حيث يرافقها التضحية بالحيوانات وخصوصاً ذكور الماعز ، وظهرت أيضاً الساتيرات الكوميدية ذات الطابع الجنسي التي تمثل ولادة وزواج ديونيزيوس وفجوره ، حيث يرافقها سكب الخمور وشربها في احتفالات جنسية جماعية هائجة .



شكل (٤) : ديونيزيوس : الأسطورة والدراما

قدمت الأسطورة المسرح في اليونان كواحدٍ من أعظم منجزاتها مثلما قدمت الفلسفة ، لكن المسرح والفلسفة عندما شبّا قتلا الأسطورة وابتعدا عنها ، الأسطورة مازالت تنبض في المسرح من خلال الطقس المسرحي ، وفي الفلسفة من خلال الميتافيزيقيا .

لقد ثبت لنا أن اسطورة (هبوط انانا الى العالم الأسفل) السومرية كانت تمثل في اوروك في عيد الزكمك الثاني الذي يوافق مجيء فصل الصيف وكانت المرأة أو الكاهنة التي تمثل دور (إنانا) تسمى (ممثلتو) واستمر عرض مثل هذه الأشكال الدرامية في اعياد رأس السنة البابلية (أكيتو) وكانت اسطورة الخليقة (إينوما إليش) تمثل درامياً أو تتلى أجزاء كبيرة منها في هذه الأعياد .

إن شفرة الدراما في الأسطورة أعلى وأوضح من الشفرات العميقة المضببة للعلم والفلسفة والتاريخ فيها ، ولذلك طفت على سطح النصوص الأسطورية (ذات الصراع) وشكلت بوضوح بذرة النوع الدرامي الأدبي والفني لاحقاً ، وابتدأ ذلك بالمسرح الطقسي أو الاحتفالي ثم تطور المسرح بعد ذلك بعيداً عن الأسطورة وتناول مواضيع من الحياة اليومية .

لقد كانت الأساطير القديمة الرافديينية والمصرية منبعاً للدراما والمسرح ، وفي مصر ظهر نوعان "من العروض المسرحية اتخذت سبيلين مختلفين لا يمكن الخلط بينهما وهما : الحفلات الطقسية ، والدراما الدينية . وكانت الحفلات الطقسية يقيمها الكهنة في المعابد ، وقد يشارك فيها النظارة ولم يكن لها من الدراما إلا الأداء ، وما بعد هذا فإيماءات وحركات شعائرية تصاحب المشاهد المسرحية ي تسلسلها ، وأقوال تضفي على هذه الطقوس ثوباً أسطورياً تصلح لأن تكون دراما فكرية لا تقع العين فيها إلا على رموز"(١٨) .

شفرة القصة :

هل سنكون في حاجة لإثبات أن الاسطورة هي حكاية في شكلها المحكي أو المكتوب ؟ وإنها تعتمد السرد أسلوباً في توضيح الأحداث وتفصيله !

وإذا كان فن القصة القصيرة أو الرواية الآن قد أصبح فناً تحكمه أساليب وقواعد معينة وتنتجه لنا مدارس مختلفة ، الا انه كان ذات يوم نابعاً من الأساطير .. فهي الرحم الأول الذي ظهرت منه فنون القصة والشعر والدراما كذلك فقد ظهرت من الأسطورة أو مها أنماط قريبة من القصة كالخرافة أو الحكايا الشعبية أو الملحمة وجميعها تعتمد على السرد الذي هو عماد فن القصة . وإذا كانت الأسطورة حكاية مقدسة فالخرافة حكايا خيالية والحكايا

الشعبية حكاية دنيوية والملحمة حكاية طويلة تتحدث عن بطل أو ابطال قوميين . لقد ظهرت الرواية كفن مستقل من الملاحم الأوروبية التي سبقت عصر النهضة .. وكانت هذه الملاحم تصهر في داخلها الكثير من الأساطير القديمة .

وإذا أردنا تتبع نشوء فن القصة أو الرواية فلا شك أننا سنجد بأن الحكاية الشعبية كانت همزة الوصل بين الأساطير ، وفن القصة أو الرواية "والآداب الشعبية ، باعتبارها حلقة كبيرة من حلقات الفولكلور ، لها وشائج متعدد بالأساطير . ومن الصعب أن نفرق بين نوع آخر يميل الى الايجاز ، حتى ينحصر أو يكاد في عبارة واحدة ويتوسل بالنثر ، ذلك لأن (الشعبية) وصلت بين الأنواع والأجناس .. بين المضامين والوظائف ومن الممكن أن نجد مثلاً شعبياً قد اقتطع من نشيد طويل أو ملحمة ضخمة . ومن اليسير كذلك أن نردّ لغزاً أو احجية الى سيرة بطل يستغرق انشاؤها الأيام والليالي . وأوضح من هذا وذلك أن نشير الى البطل الأسطوري الذي حكى ، أو كان يحكي ، أفعال إله أو ابن إله أو شبه إله ، قد مهد الطريق لبطل انساني ، مهما اضيفت اليه من خوارق . وهذه النقلة بين الكائن الأسطوري والبطل الملحمي الإنساني تؤكد بدورها التواصل بين المثولوجيا والفلكلور"(١٩) .

إن سلسلة التدرجات التي مرت بها الأسطورة في حقلها الحكائي بدأ من انتزاع صفتها المقدسة فتحولت الى خرافة أو حكاية شعبية أو ملحمة ، وتشربت في الروح الشعبي بعناصر فولكلورية وبيئية معينة ، وتحولت إلى قصة أو رواية يوم تدخل الوعي الفني والقصد المسبق لإنتاج نمط أدبي محدد اسمه (القصة) أو (الرواية) .

شفرة الشعر : لا نريد أن نجعل أسبقيات الظهور بين الشعر والأسطورة موضوعاً للنقاش هنا . ولكننا نقول إن الشعر والأسطورة توأمان .. ظهر كلٌ منهما في الآخر ، ويقيناً أن الاسطورة كانت تؤدي مضامينها وقصصها من خلال الشعر .. ويقيناً أن هناك شعراً انتزع نفسه من الأسطورة وظهر كنمط وجداني محض ليعبّر عن خوالج النفس البشرية وأعماقها وأحاسيسها .

لقد دخلت قصائد الغزل والرثاء السومرية في متن الأساطير وأصبحت جزءاً منها ، ونظمت أسطورة الخلقية البابلية وملحمة جلجامش الأسطورية شعراً سواء عن طريق الإيقاع

التفعيلي المعروف أو عن طريق تقنيات شعرية وبلاغية ، ولم يكن الشاعر السومري "يعرف شيئاً عن القافية والوزن ، كانت أدواته الفنية الرئيسية التكرار والمقابلة والوصف والتشبيه، وكانت هذه الأدوات تستخدم في الأسطورة والترتيلة والغناء والرثاء ، على هذا النحو أو ذاك ، لكننا نجدها في الشعر الملحمي مستخدمة في حذق وخيال فائقين . خذ على سبيل المثال القصة الملحمية ، جلجامش وأجّا"[٢٠] . لقد كان الشعر عماد الأسطورة وكانت الصورة الشعرية تطرز الأساطير وتعلو بها . وكان تدفق هذه الصور مثار شهية وخيال الناس الذين أسكرتهم لغة الأساطير الشعرية وجماله . ولنتأمل في هذا المثال الساطع بالشعرية في أسطورة سومرية :

"الرجل - العسل ، الرجل العسل - يجعلني حلوةً أبداً

سيدي ، الرجل - العسل من الآلهة ، حبيبي الأثير من أُمه

الذي يده عسل ، وقدمه عسل ، يجعلني حلوةً أبداً

يا جالب الحلاة الى السُرَّة .. [؟] ، أثيري من أُمه

.......ي أجمل الأفخاذ ، هو خسٌ مزروع قرب الماء"[٢١]

تعتمد الأسطورة على المخيلة وكذلك الشعر ويتدفق من الأسطورة والشعر خيالٌ قدسي لا نظير له ، وتلعب التقنيات الشعرية دوراً هائلاً في تفجير المخيلة ، فعلى سبيل المثال يعطي التشبيه التالي قوة خيال عظيمة حين توصف الآلهة التي يعصرها الألم على دمار مدينتها بأنها (تنبطح ساجدة مثل بقرة على عجلها) أو عندما يوصف إنسان جمح به الوهم والخيال بأنه (مثل بقرة عقيم تظلّ تبحث عن عجلها الذي لا وجود له) وغيرها من الصور التي لا شك بأنها عماد الشعر وجوهره .

٢. محيط الأسطورة: فضاء العقل وغاباته

لم تمت الأساطير ، وما انقطع ظهورها ولكن نظرتنا إليها ، في الغالب ، هي التي تجعل منها موضع ريبة أو شك أو تراجع أو تقدم . لقد ظهرت الأسطورة في الماضي السحيق ومثلت بذرة العقل ، لكن العقل وهو (يتميز) وينتج حقوله المتتابعة قد أصبح في آفاق جديدة ، فترعرعت هذه الحقول وأصبحت لها شخصيتها المميزة ، لكن هذا لم يفقد صلتها ببعضها وصلتها بالبذرة الأم «الأسطورة» ، وسنتناول فيما يلي علاقة الأسطورة بمختلف الحقول المعرفية التي احاطت بها ومازالت تحيط بها وتتبادل معها الأفكار والمضامين والرموز :

الأسطورة والعلم

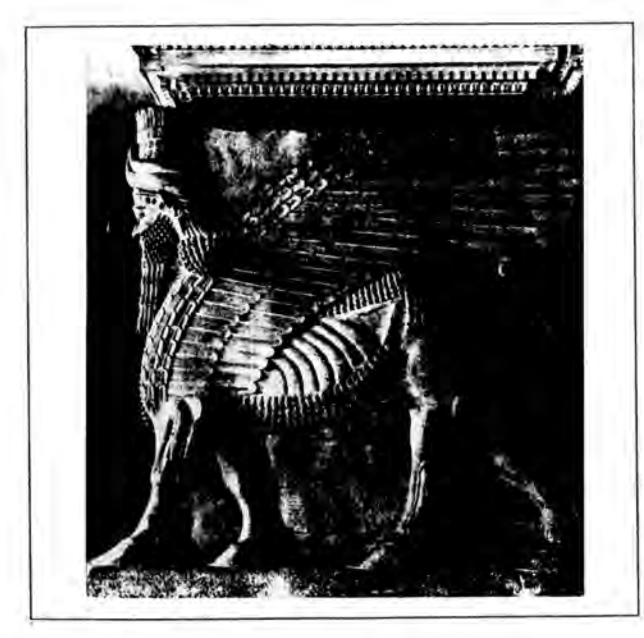
يُخيّل للناظرين أن العلم ، وقد قطع شوطاً كبيراً في تقدمه ، لم يعد يمت للأسطورة ، التي تضمنته ذات يوم ، بعلاقة وأنه انفصل نهائياً عنها .. لكننا نذهب مذهباً آخر ونقرر أن بعض النظريات العلمية تقترب في روحها من النصوص الأسطورية القديمة ، وان تحقيق هذه النظريات على أرض الواقع سيبدو لنا ضرباً من «الأساطير » .

ان أحدث نظرية علمية يقودها علماء (الكون - المرآة) وهم أصحاب نظرية المبدأ الكلي أو الشمولي ، لتفجر فينا حيناً إلى عالم الأسطورة ، وهذه النظرية العلمية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن العشرين ومازالت تزاوج بين الكثير مما طرحته الأفكار والفلسفات والأساطير القديمة والتصورات الجديدة عن العالم والوجود والطبيعة ، فهي ترى أن هناك وحدة عميقة بين الأشياء كلها في هذا الكون وان انفصال الأشياء عن بعضها كما نراه في حياتنا اليومية هو وهم ، وان هناك حقيقة باطنية خفية تجمع هذه الأشياء "ولاتعد وحدة الكون الخاصة الجوهرية لهذا الخبرة الصادرة عن الحكمة بل تعد أيضاً خاصة تتميز بها إلهامات الفيزياء الحديثة . انها تتجلى عند المستوى الذري وتكشف عن ذاتها أكثر فأكثر كلما توغلنا الى أعماق المادة ، والى نطاق الجزيئات دون الذرية ، وهكذا تكون وحدة الأحداث والأشياء الموضوع المتواتر في المقارنة التي سنجريها بين الفيزياء الحديثة والحكمة القديمة ، فكلما تقصينا الأنماط المتنوعة للفيزياء دون الجوهرية رأينا بأنها تعبر ، مرة تلو مرة ، وبطرق مختلفة عن تبصّر واحد مشترك"[٢٢] . والأساطير بطبيعتها وتكوينها

تنظر الى العالم أو الأحداث بطريقة مختلفة تتجاوز عالم الأضداد الذي نراه في الواقع ، فأن تكون (عشتار) أو (اثانا) إلهة للحب والحرب في نفس الوقت فهذا أمرٌ يتجاوز هذا التناقض . وأن يكون البعل رباً للخصوبة والحب أو يكون عاصفة مدمرة غاضبة والها للحرب في نفس الوقت فهذا أمرٌ تطرحه الأساطير بقوة ، بل ان واحداً من أهم ميزات الأساطير هو تجاوزها عالم الأضداد لما بعده ، وهذا ما تطرحه نظرية المبدأ الكلي "فلقد أوضح اكتشاف العالم الذري واقعاً يتجاوز اللغة والمنطق ، وأشار الى أن وحدة التصورات التي كانت تعتبر متعارضة وغير قابلة للتوفيق هي معلم مذهل من معالم هذا الواقع الجديد . وفي هذا المستوى دون الذري نجد ، كما تقول الفيزياء الحديثة ، توحيد التصورات المتعارضة ، بحيث تكون الجزيئات قابلة وغير قابلة للانقسام ، وتكون المادة متصلة ولامتصلة ، وتكون القوة والمادة معلمين مختلفين لظاهرة واحدة"[٢٣] . كذلك فإن الأساطير نطرح صلة لامنفصلة بين الزمان والمكان ويبدو الزمان مكاناً وبالعكس، فأساطير الخليقة مثلاً تتحدث عن مكان ما ، ولكنها في حقيقة الأمر تطرح زمناً كلياً مطلقاً لا متعيناً تمت فيه الخليقة . إن واحدة من أهم مزايا الأسطورة طرحها الخفي العميق لمشكلة الزمان والمكان باعتبارها كلاً واحداً وان النظر اليها منفصلين أمرُ طرحته التصورات العقلية المختلفة ، لا الحقيقة كما هي . ويقول سوزوكي إن ثمة حالة من الانحلال ينتهي فيه التمييز بين العقل والجسد ، بين الفكر والموضوع "وإذا نظرنا من حولنا ، ونحن نختبر هذه الحالة ، شاهدنا ببصيرتنا صلة كل شيء بكل شيء آخر ليس على النحو الزماني فحسب ، بل على النحو المكاني أيضاً . ويشير واقع الخبرة الصافية الى أنّ المكان غير موجود بدون الزمان ، وان الزمان غير موجود بدون المكان ، انهما متداخلان على نحو تبادلي "[٢٤] . ولا شك أن الأساطير كلها تطرح صيغة ديناميكية للعالم ، ودائماً هناك عالم أولي هيولي كان يسيطر على العالم ، ينتج عنه عالم جديد يحاول نفيه ثم ينتج عن هذا العالم الجديد عالم ثالث أكثر دينامية يحاول أن ينفي ما قبله ، وهكذا تتواتر الأحداث في جدلية فذّة وكأن العالم قائم على صراع ديناميكي لا ينتهي . وإذا تجاوزنا الكثير من تفاصيل (المبدأ الكلي) الذي تنبض فيه ورح الأسطورة والشعر والحكمة القديمتان وذهبنا الى واحد من أكثر العلوم حداثة وهو علم (الهندسة الوراثية Genetic Engineering) لوجدنا ما لايصدقه العقل فقد بدأت

عمليات مختبرية منظمة لإنتاج هجائن وراثية بين الكائنات الدقيقة والمختبرية والكبيرة ، واذا كنا لمسنا بعضاً منها في انتاج البذور والثمار المحسنة فإن هناك آفاقاً لا تحد لإنتاج كائنات جديدة وذلك بالسيطرة على بعض الصفات الوراثية في مقاطع من الشريط الوراثي DNA ونقلها الى شريط وراثي لكائن آخر مما يقرب فكرة ظهور (أنواع) جديدة مصنعة من المخلوقات . وقد تحمل آفاق الزمن القادم ظهور كائنات مهجنة بالصفات والأشكال . وعلى سبيل المثال : كائن بشري بإطراف لا بشرية من حصان أو ثور وبجلد حرشفي .. وغير ذلك . ونقول أن الأساطير طرحت مثل هذه المسوخ وقالت بها وإلا فكيف نفسر الثور المجنح في آشور بوجه بشري وجسد ثور وأجنحة طائر والذي كان يشير الى الجني (لاماسّو) ؟ او ذلك التمثال الذي بوجه بشري ذي لحية وجسد عجل والذي عثر عليه في لجش (من فترة حكم كوديا) ؟ أو أبو الهول المصري أو الكائنات المسخية على بوابة عشتار ؟ أو السنطور اليوناني حيث نصف الكائن العلوي بشري ونصفه السفلي حصان ؟

ان تلاقي هذه الحقائق بين الأسطورة والعلم تعطي انطباعاً بايقاع مشترك ينبض فيهما وهو ما جعلنا نؤمن أن العلم وهو يجترح معجزاته الكبرى يبدو كما لو أنه أسطورة قد تحققت .



شكل (٥) : الثور المجنح ذو الوجه البشري . وهو يدل على الجنى (لاماسّو) – وجد على مدخل قصر سرجون الآشوري في خرساباد .



شكل (٦) : عجل بوجه بشري ذي لحية وجد في لجش السومرية في عصر كودبا (٢٢٩٠-٢٢٥٥) ق.م

الأسطورة والدين

نشأت الأسطورة كجزء من الدين ، ورافقت جميع الأديان القديمة والشمولية ، والوثنية والسماوية ، فلا دين بلا أساطير يتغذى منها وتغذيه . وتبقى الأديان تفرز أساطيرها على مدى تاريخها حتى اذا انقرضت تلك الأديان نزلت أساطيرها من المستوى المقدس الى المستوى المدنّس ، وتداولها الناس على شكل حكايات ، وقد تنتقل هذه الأساطير من المدنس الى المقدس ثانية لكن في اديان اخرى جديدة تعيد صياغتها في المكان المناسب .

يطرح فراس السواح نظريته عن بنية الدين أو المكونات الأساسية للدين ويرى بأن كل دين لا بد وأن يتكون من ثلاثة مكونات أساسية هي (المعتقد والطقس والأسطورة) ، حيث المعتقد هو الأفكار ، أما الأسطورة فهي حكاية مقدسة "تنشأ عن المعتقد الديني وتكون امتداداً طبيعياً له ، فهي تعمل على توضيحه واغنائه وتثبيته في صيغة تساعد على حفظه وعلى تداوله بين الأجيال ، كما أنها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه الى العراطف والانفعالات الانسانية ، ويبدو ان المهمة الأساسية للأسطورة هي تزويد فكر الألوهة بألوان ظلال حية ، خصوصاً في المعتقدات التي تقوم على تعدد الآلهة"[٢٥] . فالمعتقد

اذن هو البنية المصاغة صياغة مبسطة عن طريق القص والحكي والمعنية بنقل مضامين المعتقد بطريقة حية متداولة بين الناس .

انّ الاسطورة هي الشكل الأكثر تداولاً ومتعة وبساطة في حياة الناس المؤمنين بذلك الدين أو تلك العقيدة . فإذا كان المعتقد يشكل النظام الفكري المركب والذي لا يهضمه أو يبنيه إلا من عرف شؤون الدين العميقة من الكهنة أو رجال الدين ، فإن الأسطورة تشكل الصيغة المتداولة التي يفهمها جميع الناس ، الكبير والصغير ، رجال الدين وعامة المتعبدين وهي الأوفر حظاً وانتشاراً من بنية المعتقد الخاصة بفئة صغيرة من الناس . ان هذا يدلنا على أن الأسطورة تمارس وهي تنتشر بين الناس أثراً على المعتقد وقد تعيد صياغته بين حين وآخر ، أي انها تطوره وتجعله أكثر قبولاً في الفترات اللاحقة . ومن هنا جاءت علاقتها الصميمة بالدين .

الأسطورة والسحر

السحر هو دين بدائي .. دينٌ أولي مبكر بدأت به البشرية أولى مراحلها في الدين ، وقد يضعه بعض العلماء في مرحلة تسبق الدين كما يقول فريزر في كتابه (الغصن الذهبي) ، لكن الحقيقة تقول أن السحر دين يغلّب الطقس على المعتقد وعلى الأسطورة ، ففي السحر اعتماد كلي على الطقس النابع من معتقد بدائي بسيط والمستند الى حدٍّ أدنى من المثولوجيا . فالآلهة المثولوجية في السحر غير موجودة ، بل ان هناك قوى سحرية (قد تكون لها قصص مقدسة) تكوّن ما يشبه (بالأساطير السحرية) التي يصعب أن نعثر عليها مدونة ، ولذلك نلجأ في الغالب الى كشفها عن طريق استنطاق العقائد البدائية للأقوام البدائيين الذين ما زالوا يعيشون على الأرض .

أن الأساطير السحرية تحولت فيما بعد الى مضامين أساسية في الأساطير الدينية اللاحقة ، كذلك فأن السحر باعتباره طقساً ، دخل في مضامين الأساطير وأصبح جزءً منها ، ولذلك نرى بأن علاقة السحر بالأسطورة تصورت مع ظهور الأديان القديمة والقومية ثم الشمولية ولكن هذه العلاقة ما زالت تحتاج الى مزيد من تسليط الضوء عليها للكشف عن كوامنها وكيفية حركتها . أن الأديان السحرية القديمة الثلاثة (الفتيشية والأرواحية

والطوطمية) حملت معها أساطيرها البدائية وهي تنتقل الى مرحلة لاحقة من مراحل التطور الديني والمثيولوجي . ودليلنا على ذلك أن أساطير الشعوب تحمل الكثير من النبض الفتيشي (عبادة الشيء وتقديسه) والأرواحي (الروح تحل في الأشياء) والطوطمي (الأشياء والنباتات والحيوانات هي الأجداد الأولى للإنسان) . لقد كانت الممارسات السحرية في هذه المستويات الثلاثة عملاً خارقاً وخلاقاً حمل أساطيره الى الأديان اللاحقة وظلّ يعيش في جوهرها .. وهو دائماً مثار إنعاشٍ وكيميائية غريبة تجعل من الدين ينسرب الى أعماقه .

تشكل المعتقدات الباطنية في جميع الأديان صدى لظهور السحر في الدين وتقوم الأسطورة في هذه المعتقدات بأدوار مهمة ، حيث تتواشج مع السحر في استنبات عقيدة داخلية جديدة .

ان ظهور عقائد جديدة من داخل الأديان تسببه في الغالب قوة سحرية لأسطورة تقبع فيها تلك الرؤيا الشمولية الموشحة بطابع شعري ، وما العقائد العرفانية (GNOSIS) الا أحد الأمثلة المميزة "فالنظرية العرفانية بمختلف صياغاتها ، تكرّس رؤية سحرية للعالم صميمة ، ذلك لانه بمجرد ما ينتهي الموقف العرفاني بالعارف الى اعتبار نفسه كائناً الهياً فانه يمنح نفسه قدرة من جنس القدرة الالهية ، فلا يعود يعترف لا بقيود الزمان ولا بقيود الطبيعة ولا بناموس أو سنة من نواميس الكون وسننه ، وهكذا ينتقل في لمح البصر من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان لا يعترف بالمسافات المكانية ولا الزمانية ، بل كل شيء عنده حاضر حضوراً زمنياً ومكانياً"[٢٦] .

الأسطورة والفكر

تحرك الاسطورة الفكر وتجعله يتمدد ويتسع بحكم طبيعتها الشعرية منطقة تَغايُر وحركة لا تهادن منطقة الثبات والتحجر في الفكر ، ولذلك ظهر المفكرون والفلاسفة المغايرون وكأنهم يشحنون الفكر بروحٍ أو شحنة اسطورية أو شعرية .

ان الاسطورة ليست بديلاً عن أية فلسفة أو طريقة فكرية ، بل هي دلالة توتر وجدة دائميين بحكم عدم خضوعها لثابت فكري داخلي ، فتأملاتها في الكون والوجود والانسان والحياة مرنة وتمشي في مسارب وسياقات غير قسرية .

ان الفكر الميثوبي ما زال يقدم لنا طاقة غير مستنفذة في حين تتكلس انماط الفكر الفلسفي والميتافيزيقي والعقلي في أطر تكاد تكون ثابتة ويكون دائماً من السهل إنعاشها وشطرها عن طريق نفحة اسطورية أو شعرية يقترحها قادم جديد يبغي تطوير الفكر وتفعيله .

الأسطورة والأدب

يوماً بعد آخر تظهر الامكانات اللامتناهية لعدوى دائمة للأدب من قبل الأساطير السحرية والدينية منها على السواء .. واذا كانت الأساطير تستخدم ذات يوم في تاريخ الأدب كزينة أو ككولاجات مقتبسة فانها الآن تمكنت من الدخول في روح الأدب (شعراً وقصة ومسرحية) واستطاعات أن تكون مثل مولد جديد ودائم لشحنات غير اعتيادية . ويبقى الأدب الحديث بتياراته الطليعية والحداثية مديناً للروح الاسطوري والسحري في نقلاته الكبرى . ولن أطيل في هذا المجال ولكني سأشير الى مدرستين أدبيتين كبيرتين ؛ الأولى ظهرت في بداية هذا القرن وهي السوريالية التي اعتمدت في منطلقاتها الأساسية على السحر والحلم والكيمياء الأولى ؛ والثانية تتمثل في تيار الواقعية السحرية في الرواية وغيرها والذي يتمثل الأساطير والسحر ويشحن بها نسيج العمل الأدبي .

أنواع الأساطير وتصنيفها

درس علماء المثولوجيا أنواع الأساطير وحاولوا وضع تصنيفات متعددة لها ، فمنهم من قسّم الأساطير بشكل عام الى أساطير سببية واخرى اجتماعية ، ومنهم من قسمها حسب مضامينها الى أساطير الخليقة وأساطير الطوفان وأساطير العالم الأسفل ، ومنهم من قسمها الى أساطير أساسية وأساطير ثانوية ومنهم من اختار طرقاً اخرى في التقسيم .

ان دراسة أنواع الأساطير وتصنيفها استوجب دائماً حضور أنماط مسبقة توضع الأساطير قسراً .. اذ ليس بالضرورة ان تعالج الأسطورة موضوعاً معيناً أو ان تكون سببية بالكامل . كما أننا لا نرى أساطير أساسية واخرى ثانوية . ولذلك فنحن نرى أن تصنف الأساطير أولاً حسب اللغة التي كتبت بها ، ثم يتبع ذلك تصنيفها حسب الاله أو المقدس الذي تدور حوله .. كأن نقول : الأسطورة السومرية - هبوط انانا الى العالم الأسفل ، الاسطورة الكنعانية : بناء هيكل الاله بعل ..... الخ . ان هذا يجنبنا القسر ويضع الأسطورة في مكانها الطبيعي حسب ما تقرره مثولوجيا ذلك الشعب أو تلك الأمة .

أساطير الشعوب

تنطلق الدراسات الحديثة لأساطير الشعوب من منطلق تاريخي صرف يتدرج في وضع أساطير العالم القديم ثم العالم الوسط . وقد عالج جوزيف كامبل أساطيرالشعوب في مؤلفه الضخم (أقنعة الله) الذي صدر في أربعة مجلدات هي (المثولوجيا البدائية ، المثولوجيا الغربية ، المثولوجيا الشرقية ، المثولوجيا الخلاقة) ويبدو أن اخفاقات متعددة رافقت هذا الكتاب أولها سوء التصنيف وثانيها خلطه بين الدين والمثولوجيا .

أما السير جيمس فريزر فقد قدم في موسوعة (الغصن الذهبي) كمّاً هائلاً من الأساطير القديمة وأساطير الشعوب البدائية التي مازالت تعيش على الأرض وكانت موسوعته هذه أقرب الى الأنثروبولوجيا الدينية منها الى المثولوجيا .

وتقدم لنا (موسوعة لاروس للمثولوجيا Larousse Encyclopedia of Mythology)[٢٧] صورة حسنة في التدرج التأريخي لمثولوجيا شعوب العالم ، ولكي نتعرف على هذه

المثولوجيات نذكر هنا ما احتوته هذه الموسوعة :

١- مثولوجيا ما قبل التاريخ	Prehistoric Mythology
٢- المثولوجيا المصرية	Egyptia Mythology
٣- المثولوجيا البابلية الآشورية	Assyro-Babylonisn Mythology
٤- المثولوجيا الفينيقية	Phoenician Mythology
٥- المثولوجيا الإغريقية	Greek Mythology
٦- المثولوجيا الرومانية	Roman Mythology
٧- المثولوجيا السلتية	Celtic Mythology
٨- المثولوجيا التيوتونية	Teutonic Mythology
٩- المثولوجيا السلافونية	Slavonic Mythology
١٠-المثولوجيا الفينو اورغية	Finno-Urgic Mythology
١١-المثولوجيا الفارسية القديمة	Ancient persi Mythology
١٢-المثولوجيا الهندية	Indian Mythology
١٣-المثولوجيا الصينية	Chinese Mythology
١٤-المثولوجيا اليابانية	Japanese Mythology
١٥- مثولوجيا الأمريكيتين	Two Americas Mythology
١٦-مثولوجيا إفريقيا السوداء	Black Africa Mythology
١٧-المثولوجيا الأوقيانوسية	Oceanis Mythology

لكننا نرى أن تقسيم لاروس هذا يحتاج الى بعض التعديلات لأنه أغفل ودمج وتجاوز أساطير الكثير من الشعوب ولذلك سنضع مقترحاً خاصاً لتقسيم مثولوجيا الشعوب وكما يلي :

١- مثولوجيا العصور الحجرية وتتضمن :

١ . الباليوليت (الحجري القديم)

٢ . الميزوليت (الحجري الوسيط)

٣ . النيوليت (الحجري الحديث)

٤ . الكالكوليت (الحجري المعدني)

٢- مثولوجيا جنوب وشرق المتوسط (المثولوجيا السامية وما رافقها) وتتضمن :

١. المثـولوجيـا الرافـدينيـة (السـومـرية ، البـابليـة ، الآشورية)

٢. المثولوجيا المصرية

٣. المثولوجيا الكنعانية

٤. المثـولوجيـا الشـاميـة القـديمة (الأمـوريـة، الآراميـة، العمونية، المؤابية، الادومية، النبطية)

٥. المثولوجيا العـربيـة (اليمنيـة ، مثـولـوجيـا القـبـائل العربية قبل الاسلام)

٣- مثولوجيا شمال المتوسط (المثولوجيا الايجية وما رافقها) وتتضمن :

١. المثولوجيا الكريتية

٢. المثولوجيا الحيثية - الحورية

٣. المثولوجيا اليونانية

٤. المثولوجيا الرومانية

٤- مثولوجيا الشرق الأقصى وتتضمن :

١. المثولوجيا الفارسية

٢. المثولوجيا الهندية

٣. المثولوجيا الصينية

٤. المثولوجيا اليابانية

٥- مثولوجيا أمريكا القديمة :

١. مثولوجيا المايا (يوغتان وغواتمالا)

٢. مثولوجيا الأنكا (بيرو)

٣. مثولوجيا الأزتيك (المكسيك)

٦- المثولوجيا الأوروبية وتتضمن :

١. المثولوجيا السلتية

٢. المثولوجيا التيوتونية

٣. المثولوجيا الفينو اورغية

٤. المثولوجيا الأوقيانوسية

٥. المثولوجيا الاسكندنافية

٧- المثولوجيا البدائية المعاصرة وتتضمن مثولوجيا الأقوام والقبائل البدائية التي مازالت تعيش على سطح الأرض وتتضمن :

١ . مثولوجيا الأقوام البدائية الأسترالية والنيوزلندية
٢ . مثولوجيا الهنود الحمر والأقوام البدائية في أمريكا
٣ . مثولوجيا الأقوام البدائية الآسيوية
٤ . مثولوجيا أفريقيا السوداء

٨- مثولوجيا الديانات السماوية (الشمولية) :

١ . المثولوجيا اليهودية
٢ . المثولوجيا المسيحية
٣ . المثولوجيا الإسلامية

أرى أن تقسيم المثولوجيا الى هذه المجموعات الثمانية يعطي فرصة لايجاد العلاقات والتشابهات بين مثيولوجيات كل مجموعة من ناحية وبين المثيولوجيات القريبة منها في مجموعة مقاربة .

هل توقف ظهور الأساطير ؟

تبدو لنا الأساطير وكأنها مرتبطة بالشعوب والعقائد القديمة ، ولا تغيب صورة ارتباطها بالدين ، فإن انقطع ظهور الأديان انقطع ظهور عقائد جديدة وأساطير جديدة .. ولذلك علينا أولاً الإجابة عن سؤال أسبق هو : هل توقف ظهور عقائد دينية جديدة ؟

اذا رجعنا الى معنى الدين الجوهري فسنجد بأن معناه يتفاوت في الكثير من وجهات النظر عند الباحثين ، يرى ماكس مولر "أن الدين هو كدح من أجل تصور ما لايمكن تصوره ، وقول ما لا يمكن التعبير عنه ، انه توق الى اللانهائي"[٢٨] .

ويرى دوركهايم أن "الدين هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتحاط بشتى أنواع التحريم وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى كنيسة"[٢٩] . ان الدين في خلاصة تعاريفه هو الايمان بمقدس مفارق عن الدنيوي ، اي ان الايمان بمجال مقدس بعيد عن المجال المدنس .. قد يعني هذا الايمان (علو المقدس على المدنّس) .

لنسأل الآن : هل انقطع ظهور المقدس بتجليات جديدة ؟ ومن الاجابة سنقرر جواباً لسؤال هذه الفقرة الرئيسي حول الأساطير . يجيبنا مرسيا الياد فيقول "ليس ثمة انقطاع لاستمرارية الظهورات الالهية بدءاً من اكثرها ابتدائية كتجلي المقدس في شيء ما ، حجر أو شجر ، وانتهاءً بالتجلي الأعلى الذي يتمثل لدى المسيحي في تجلي الله في يسوع المسيح ، فهو دائماً نفس الفعل الخفيّ : تجلي شيء « مختلف تماماً » ، اي حقيقة لاتنتسب الى عالمنا ، في أشياء تشكل جزءاً لا يتجزأ من عالمنا « الطبيعي » الدنيوي" (٢٠) . ان هذا يجبرنا على اعادة صياغة العلاقة بين الأسطورة والدين الى علاقة اخرى بين الأسطورة والمقدس ، وهذا يعني أن ظهور الاسطورة مرتبط دائماً بظهور المقدس دائماً أو فلنقل أن ظهور أساطير جديدة مرتبط بظهور تجليات جديدة لهذا المقدّس .. فهل هناك تجليات لهذا المقدّس ؟

لقد أعطت الأديان الشمولية السماوية منها بشكل خاص (اليهودية والمسيحية والاسلام) أفقاً شبه نهائي يتجول فيه هذا المقدّس ، واقفلت (من داخلها) امكانيات ظهور المقدس خارجها أو خارج بعضها .

لكن هذه الصيغة لا تناسب التكوين الروحي اللامتناهي للانسان .. وما ظهور المذاهب والفرق والعقائد داخل هذه الأديان الثلاثة الا محاولة لظهورات جديدة للمقدّس ، وان كان من داخل هذه الأديان ، مما يدل على محاولة تحريك الانسان للمقدّس الذي فيه والذي في الأعالي لآفاق جديدة .

هناك اذن حركة للمقدّس داخل الأديان الشمولية وتوق لأن يتجلى المقدّس خارج منظومة الأديان بكاملها .. وقد يكون الشعر والفن باعثين جديدين لحركة المقدّس .. وقد تكون النزعات الدنيوية المتعالية باحثة في تصاعدها عن المقدّس ، وقد تحاول كل هذه الآفاق خلق أو تشكيل (مقدّس) جديد لها .

المقدس اذن يتحرك داخل الأديان وخارجها ولا سبيل الى وضعه في القيود ، ولذلك فهو متجدد الظهور الى الأبد .. وهذا يدفعنا الى القول مباشرة : ان الاسطورة لن تتوقف عن الظهور ، لأنها مرتبطة بظهور مقدّس جديد ، ولكن شكل الظهور وطريقته مختلفان ، ولو ان عقلاً فذّاً دأب وبحث في تراث الأنسان منذ عصر النهضة والى الآن لوجد سيلاً من (الأساطير الجديدة) التي لها (أشكال جديدة) غير تلك التي ألفناها في الماضي .

ان فصلاً في غاية الأهمية حول (الالهات في القرن العشرين) وضعته الكاتبه كارولين لارنكتون في كتابها (الدليل النسوي للمثولوجيا)[٢١] يتضمن ثلاثة بحوث متميزة : الأول للباحثة روزماري ايلين كَولي بعنوان (العرافة السحرية كعبادة للإلهات) .. العرافة السحرية هنا تعني ما يسمى بـ(Witch craft) الذي يعني السحر المصاحب للديانات والمثولوجيا والمرتبط الى حد ما بالشر والمعتني بشكل خاص بالمقدس ذي القطبين ، الاله والالهة ، ولكنه يعطي ارجحية كبيرة للإلهات الأنثوية ، وقد ابتدأت هذه الملّة أو النحلة على يد الأنجليزي جيرالد كراندر Gerald B. Grander (١٨٨٤ - ١٩٦٤) الذي اهتم بـ(السحريات الموروثة) و (الدين القديم) ثم أودع فلسفته السحرية في كتابه (كتاب الظلال Book of Shadows) ثم توسعت كتبه وأبحاثه وأصبح له أنصارٌ كثيرون . وانقسمت مدرسة (العرافة السحرية) الى عدة مذاهب منها : المذهب الكَراندري الذي يعتمد على التعاليم الأساسية التي وضعها كَراندر . والمذهب الثاني الواسع هو المذهب الاسكندري (على اسم صاحبه الكساندر ساندیرز Alexander Sanders) (١٩٢٦ - ١٩٨٨) وهو عرّاف انجليزي . والمذهب الثالث في الولايات المتحدة وهو المذهب الدياني (من الالهة ديانا) وهنا مذاهب تأويلية أخرى صغيرة .

إن الفلسفة التي تقام عليها (العرافة السحرية) مشتقة من الغيبيات المصرية اليونانية ومؤلفات هرمس والقبالا الغربية وشجرة الحياة . ومن المؤثرات الاخرى هي مفتاح سليمان ، وتستفيد عقيدتها من الأساطير القديمة والرموز السحرية الأولى . وتظهر (العرافة السحرية) كديانة تحاول اكتشاف المقدس الانثوي لتنشيط (الانثوي) عند الرجال والنساء معاً . لقد أوجدت نوعاً من الطريق الروحي للحيوية والخلق . وقد أكد كل من (يونغ) و (كامبل) بأننا (دون الأسطورة سنُقطع من جذورنا الروحية) .

أما جان كبيوتي في بحث (في الفعالية الخوارقية : صنع الأساطير النسوي) فنرى عقل المرأة مالكة الفعالية الخوارقية (Psychic Activisim) معتمدة على مضاعفة وشطر المذاهب الاسطورية . وتعتمد هذه الحركة في فلسفتها على كتابات ماري دالي (Mary Daly) وتدعو لخلق أساطير جديدة تعتمد على أساطير غريبة إفريقية أو مكسيكية لتنشيط القوة الحيوية للانسان .

وترى دايان بورتس في (إعـادة الكتابة النسوية للأسطورة) بأن نساء القرن العشرين من الكاتبات والفنانات قادرات على اعادة تشكيل صورة المرأة من خلال الأساطير الكلاسيكية .



شكل (٧) : الساحـر (witch) يركب على عنزته الشيطانية وهو يحرضها مع أتباعه الصغار على الطيران

ان هذه الأمثلة البسيطة وعشرات غيرها حول ظهور حركات دينية / سحرية / اسطورية في الغرب والشرق ، تحملُ معها بذور أساطير جديدة لتدل على أن عصر الأساطير لم ينقرض ، بل انه يبدأ بداية جديدة في هذا القرن ، وستكون وظيفته المزيد من العمق الانساني والفعالية الروحية والجسدية وشدّ وتماسك النسيج الانساني في عصور العمل والحروب والتناحر السياسي والتكنولوجي ، وبالتالي فانه سيكون عاملاً أساسياً في الحفاظ على النوع الانساني من الانقراض وإبقاء شعلته الروحية ناصعة مضيئة .

هذا بالإضافة الى الطبقات الاسطورية الجديدة التي يمكن أن يفرزها (المقدّس) الديني الذي نشأ في أديان شمولية وقومية ومحلية تسود العالم الآن . إذ يجب ان لا نفترض ان توليد الأساطير قد انتهى عند تلك الحدود التي قررتها مجالات تلك الأديان فما زال ظهور الحكايات القدسية المرتبطة بالمركز الإلهي أو شبه الإلهي عبر القديسين والأولياء واصحاب المعجزات الروحية والباراسايكولوجية .

ان هذا المسرى من (المث) الديني والدنيوي لن ينقطع وسيبقى يثري الحياة ويشحنها بطاقات جديدة . وستبقى الأسطورة واحدة من أهم ينابيع حياتنا في الحاضر والمستقبل ، تماماً ، مثل الشعر والموسيقى والفنون .. والأديان بطبيعة الحال .

مثولوجيا الأردن القديم

أول سؤال يثيره عنوان كهذا هو : هل هناك مثولوجيا أردنية قديمة ؟..

أرى أن الأردن القديم يتمتع ، رغم انتمائه الى أرض الشام بعامة ، بخصوصية تاريخية ودينية وثقافية تميزه عن غيره من مناطق الشام الأربع (سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الاردن) .

هناك مثولوجيا اردنية تحاول درس وفحص وفرز النمط الروحي والاسطوري الذي ساد في الاردن القديم وليس في غيره .. ربما يفتقر الاردن أكثر من غيره من دول المنطقة الى أساطير مكتوبة .. الى نصوص مدونة تعبر عن نسيجه المثولوجي ، ولكن هذا لا يمنع من وجود مثولوجيا أو دراسة في اساطيره وآلهته . ان ظهور آلهة خاصة ومعابد خاصة وظهور أديان وعبادات كانت سائدة في المنطقة تعطي امكانية لدراسة تكوينه المثولوجي القديم ، ثم أن عدم غزارة وشيوع النصوص في هذه المنطقة أمرٌ معروف ، فباستثناء نصوص أوغاريت (رأس الشمرا) في سوريا نرى أن المادة الاسطورية في كل منطقة الشام عبر حقبه التأريخية مبعثرة ومجزأة ويجمعها ما يتصف به الاردن من ظهور الآلهة (أسماء وصفات) والمعابد والتماثيل واللقى والنقود وغير ذلك .

تحفَ الكتابة عن مثولوجيا الاردن القديم صعوبات كثيرة لعلّ أهمها اشتراك هذه المنطقة مع عموم منطقة الشام في تراث روحي وثقافي وديني واحد ، وندرة النصوص الأسطورية وتبعثر مادتها لدرجة أن هذا الأمر جعل الكثير من الباحثين والمفكرين في حقل الأساطير والأديان القديمة يعجزون حقاً عن تناول مادة خاصة بالاردن القديم ، ولذلك سادت لغة عامة في بحوث ذات طابع حفري محض .. أما المادة الفكرية والمثيولوجية فانها نادراً ماكانت تخضع للبحث والدراسة .

لكننا نرى بعد فرز دقيق لعقائد وأساطير منطقة الشام الكبرى ، أن الاردن يتمتع بقدر واضح من التميّز والتنوّع الذي يجعل من مادته الدينية والأسطورية قابلة للتوصيف والتصنيف على أمل أن تساهم الكشوفات الآثارية الحالية والمستقبلية في تعزيز هذه المادة وجعلها في حكم الثوابت .

إن المناطق الأربع المتميزة لأرض الشام تقودنا الى فرز خصوصيات كل منطقة دينياً وثقافياً . وانني أدعو الى دراسة مقارنة مستفيضة لعقائد وأساطير وأديان هذه المناطق ، لأن في كلّ منها خصوصيات لا يمكن إهمالها ، وسنرى أن التعميمات السابقة لاتصلح أبداً لأن تكون وسيلة لإظهار هذا الكم الهائل شديد التنوع .. شديد الخصوصية الذي ساد مناطق وأقاليم هذه البقعة الخصبة في عقائدها وأفكارها وحضارتها .

إن نظرة أولية سريعة يمكن أن تدلنا على أن خصوصية سوريا تكمن في حضارات ايبلا واوغاريت وبعض من التراث الأموري والآرامي ، وان خصوصية لبنان تكمن أساساً في الحضارة الفينيقية ، وإن خصوصية فلسطين تكمن في الحضارة الكنعانية والفلسطينية والتوراتية ، وان خصوصية الاردن تكمن في الثقافات العمونية والمؤآبية والأدومية والنبطية .. وتتآزر كل هذه الخصوصيات الروحية والثقافية في اعطاء هذه المنطقة تنوعا ثقافياً وروحياً فريداً .. اضافة الى أن الملاحقة الثقافية بين هذه الأنماط والثقافتين اليونانية والرومانية وسيادة المسيحية لاحقاً جعلت من هذه المنطقة ينبوعاً انسانياً فريداً في العقائد والأديان والأساطير لايناظرهُ فيها تراث أية منطقة في العالم ، فقد صهرت هذه المنطقة تراث الجهات الأربعة : الرافدينية والمصرية والجزيرة والمتوسطية الشمالية في أرفع تكوين واعادت تخليقهُ وفق أشكال جديدة ، وبذلك كانت بؤرة هذه الجهات الأربعة ونقطة انصهار ثقافتها وأديانها .

ان البحث في مثولوجيا الاردن القديم يدفعنا أولاً الى البحث في الجذور التاريخية الأولى له ومعاينته انثروبولوجياً وثقافياً وملاحقة ما انفرد به هذا الوادي وما أخذه وما أعطاه من تراث المنطقة الشامية المحيطة به ومنطقة الشرق الأدنى والمنطقة المتوسطية عموما .

وسنحاول في الفصول القادمة الامساك بالمادة المثولوجية الخاصة بالأردن القديم حصراً .. وهذا ما دفعنا الى وضع تصنيف خاص بهذه المادة المثولوجية على ضوء المراحل التاريخية للأردن القديم .

ان وضع تصنيف خاص لمثولوجيا الأردن القديم كان بحد ذاته مفتاحاً هاماً لتقصي المادة المثولوجية وتتبع آثارها المبعثرة هنا وهناك . وقد عمل هذا التصنيف على جمع هذه الآثار مثل قطع الفسيفساء وتشكيل لوحة كبيرة تعطي صورة حيوية معبرة عن مثولوجيا الأردن القديم .

لقد كان أساس هذا التصنيف هو تقسيم المثولوجيا الأردنية القديمة الى طبقات يغور أقدمها في العصور الحجرية ويظهر على سطحها القريب المثولوجيا المسيحية التي هي خليط من تراث المنطقة القديمة وتراث الديانة السماوية السمحة التي بشر بها السيد المسيح .

إن طبقات مثولوجيا الأردن القديم تتمثل في التسلسل التالي :

١. مثولوجيا العصور الحجرية (الباليوليت والميزوليت والنيوليت)

٢. المثولوجيا الكنعانية (المثولوجيا الأم لمنطقة الشام بأكملها)

٣. المثولوجيا الأردنية الخالصة (العمونية والمؤابية والأدومية)

٤. المثولوجيا النبطية

٥. المثولوجيا اليونانية - الرومانية

٦. المثولوجيا المسيحية

ولعل هذا التصنيف يفرض نفسه لا لغايات مدرسية وبحثية فقط ، بل على ضوء التتابع التاريخي للأردن القديم والتنوع الغزير للثقافات والأقوام التي سكنت فيه .. مما يلغي تلك الصورة القاحلة التي كانت تصور الأردن تابعاً دينياً وثقافياً لمنطقة أكبر ، أو يبدو لنا وكأنه معبر أقوام سريعة اجتازته صعودا أو نزولاً الى مناطق اخرى من اجل الغزو او الاستيطان ، وانه لايحمل ذلك العمق الحضاري أو الثقافي الذي ساد المنطقة بأكمله فلا أسطورة ولا دين ولا أدب ولا فنون .

وتشكل هذه الآراء - من وجهة نظرنا - واحدة من أكبر المغالطات التي شاعت في ثقافتنا التاريخية والسياسية والدينية ، والتي لا بد من تصحيحها بالدرس العميق لتراث الاردن في مختلف مراحله التاريخية .

لقد اخترنا تسمية (الاردن القديم) لتوصيف منطقة الاردن التي يجتازها نهر الاردن وتمتد من جنوب سوريا حتى ميناء العقبة وتتاخم أرض فلسطين شرقاً وتنفتح على الصحراء الشمالية الغربية لجزيرة العرب .

وكانت أمامنا مصطلحات اخرى مثل (شرق الاردن) و (وادي الاردن) و (غور الاردن) لكننا فضلنا استخدام (الاردن القديم) لكي نتجنب التقييد الجغرافي الذي تضعنا فيه المصطلحات الاخرى ولندل على منطقة ثقافية وسياسية ودينية محددة تتميز عن المناطق المحيطة بها .

هوامش الفصل الأول

١ . السواح ، فراس : "دين الانسان" . بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني . منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ٥٦ .

٢ . يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ١٦ .

٣ . انظر تفصيلياً في كتاب فراس السواح (دين الانسان) . منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ص ص ٥٨،٥٧ . حيث تعزز النقاط المذكورة بأمثلة وشواهد كثيرة .

٤ . يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ١٧ .

٥ . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري : "لسان العرب" . المجلد ٧ ، دار صادر بيروت ، ب.ت ، ص ٣٦٣

٦ . يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ٤٦

٧ . فروم ، اريك : "اللغة المنسية" ترجمة د . حسن قبيسي ، منشورات المركز الثقافي العربي ط١ ، بيروت ١٩٩٢ ص ٢٠٩ .

٨ . أبو زيد ، حامد : "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي" مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت ، العدد (٣) المجلد (١٦) ١٩٨٥ ص٥٩٢ .

٩ . ايراهيم ، زكريا : "مشكلة البنية" . منشورات مكتبة مصر ، القاهرة ، ب.ت ص ٩٠ .

١٠ . غيربر ، هـ.أ : "أساطير الاغريق والرومان" ، ترجمة حسني فريز . منشورات دائـرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٧٦ ص ص ٢٦٤ , ٣٦٥

١١ . صالح ، عبد المحسن : "التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان" . منشورات عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨١ ص ٦٧ .

١٢ . اليازجي ، ندره : "مدخل الى المبدأ الكلي" . منشورات دار الغربال ، دمشق . المنشورات الجامعية . طرابلس ١٩٨٤ ص ٤٢ .

١٣ . الماجدي ، خزعل : "بيان أول للحداثة ميتاجماليا الشعر" . مجلة المهد . دار المهد للنشر والتوزيع . عمان العدد (٩ , ١٠) السنة (٣) ١٩٨٦ ص ٧٤ .

١٤ . فرانكفورت ، هـ . فرانكفورت هـ.أ وآخرون : "ماقبل الفلسفة" . ترجمة جبر ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٣ بيروت ١٩٨٢ ص ١٩ .

١٥ . الجابري ، محمد عابد : "بنية العقل العربي" . مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ ، بيروت ١٩٨٧ ص ٢٦٠ .

١٦ . الياد ، مرسيا : "المقدس والدنيوي" . ترجمة نهاد خياطه . ط١ . العربي للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٨٧ ص ص ٩٠ , ٩١ .

١٧ . المرجع السابق ص ١٠٠ .

١٨ . دربوتون ، اتيين : "المسرح المصري القديم" . ترجمة وتقديم الدكتور ثروت عكاشة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ . القاهرة ١٩٨٨ ص ٦٩ .

١٩ . يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ،

الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ٤٥ .

٢٠ . كريمر ، صموئيل نوح : "طقوس الجنس المقدس عند السومريين" . ترجمة نهاد خياطة . دار الغربال ط١ دمشق ١٩٨٦ ص ٥٥ .

٢١ . المرجع السابق ص ١٤١ .

٢٢ . اليازجي ، ندرة : "مدخل الى المبدأ الكلي" منشورات دار الغربال . دمشق . المنشورات الجامعة ، طرابلس ١٩٨٤ ص ١٦ .

٢٣ . المرجع السابق ص ٢٢ .

٢٤ . المرجع السابق ص ٢٩ .

٢٥ . السواح ، فراس : "دين الانسان" . بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني . منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

٢٦ . الجابري ، محمد عابد : "بنية العقل العربي" . مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ ، بيروت ١٩٨٧ ص ٣٧٩ .

٢٧ . انظر , Larousse Encyclopedia of Mythology Prometheus press New York 1959 .

٢٨ . السواح ، فراس : "دين الانسان" . بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني . منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ٢٣ .

٢٩ . المرجع السابق ص ٢٣ .

٣٠ . الياد ، مرسيا : "المقدس والدنيوي" . ترجمة نهاد خياطة – ط١ . العربي للطباعة والنشر . دمشق ١٩٨٧ ص٣

٣١. انظر Carolyne Larrington ,The Feminist companion to Mythology.

Pandora Press , London 1992 .

Part 6 : Goddesses in the Twentieth Century.

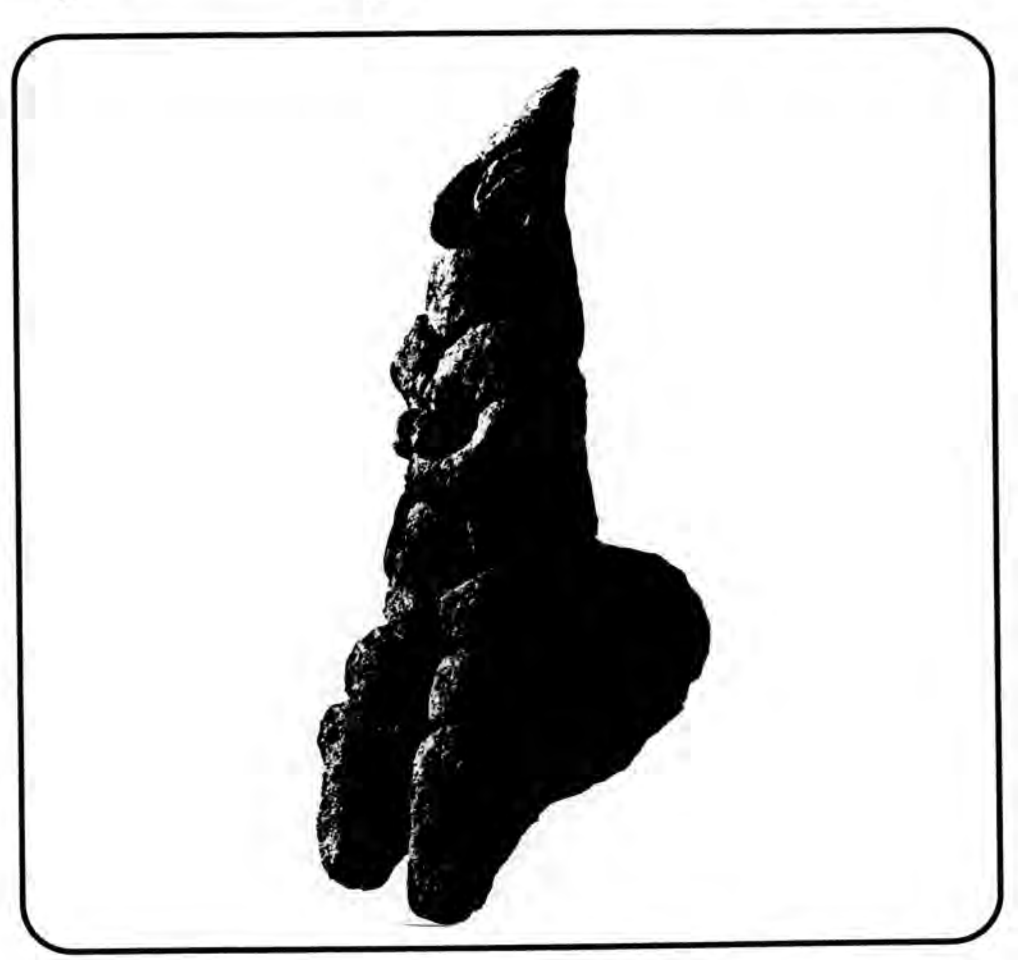
1. (Witchcraft as Goddess Worship) R.E.Guiley.

2. (On Psychic Activism : Feminist Mythomaking) J. Caput.

3. (Women's Rewriting of Myth) . Diane Purkiss.

الفصل الثاني

مثولوجيا العصور الحجرية



منحوتة تمثل الآلهة الأم من العصر الحجري الحديث من منطقة المنحطة في الضفة الغربية

إطلالة تاريخية

قبل الخوض في مناقشة التراث الروحي في الاردن القديم ، والمثولوجي منه بشكل خاص ، لا بد لنا من إطلالة تاريخية عامة على تاريخ الاردن توضح المراحل والحقب التي مرّ بها ، ولن نفصّل أو نناقش هذه المراحل بل سنوضحها عبر جداول تاريخية تسهل للمطلع عليها معرفة الأدوار والحقب بصورة دقيقة .

وقد جهدنا في جمع تفاصيل بعض هذه الجداول، لكي نوفّر معرفة عامة بتاريخ الأردن تكون ظهيراً لمعرفة ثقافته والديانات التي ظهرت فيه ، وسنبدأ بالجدول التاريخي العام :

العصر	أقسامه	مدته الزمنية
العصور الحجرية	١. القديمة (الباليوليت)	٥٠٠,٠٠ – ١٦,٠٠٠ ق.م
	٢. الوسيطة (الميزوليت)	١٦,٠٠٠ – ٨,٠٠٠ ق.م
	٣. الحديثة (النيوليت)	٨,٠٠٠ – ٤,٠٠٠ ق.م
العصور المعدنية	١. النحاسية (chalcolithic)	٤٠٠٠ – ٣١٥٠ ق.م
	٢. البرونزية (Bronze)	٣١٥٠ – ١٢٠٠ ق.م
	٣. الحديدية (Iron)	١٢٠٠ – ٣٣٢ ق.م
العصور اليونانية الرومانية	١. الهيلنستية	٣٣٢ – ٦٣ ق.م
	٢. الرومانية	٦٣ ق.م – ٣٢٤ م
	٣. البيزنطية	٣٢٤ – ٦٤٠ م

جدول (٢) : الجدول التاريخي العام للاردن القديم

ويمكننا أن نتفصل أكثر ونوسع الجدول السابق لكي نعرف طبيعة الثقافة التي سادت في كل عصر من العصور والأقوام التي ظهرت خلاله :

العصر	أقسامه	نوع الأقوام والحضارة في الأردن
العصور الحجرية	١. القديمة (الباليوليت) ٢. الوسيطة (الميزوليت) ٣. الحديثة (النيوليت)	الصيادون الأوائل الكبارية والنطوفية الخيامية والسلطانية واليرموكية
العصور المعدنية	١. النحاسية (chalcolithic) ٢. البرونزية (Bronze) ٣. الحديدية (Iron)	الغسوليون الكنعانيون والعموريون والهكسوس العمونيون والمؤابيون والأدوميون ثم السيطرة (الآشورية والبابلية والفارسية)
العصور اليونانية الرومانية	١. الهيلنستية ٢. الرومانية ٣. البيزنطية	السلوقيون والبطالمة والأنباط الرومان والأنباط المسيحية

جدول (٣) : الجدول التاريخي العام بدلالة الأقوام والحضارة في الأردن

قد لا يكفي ما طرحناه في الجدولين السابقين رغم أنه يشير بصورة عامة الى التاريخ والأقوام والحضارة .. لكننا سنكون بحاجة الى دليل تاريخي أكثر تفصيلاً ولذلك سنقدم جدولاً تفصيلياً يجمع التاريخ والأقوام والحضارة :

العصر	أقسامه	أدواره	مدته الزمنية	الأقوام والحضارات في الاردن
الحجري	الباليوليت	الأدنى	٥٠٠,٠٠٠ – ١٠٠,٠٠٠ ق.م	الانسان المنتصب القامة
		الأوسط	١٠٠,٠٠٠ – ٤٠,٠٠٠ ق.م	إنسان النياندرتال
		الأعلى	٤٠,٠٠٠ – ١٦,٠٠٠ ق.م	الانسان العاقل
	الميزوليت		١٦,٠٠٠ – ٨٥٠٠ ق.م	الكبارية والنطوفية
	النيوليت	قبل الفخاري	٨٥٠٠ – ٥٥٠٠ ق.م	الخيامية والسلطانية
		الفخاري	٥٥٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م	اليرموكية
المعدني	النحاسي		٤٠٠٠ – ٣١٥٠ ق.م	الغسوليون
	البرونزي القديم	الأول	٣١٥٠ – ٢٨٥٠ ق.م	الكنعانيون والعموريون
		الثاني	٢٨٥٠ – ٢٦٥٠ ق.م	
		الثالث	٢٦٥٠ – ٢٣٥٠ ق.م	
		الرابع	٢٣٥٠ – ٢٢٠٠ ق.م	
	البرونزي المتوسط	الأول	٢٢٠٠ – ٢٠٠٠ ق.م	العموريون (الشوتو العليا والشوتو السفلى والكوشان)
		الثاني أ	٢٠٠٠ – ١٧٥٠ ق.م	
		الثاني ب	١٧٥٠ – ١٥٥٠ ق.م	الهكسوس
	البرونزي الحديث	الأول	١٥٥٠ – ١٤٠٠ ق.م	السيطرة المصرية
		الثاني أ	١٤٠٠ – ١٣٠٠ ق.م	
		الثاني ب	١٣٠٠ – ١٢٠٠ ق.م	ممالك العموريين (حشبون وباشان وسعير)
	الحديدي	الأول	١٢٠٠ – ٩٠٠ ق.م	ممالك عمون ومؤاب وأدوم
		الثاني	٩٠٠ – ٥٥٠ ق.م	الممالك، ثم السيطرة الآشورية
		الثالث	٥٥٠ – ٣٣٢ ق.م	السيطرة البابلية ثم الفارسية
اليوناني الروماني	الهلينستي		٣٣٢ – ٦٣ ق.م	السلوقيون والبطالمة والأنباط
	الروماني		٦٣ ق.م – ٣٢٤ م	الرومان والأنباط
	البيزنطي		٣٢٤ م – ٦٤٠ م	المسيحية

جدول (٤) : الجدول التاريخي المفصل بدلالة الأقوام والحضارات في الاردن

يمكننا أيضاً إضافة جدول مقارن يوضّح لنا العصور القديمة في الاردن وفي مصر ووادي الرافدين باعتبارهما أهم معلمين حضاريين في الشرق الأدنى القديم ، ويعطينا انطباعاً عن طبيعة الثقافات التي سادت في أهم ثلاثة وديان في المنطقة : وادي الرافدين ووادي النيل ووادي الأردن . وقد أخذنا هذا الجدول من كتاب (فن الاردن) لمؤلفه بنكوفسكي [١] .

الزمن	الأردن	مصر	وادي الرافدين (العراق)
العصر الحجري القديم (الباليوليت) ١,٢٠٠,٠٠٠ - ٨,٥٠٠ ق.م	الصيد وجمع القوت والاستقرار التدريجي والاستزراع		
العصر الحجري الحديث (النيوليت) ٨٥٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م	الانتشار الواسع للزراعة المستوطنات الكبرى الفخار الأول ٥٥٠٠ ق.م	عصر ما قبل السلالات	بداية الزراعة الحقلية
العصر الحجري النحاسي (الجالكوليت) ٤٥٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م	ظهور العمل المعدني (التعدين) في الأردن		مرحلة العبيد مرحلة الوركاء اكتشاف الكتابة
العصر البرونزي المبكر ٣٢٠٠ - ١٩٥٠ ق.م		العصر الأول : توحيد مصر ظهور الكتابة الملكة القديمة : الأهرامات العصر الوسيط الأول	عصر السلالات المبكر : السومريون نمو المدن الكبرى والمعابد القبور الملكية في أور العصر الأكدي : سرجون الأكدي سلالة أور الثالثة : أفول السومريين
العصر البرونزي الوسيط ١٩٥٠ - ١٥٥٠ ق.م	عودة انتعاش الحياة المدنية في مدن شديدة التحصين	المملكة الوسطى العصر الوسيط الثاني	عصر بابل القديم : حمورابي
العصر البرونزي المتاخر ١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م	(دويلات المدن) الامبراطورية المصرية	المملكة الحديثة : تحوتمس الثالث أخناتون رسائل العمارنة توت عنخ آمون رمسيس الثاني	العصر الكاشي والميتاني الدبلوماسية العالمية

الزمـــن	الأردن	مصـــــر	وادي الرافدين (العراق)
العصر الحديدي ١٢٠٠ - ٥٣٩ ق.م	ملوك أدوم ومؤاب وعمون الامبراطوريتان الآشورية والبابلية فلسطين : المملكة الاسرائيلية الموحدة بقيادة شاؤول ، داود ، سليمان الأسر اليهودي الى بابل	العصر الوسيط الثالث حكم الكهنة آمون الكبار حكم النوبة الاجتياح الآشوري	الامبراطورية الآشورية الامبراطورية البابلية
الفترة الفارسية ٥٣٩ - ٣٣٢ ق.م	الحكم من قبل حكام فرس	العصر الأخير : الاحتلال الفارسي	الامبراطورية الفارسية
الفترة الهيلنستية ٣٣٢ - ٦٣ ق.م	احتلال الاسكندر الكبير حكم البطليموس والسلوقيين	السلالة البطليموسية كيلوباترا	الامبراطورية الفارسية
الفترة الرومانية والنبطية ٦٣ ق.م - ٣٢٤ م	الاحتلال من قبل بومبي في ٦٣ ق.م المملكة النبطية في العاصمة البتراء واحتلال روما لها في ١٠٦ م الأردن جزء من الاقليم الروماني لجزيرة العرب	الحكم الروماني	السلالة البارثية
الفترة البيزنطية ٣٢٤ - ٦٤٠ م	التحول الرسمي للمسيحية انفجار سكاني	الفترة القبطية (المسيحية)	السلالة الساسانية
الفترة الاسلامية ٦٣٠ م -	- الفتح العربي بقيادة النبي محمد - حكم السلالات الاسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة - المملكة الصليبية في اورشليم (١٠٩٩ - ١٢٩١) - السلالات الاسلامية : الأموية (٦٦١ - ٧٥٠) ، العباسية (٧٥٠ - ٩٦٩) ، الفاطمية (٩٦٩ - ١١٧١) الأيوبية (١١٧٤ - ١٢٦٣) ، المملوكية (١٢٥٠ - ١٥١٦) ، العثمانية (١٥١٦ - ١٩١٨)		

جدول (٥) : الجدول التاريخي المقارن الذي يظهر الأحداث الهامة والشخصيات البارزة .
عن بنكوفسكي (فن الاردن)
الاشارة (-) تحت السنين تدل على رقم تقريبي

ميثولوجيا الباليوليت

عاش الأردن فترة مطيرة شديدة الرطوبة في العصر الحجري القديم (Palaeolithic) وكان الإنسان فيه يعيش على جمع النباتات البرية وصيد الحيوانات . وكان يستعمل لهذه الأغراض اليومية الفؤوس اليدوية المصنوعة من حجر الصوان والبازلت . ولا شك بأن الانسان اكتشف في هذا العصر النار واستعملها . وكان يعيش إما في العراء أو في الكهوف حيث لم تظهر بعد اهتماماته العمرانية . وقد تمركزت أماكن سكناه في هذا العصر "حول شواطيء البحيرات القديمة ، وعلى ضفاف الأنهارالجارية حيث توجد في العادة الحيوانات ، وتنبت الأعشاب والأشجار المثمرة ، وهذه كلها مجتمعة كانت مصادره الغذائية إلا أنه ، أي الانسان ، ومع نهاية المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم أصبح يعيش بشكل مجموعات بشرية صيّادة ، لكنها شكّلت أنماطاً معيشية متطورة عنها في السابق ، وهذه الأنماط اخذت صورة أوضح في المرحلة اللاحقة التي تمثل فترة انتقالية بين مرحلتي الصيد والجمع وعدم الاستقرار الى مرحلة الانتاج الغذائي والاستقرار داخل قرى زراعية ثابتة"(٢) . وهكذا تمثلت ثقافة الانسان في هذا العصر بجمع القوت وصيد الحيوان واستعمال الحجر واكتشاف النار وسكن الكهوف وبدء التجمعات الصيّادة . وكانت هذه الثقافة بذرة تطلع أعلى للانسان الباليوليتي ، فقد أصبح يجمع ذاته في بؤرة ثقافية بعد أن كان سارحاً في طبيعة لا نهاية لها .

لقد شهد الباليوليت الأدنى "أولى الأدوات المعروفة أركيولوجياً باسم الأدوات الألدوفية واستخدموها بكفاءة ، وبذلك فقد ساروا أولى الخطوات نحو تكوين ما ندعوه "ثقافة" (Culture) . والثقافة في أبسط تعريفاتها ، تعني نمط حياة يجري اكتسابه اجتماعياً لا غريزياً ، ويتم نقله بين الأجيال بالتعلم"(٣) . أما الباليوليت الأوسط فقد ظهر فيه الانسان العاقل النياندرتالي (Home Sapian Niandertalenisis) وتظهر لنا بشكل خاص "الهياكل المكتشفة في فلسطين ، آخر تبدل الهيئة النياندرتالية قبل تحولها الى شكلها الحالي . وقد مارس النياندرتاليون في فلسطين عادة الدفن في اتجاه شرق - غرب ، بحيث يكون الرأس في اتجاه المشرق والعقب في اتجاه المغرب ، ومعظم الهياكل المكتشفة كانت مسجّاة على جانبها الأيمن ومطوية بشدة ضمن حفر صغيرة ، بطريقة تجعل الركبتين مضمومتين الى الصدر ، وقد عثر على أكبر تجمع للقبور النياندرتاليه الفلسطينية في مغارة السخول بجبل الكرمل التي احتوت على عشرة هياكل عظمية"(٤) .

وتشير ثقافة الباليوليت الأوسط الى شعور ديني مغلف بمثولوجيات بدائية ترتبط غالباً بالحيوانات التي كان الإنسان النياندرتالي يصطدم بها ويندهش بقوتها وشراستها ويجد فيها نداً بل (قوة قدسية) يمكن أن يوصله تعظيمها أو قتلها الى عتبة عالم روحاني شديد الاختلاف عن عالمه المادي القاسي الذي يتعامل معه . "وهكذا نستطيع الحديث عن -دين نياندرتالي - دون أن نتعب أنفسنا في البحث عن - آلهة نياندرتاليه - ولسوف نتعود منذ الآن أيضاً على التعامل مع ديانات صغرى أو كبرى لا وجود للآلهة فيها"(٥) . لقد كان صيد الحيوانات بحد ذاته نوعاً من المثيولوجيا بالقدر الذي كان يحمل معه فائدته الغذائية .. ولكن التطلع الى الحيوان وامتلاكه بهذا القدر او ذاك من القوة والشراسة والاختراق والعتو جعل الانسان في موقفين : الأول خشيته ومهابته وتقديسه ، والثاني قتله وافتراسه وكأن ذلك يعني تسرّب القوة والقدسية الى جسده ، مما كان يحفز مشاعره الروحية ، ويطلق قدراته الدفينة العميقة .

إن تخيل (المقدّس) في الحيوان ثم (هضم المقدّس) كان يعني ضمناً وضع صيغة للمشاركة بين المقدس والإنسان ، بل إن هذه التخيل ثم الإمساك به جعل الانسان يثق بقدراته ويعزز مقدرته على (اصطياد المقدّس) .

يرى فراس السوّاح في كتابه (دين الانسان) بأن هناك ستة مظاهر لديانة الباليوليت الأوسط تظهر من خلال مدافن النياندرتال "فأولاً ، في أغلب الحالات كانت الجثة مطوية بشدة ضمن حفر صغيرة وفي قبور افرادية . وثانياً ، تمّ توجيه الأجساد وفق محور شرق - غرب ، وفي بعض الحالات لدى النياندرتال الأوروبي ، وفي أغلب الحالات لدى النياندرتال المشرقي الأكثر تطوراً من الناحية المورفولوجية . ثالثاً ، هناك العديد من الأمثلة تنم عن عناية خاصة برأس الميت ، حيث تمت حمايته بأحجار كبيرة . رابعاً ، لدينا حالات غير شائعة عن إحاطة الجسد ببراعم وأزهار من أنواع معينة منتقاة . خامساً ، هناك شواهد عديدة على قربانٍ حيواني تمّ عند الدفن ، وعلى (فنٍ موازٍ لبقايا الحيوانات المذبوحة) . سادساً ، لدينا أمثلة كثيرة على هدايا جنائزية مكونة من أدوات أو عظام حيوانية منتقاة ، وقد وجدت الأدوات حتى في قبور الأطفال أوالمواليد الجدد"(٦) .

يمكننا ان نضيف ظاهرة ملفتة للانتباه ميزت الباليوليت الأعلى والأوسط في الشرق بعامة وهي خلّوه من فن الكهوف الذي امتازت به كهوف اوروبا ، وكان ظهوره دالة على أعلى حسٍ روحي ووجداني توّج به إنسان العصر الحجري القديم تشوقاته الدينية والمثولوجية ، ورغم اننا لا ننفي إمكانية نشوء فن كهفي متميز في الشرق وفي مناطق الشام الجبلية وشمال العراق ، لكننا لن نقحم هذا الفن في تحرينا عن مثولوجيات مشرقية شامية وأردنية على وجه التحديد .

ولأننا نفتقد الحجة في العثور على دمى أنثوية في الاردن في الباليوليت الاعلى لذلك سنقتصر في حديثنا عن نمو الشعور الميثوبي الذي عبر عن نفسه بـ(القوة القدسية) ، فقد ارتفعت هذه القوة الى مستوى الأداء العملي عبر الممارسات السحرية التي كان الانسان يمارسها بأشكالها (الفتيشية والأرواحية والطوطمية) والتي تشكل مراتب متدرجة في نمو الميثولوجي السحري وطغيانه على الممارسات اليومية البسيطة كالغذاء والجنس والنوم ، فقد رادف السحر هذه الممارسات وعجنها وحولها الى طقوس في مرحلة الباليوليت الأعلى وبدأت تتهيأ الأرضية العقلية والروحية المناسبة لنقلة في المعتقدات السحيقة القدم وفي تكريس فن السحر على أنه الصيغة (العلمية والعملية) المناسبة للتعامل مع العالم وعجنه والسيطرة عليه واعادة تشكيله ، وهنا نعمل الى التأكيد بأن الآلهة مازالت غير حاضرة في عقل الباليولتي أو في أرضه أو في مجاله القدسي .. لكن (المقدس) كان حاضراً . لقد كان السحر هو المقترح الأمثل لصياغة الروح اللاهوتي عنده "والحقيقة ان مؤسسة السحر بكاملها تقوم على مفهوم القوة السارية ، معتقد الانسان الباليوليتي ، الذي راكم الزمان فوقه غبار النسيان ، ولم يبق منه سوى طقوس معلقة في الفراغ"[٧] .

لقد كان تقدم الباليوليت من أدناه الى أعلاه بطيئاً في أوروبا ولكنه أنجز ذروة تقدمه في الباليوليت الأعلى "ليبلغ أوج ازدهاره في عصر الحضارة المجدلانية التي تمثل المرحلة الأخيرة في الباليوليت الأعلى المؤرخة على حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ق.م. بعدها تراجع بشكل مذهل فن الانسان العاقل الأوروبي ، وتراجع الدور الحضاري لأوروبا أيضاً لتعود الشعلة من جديد الى المشرق وبلاد الشام تحديداً[٨] .

ورغم ان ظهور صور وتماثيل الإلهة الأم في أوروبا كان مبكراً في الباليوليت الأعلى الا انها عادت الى الظهور بكثافة وقوة في مواقع أثرية في الميزوليت والنيوليت الشامي والرافديني والأناضولي .

شكل (٨)
الإلهة الأم في الباليوليت الاوروبي
١ . ليسبوغ فرنسا
٢ ، ويلندروف النمسا

(٢)

(١)

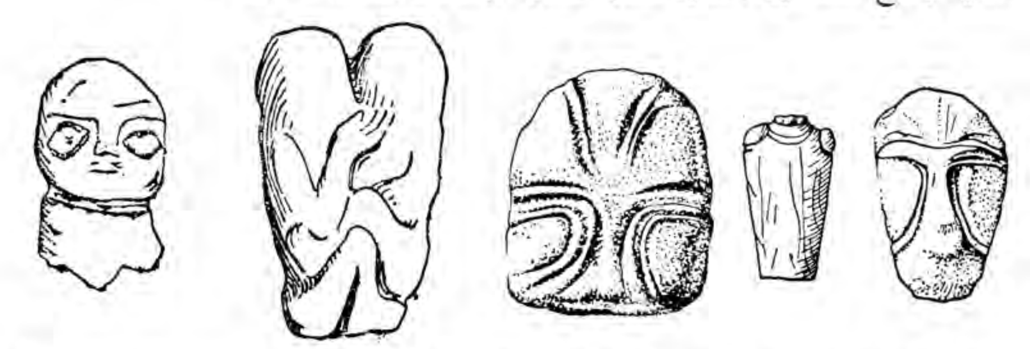
مثولوجيا الميزوليت

أظهر الانسان القديم في الأردن في هذه المرحلة تخصصاً أشد في صيد وأكل أنواع محددة ومختارة من الحيوانات وبدأت تظهر الى الوجود بعض الأدوات المتطورة التي كان يستعملها في حياته الاقتصادية . مثل أدوات الطحن والجرش والمنجل وغير ذلك . واستطاع هذا الانسان ان يعثر على "أكواخ دائرية الشكل ، بسيطة في بنائها ، تعود لبداية المرحلة الانتقالية في موقع « عين تجويف » على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا ، وقد اعتبر بعض الباحثين ان مثل هذه التجمعات البشرية في منطقة معينة ، ولجوء الناس فيها الى عدد من الأكواخ أو البيوت خلال فترة معينة من السنة تمثل بداية أولية للقرى ، وأطلقوا عليها اسم (قرى الصيادين) . ومع مرور الزمن ازداد عدد سكان هذه القرى وتحسن تنظيمهم الاجتماعي والاقتصادي خاصة في نهاية المرحلة الانتقالية . فقد قاموا بدفن موتاهم بعناية ومارسوا الفنون والمعتقدات الدينية"(٩) .

ويظهر في هذا العصر نوعان من الثقافة في الاردن ، الأولى هي الثقافة الكبارية والثانية هي الثقافة النطوفية . وقد اطلق اسم الأول نسبةً لمغارة (كبارا) التي تقع على بعد حوالي ١٥ كم الى الجنوب من جبال فلسطين . وقد مثلته مواقع مناطق وادي الحمة بالقرب من غور الاردن ووادي الحسا والحسمى الشمالية ووادي المدمغ والخزانة ووادي جيلات في الاردن وتمتاز الثقافة الكبارية بصناعة الأدوات الصوانية المدببة والمكاشط والمخازر والمسننات وتدجين الغزلان والخنازير والأرانب والثعالب والطيور .

أما الثقافة النطوفية فتعدت ذلك باتجاه بوادر الزراعة والقرى الأولى البدائية ، وقد سادت هذه الثقافة مناطق مثل البيضا (قرب البتراء) وتليلات الغسول . وقد شكلت ثقافة الغسوليين النطوفية بؤرة هامة اجتمعت حولها مؤثرات ميزوليتية ونيوليتية ونحاسية لاحقة ، واستطاعت أن ترث الثقافة النطوفية مباشرة مع الثقافة اليرموكية التي قامت قرب نهر اليرموك "وفي الحقيقة فإن انتشار معالم مايعرف اليوم بالحضارة الغسولية « نسبة الى تليلات الغسول » كانت في منطقة شمال البحر الميت وشمال النقب وساحل البحر المتوسط"(١٠) .

لقد تميزت الديانة النطوفية بالاهتمام بالحيوان وخاصة الغزال والأيل واليحمور والخنزير البري . وما زال الثور غير ظاهر في قائمة الحيوانات التي اصبحت مقدسة بعد ذلك ، وظهر فيها ايضاً تدجين الكلب . وسنرى أن النطوفيين أبدوا اهتماماً بنحت التماثيل الحيوانية (الغزال ، الكلب) والتماثيل الإنسانية كالتمثال الغرامي في موقع عين صخري والذي يمثل عملية جماع لشخصين جالسين صدراً بصدر ، وأشكال إنسانية أخرى .



شكل (٩) : تماثيل نطوفية (١، ٢، ٣) من عين الملاحة (اشكال شبه بشرية) . (٤) من عين صخري (العاشقان) . (٥) من مغارة الواد (شكل بشري)

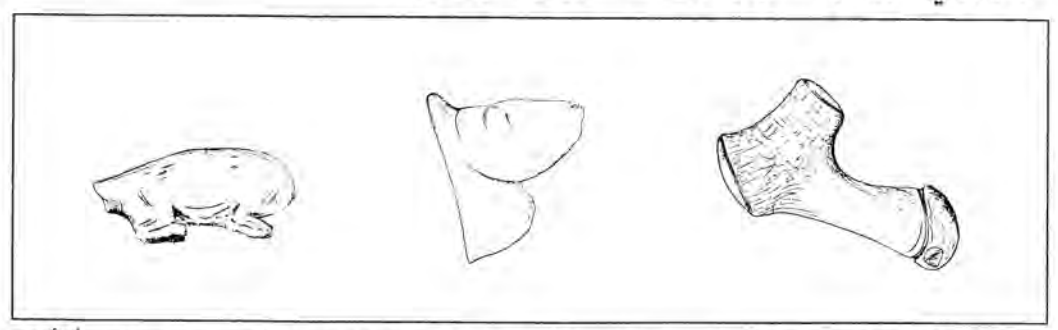
ويبدو أن مثولوجيا الميزوليت تركزت في ثلاثة اتجاهات هي :

١. جعل القوة العليا (القدسية) أو (السحرية) ممثلة في الحيوان وخصوصاً الأيل والحصان .

٢. الصورة الهيولية الأولى للجنس واعتباره طاقة مخصبة (تمثال عين صخري) .

٣. الأنصاب .

وقد رأينا اهتمام الانسان الميزوليتي في الأردن بالحيوان كاستمرار لاهتمام الإنسان الباليوليتي . ويبدو الكلب والأيل هما الحيوانين الرئيسين .



شكل (١٠) تماثيل نطوفية حيوانية (١، ٢) من ناحال اورون (رأس كلب) (٣) من ناحية ام الزويتية (جسد حيوان ربما كلب أو أيل)

ويرى بعض الباحثين "ان هذه الشعوب كانت تميل بشكل مقصود ليس فقط لتمثيل الاله ، قبل كل شيء ، على شكل حيوان ، وهذا ما تؤكده الاكتشافات من عصور ما قبل التاريخ ، وإنما الى تشخيص هذا الإله ، تحت صورة (سيد الحيوانات) وحامي الطرائد وسيد الحياة عموماً "[11] . ولقد قامت الحضارة النطوفية على نزعة روحية وفنية مبكرة وحفلت منحوتاتها ونقوشها وأدواتها الأولية بالكثير من مظاهر هذه النزعة ، ويظهر ذلك جلياً في الكثير من لقى المواقع النطوفية في الشام مثل عينان ووادي فلاح ، وفي الأردن بشكل خاص مثل "رأس الحيوان المنقوش على المنجل من الكباراه والرؤوس البشرية المكتشفة في عينان أو رأس الغزال المأخوذ من مقبرة في وادي فلاح فإنها تظهر تنظيماً محدداً لفن الرسم للإنسان والحيوان أكثر حيوية وزهواً . كما ولا ينبغي أن ننسى المجموعة الجنسية المأخوذة من (عين صخري) والموجودة حالياً في المتحف البريطاني"[12] .

أما المظهر الثالث من المثولوجيا النطوفية فهو عبادة الأنصاب ، فرغم أن الكثير من الباحثين يرى ان هذه العبادة ظهرت في العصر الحجري الحديث (النيوليت)[13] وبعضهم يؤكد أنها من عبادات العصر الحجري النحاسي ، لكننا نرى أن الأنصاب (Dolmens) والمنهير (Menhir) والأحواض الحجرية الضخمة . واجمالاً نقول ان هذه المظاهر تشكل ما تعارف عليه دارسو الأديان القديمة بالديانة الميغاليثية (Megalithic) أي «الأحجار القديمة» ويرى مرسيا إلياد في كتابه (تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية) إن الديانة الميغاليثية ظهرت في مناطق متفرقة من اوروبا في الألف الثالث ق.م. ، ويرجح أن يكون مصدرها آسيوياً ، ونرى أن الأردن وفلسطين هما أهم الأماكن الآسيوية التي ظهرت فيها هذا الديانة مبكرة في نهاية العصر الحجري القديم وبداية الوسيط ثم انتشرت الى اوروبا بعد ذلك ، فقد "وجدت في مرتفعات فلسطين وشرق الاردن مدافن ضخمة سميت دولمين (Dolmen) وصخور كبيرة قائمة تصل احياناً الى ما يقرب ١٥ قدماً تسمى منهير (Menhir) يصعب جداً إعطاؤها تاريخاً معيناً وربما تكون من عمل رجال أوآخر العصر الحجري القديم ، ونظراً لضخامتها فقد سرى الاعتقاد بانها قد بنيت من قبل عمالقة من البشر ، وهذا أمرٌ نجد صداه في العهد القديم وترفضه الأدلة الحديثة"[14] . ان الأنصاب والمانهير والدوائر الحجرية تدل على طريقة معينة في دفن الموتى ويتبع ذلك نظام من المعتقدات الدينية والمثولوجية

التي كانت غالباً ما تقرن بالتضحية والقرابين الحيوانية . ورغم أن الديانة الميغاليثية لم تحظ بدراسات واسعة الا انها تؤشر واحدة من أهم عقائد الانسان القديم حول الموت وما بعده ، فهي أول تداول ميتافيزيقي جسّد عقائد الانسان في هياكل العراء والقبور الضخمة قبل ظهور المعابد ، وستشكل هذه الأنصاب الجذر الذي تميزت به لاحقاً الديانة الكنعانية واهتمامها بالمرتفعات وهياكل العراء ، والأحجار المنتشرة على الطرق الكبيرة . "ولقد وجدت حقولٌ من هذه الأنصاب في جهات كثيرة من شمالي الأردن وخاصة في وادي الأردن عند أسفل التلال الى الشرق من تليلات الغسول ، وفي الأراضي الوعرة تقريباً من حسبان وشرقي جرش وحوالي اربد ، ومن المرجح ان الدوائر الحجرية الكثيرة التي توجد هنا وهناك تعود أيضاً الى هذا العصر وان لها علاقة وثيقة بالأنصاب "(١٥)







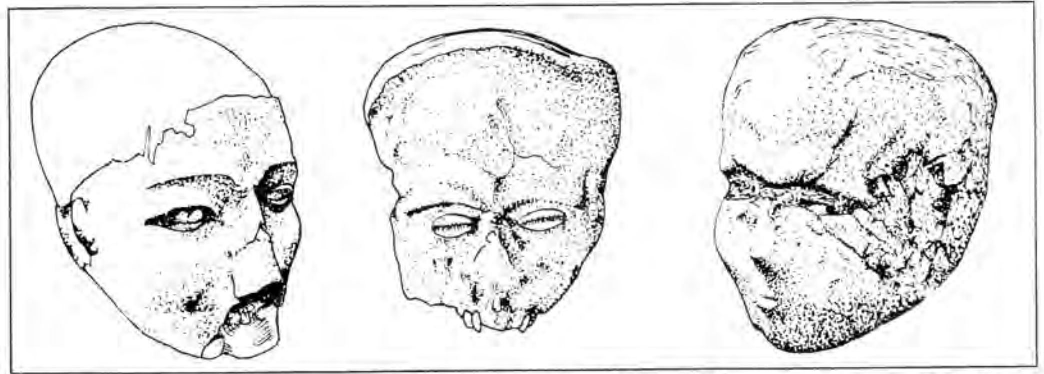
شكل (١١) : أنصاب ومانهير مختلفة وجدت في الاردن وفلسطين

مثولوجيا النيوليت

يبدو أن العصر الحجري الحديث قدم مبكراً الى وادي الأردن بسبب الاستيطان الزراعي ونشوء القرى مما أعطى امكانية لنشوء ثقافة زراعية مختلفة عن ثقافة الصيد والكهوف تلك التي سادت في العصر الحجري القديم ، وتشكل مناطق الهضاب (البيضا في الجنوب وأبو صوانه قرب جرش في الشمال ووادي الأردن) أهم مناطق النيوليت المبكر .

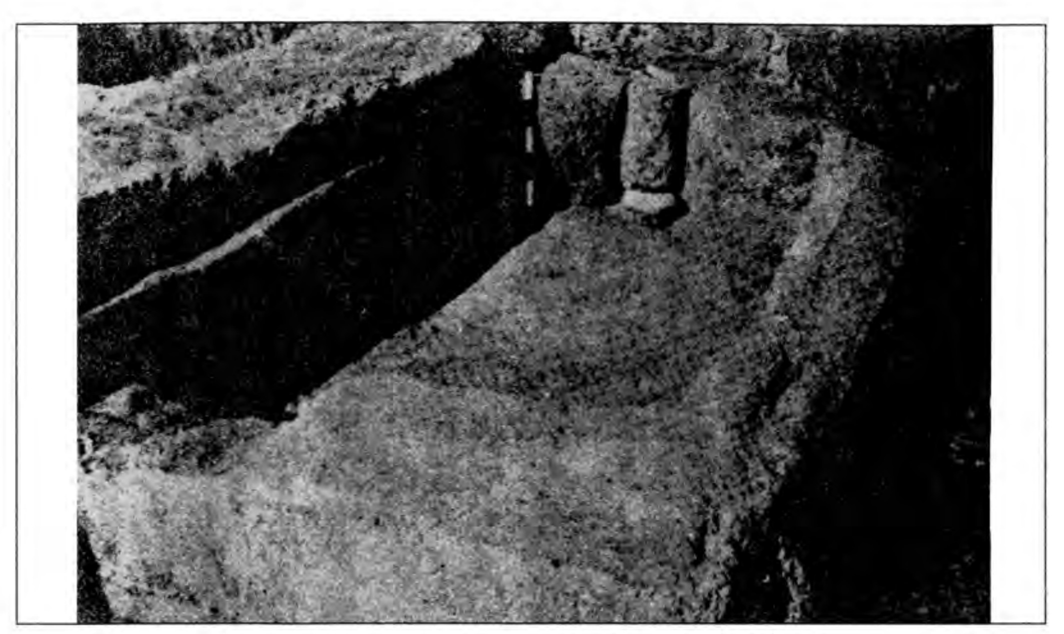
١ . المصلى العائلي

لقد ظهرت في عصر النيوليت مجموعة من العقائد الدينية المحملة بمثولوجيات مختلفة، فهناك عقيدة التضحية بالحيوانات الصغيرة كعلاقة بين الانسان والقوة العليا التي اصبح الاله يمثلها فيما بعد . وهناك الشعائر الجنائزية التي تفصل الجماجم البشرية عن أجسادها في أثناء الدفن . ولقد كشفت في فترة مبكرة من النيولت في أريحا مجموعة من الجماجم المنفصلة أو الهياكل العظمية الكاملة التي تدل على دفن جماعي أو فردي ذات طابع مقدس أو ديني . كذلك كشفت (كينيون) عن مصلى عائلي "وشبهت العمود الصغير بالنصب المسمى مسبوت (Masseboth) لدى الساميين"(١٦) .



شكل (١٢) : جماجم منفصلة عن أجسادها في أريحا (نيوليت ما قبل الفخار) وهي تدل على ديانة (عبادة الجماجم)

وبالإضافة الى عقائد (التضحية بالحيوان) و (عبادة الجماجم) و (ظهور المصلى كمكان للعبادة) فاننا نرى عقيدة (التضحية بالانسان) وقد كانت واضحة من خلال الأطفال . ولاشك أن فكرة الأضاحي قضية مثيرة ظهرت "مع بدايات التدجين وذلك على الرغم من ان التفسير الأيدولوجي الدقيق للأضاحي في ا لخيام غير واضح ومن المؤكد أن هذه العقيدة استمرت في العصور التاريخية اللاحقة مباشرة"(١٧) .



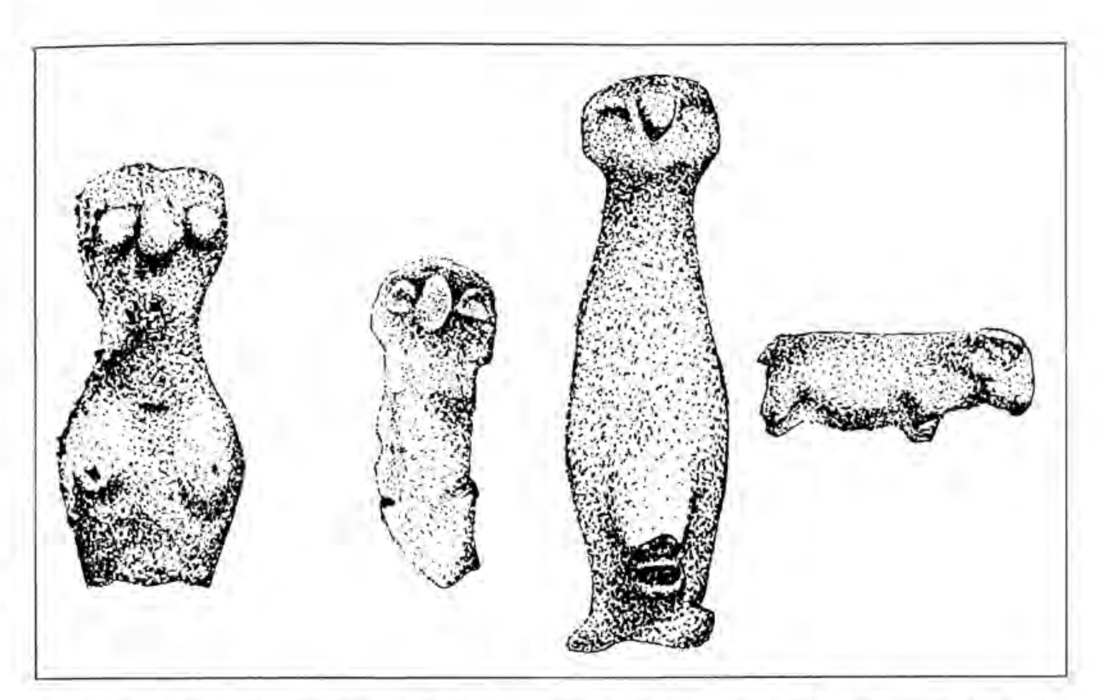
شكل (١٣) : المصلى العائلي في اريحا ويظهر المسبوت في احد جدرانه



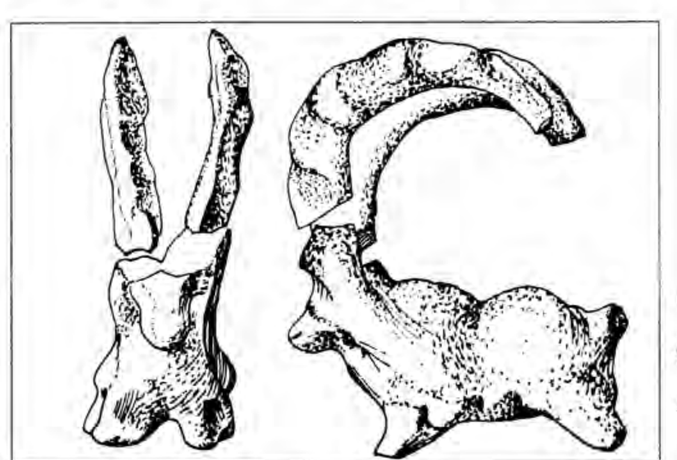
شكل (١٤) : (١) شكل تخطيطي للمصلى العائلي ، (٢) مزار في اريحا اكثر تطوراً من المصلى العائلي

٢- من الالهة الأم الى الالهة الرهيبة

أما النمط الرابع من العقائد الدينية فقد كشفت عن منطقة (المنحطة) في الضفة الغربية من خلال تماثيل حيوانية ذات قرون طويلة وتماثيل بشرية مضخمة لعيون والأنوف وجرى التركيز على أعضائها الجنسية الذكورية أو الانثوية . وكذلك تزودنا منطقة البيضا بما يعزز هذا النمط من العقائد الدينية .

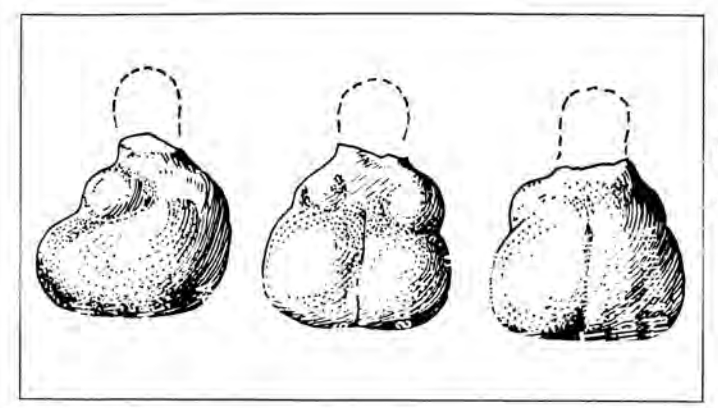


شكل (١٥) المنحطة : تماثيل شبيهة بالانسان رقم (١، ٢، ٣) تماثيل شبيهة بالحيوان رقم (٤) من عصر النيوليت ما قبل الفخار



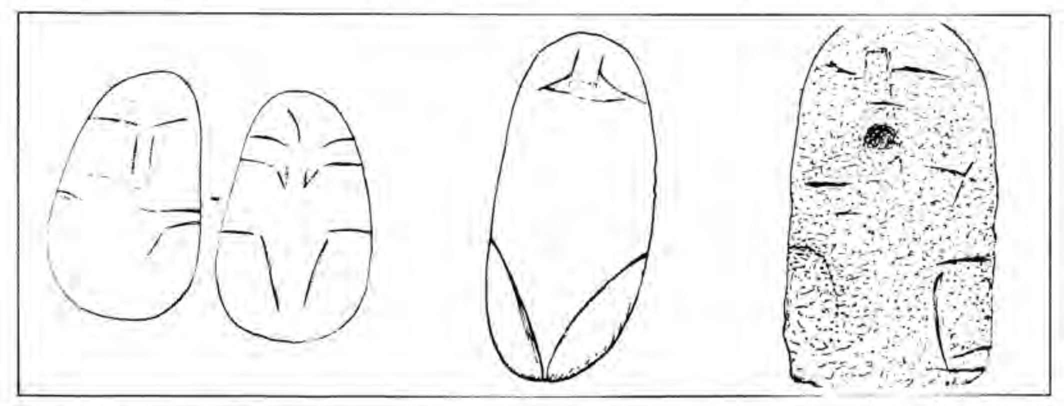
شكل (١٦) : البيضا عنزة برية من الطين المشوي النيوليت ما قبل الفخار

وبذلك بدأنا نتجه نحو العقيدة الخامسة في النيوليت وهي عبادة (الالهة الأم) . فقد زودتنا وثائق موقع البيضا الأردنية بحقائق أكبر حول نشاط تقني أعلى وتخصص زراعي أشد وفيها يظهر لأول مرة تمثال لإلهة عارية بدينة جالسة ذات نهود بارزة دون أذرع ورأسها مكسور .



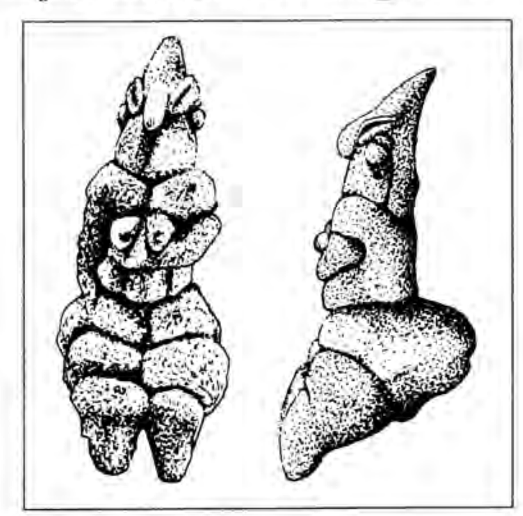
شكل (١٧) : البيضا أو الدمى العشتارية التي تذكر بـ(الالهة الام) نيوليت ما قبل الفخار

ويبدو ان نهاية النيوليت شهدت تطوراً سريعاً باتجاه ظهور (الالهة الام) في عموم الشام فقد بدأت هذه الآلهة بأخذ صفات مضاعفة وجديدة وأطلق عليها اسم (الأم الرهيبة) (Mere terrible) في فلسطين والأردن ، فقد تطور تجسيد القوى الجنسية والروحية والشيطانية في التماثيل الأنثوية وظهرت لنا تماثيل لا يمكن إلا أن تدل على (إلهة) ذات قوى بطش وسحر فقد "أبرزت البطن والنهود بخاصة ، وكانت الأذرع مثنية وترفع النهود أحيانا وقد عومل الوجه بشكل مقصود ليظهر مرعباً بأنفه الضخم وآذانه التي على شكل كرات دائرية ملصقة من الجهتين وعيونه التي لمسنا الظهور الأول لها في تل الرماد وجبيل"[١٨] . لقد تطورت الأم الرهيبة من شكلها البدائي الانثوي البسيط في البيضا الى شكلها المركب المزدوج الانوثة والذكورة في المنحطة وشار هاغولان والتي سماها البعض فينوس القضيب (Venus-Phallus) التي تظهر رغبة الانسان لتصوير الانسان بجنسيه الذكري والانثوي ، ثم ظهرت النماذج المركبة للام الرهيبة في المنحطة وشارها غولان .



الشكل (١٨) : تماثيل على حصى من المنحطة وشارهاغولان تمثل الانثى - الذكر والتي نجدها متطورة اكثر في الشكل (١٩)

لقد سادت وبشكل كبير في الاردن في النيوليت المتأخر عبادة الالهة الام والاهة الرهيبة تحديداً والتي كانت تجمع في صفاتها ثلاث قوى ١) الانوثة ٢) الذكورة ٣) الحيوان . وكان هذا المزج بمثابة مثولوجيا النيوليت في افصح تجلياته الاله الانثى والاله الذكر والاله الحيوان اجتمعوا في (الالهة الرهيبة) التي هي حدٌ قدسي مصنوع من الحجر أو الطين كان بمثابة البرزخ بين عالمين دنيوي وميتافيزيقي .

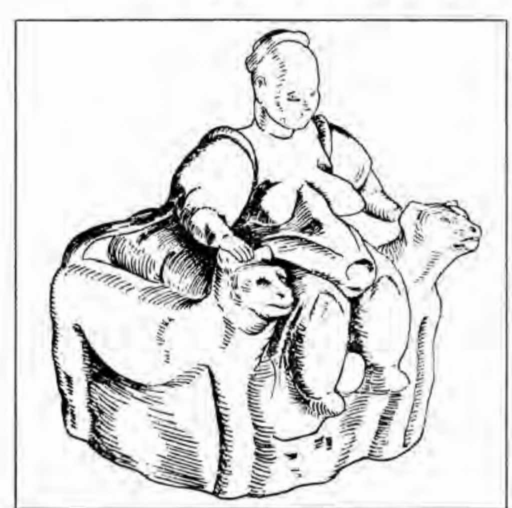






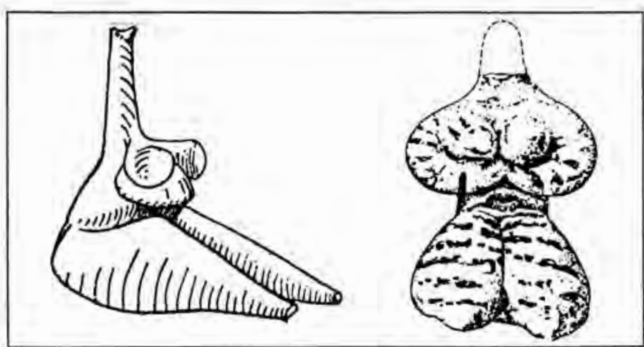
شكل (١٩) : تماثيل (الأم الرهيبة) من (المنحطة) والتي تجمع فيها قوة الذكر والانثى والحيوان

ويكاد مشهد (الالهة الام) يتشذب ويكتمل في منطقة (شتال حيوك) الأناضولية حيث تظهر هذه الالهة بطريقة كهنوتية قائدة تخضع لها الحيوانات ويدل شكلها الضخم على قوى جسدية واضحة واصبح ما يقابل هذه الالهة الام في الاردن ما وجد في (المنحطة) التي "لاتترافق الآلهة مع الحيوانات ، وقد لاحظنا الانطباع (الشيطاني) الناتج ليس فقط عن المبالغة في التصوير وانما عن التشويه الاصطلاحي للصفة الشتريحية للمرأة ، ومن جهة اخرى ، وكما في شتال حيوك ورأس الشمرة ، فقد مثلت الآلهة الام هنا جالسة ونحن نعلم أن فينوس (الاورينياسيه) كانت بدينة ، ولكن عادة اظهار المرأة جالسة على جزء من مقعدها لم تظر قبل عصر النيوليت ما قبل الفخار الذي اعطى نماذجها الاولى"(١٩) .



شكل (٢٠) : الالهة الام في اقصى تطورها : في شتال حيوك وهي في وضع ولادة ترافقها الحيوانات

ان ظهور الدمى العشتارية الجالسة في النيوليت وهي ذات شكل هرمي يفارق كيثراً الدمى العشتارية ذات الشكل المغزلي التي كانت قد ظهرت في اوروبا في الباليوليت . وهذا تطور يعكس الوظيفة التي من أجلها اصبح هذا التحول في الشكل (من المغزلي الى الهرمي) حيث كانت "الدمية المغزلية المستدقة الطرفين للعصر الباليوليتي ، تغرس في الارض في سياق طقوس قد تكون ذات علاقة بالخصب ، أما الدمية المخروطية المستقرة على عجيزتها ، فيبدو أنها كانت معدة لأن توضع فوق المحاريب أو المذابح في المقامات المكرسة للطقوس الدينية لأن معظم هذه الدمى النيوليتية قد وجدت قرب هذه المقامات"(٢٠) .



شكل (٢١) : الالهة الأم الباليوليتية (المغزلية الشكل) والإلهة الأم النيوليتية (الهرمية الشكل)

٣. عبادة الجماجم

ومع الانتشـار الطاغي للزراعة وتكون المجتمعات الزراعية النيوليتية تبدأ عبادات (الحيوان) و (الأجداد) و (الجماجم) و (الأرواح) بالانحسار تدريجياً لتنصهر أو تجتمع في بؤرة الإلهة الأم الزراعية المخصبة في صورة سحرية ميثوبية ، وينحدر مع تلك الصورة الدينية الأولى (مشودولوجيات دينية) ظهرت من خلال الفتيشيه والأرواحية والطوطمية .. وهي عقائد سحرية ، وبهذا الاجتماع بين السحر والإلهة الأم تصبح هناك امكانية لظهور (الأسطورة) بشكلها المتماسك .

إن المثولوجيا التي يقدمّها لنا النيوليت تظهر مبعثرة ومشظاةً بل وممزقة فيما أتى من الباليوليت السحيق وما جرفته عقائد خيالية حول الحيوان والجماجم والأجداد . وما زال هناك شوط طويل لنضج عقلي يخص الإلهة الأم لتظهر المثيولوجيا بصورتها المتماسكة وليكون الحديث عن خلق كوني أو خلق طبيعي واضحاً وأساسياً . وحتى صورة خلق الإنسان من الأرض كالحشيش ما زالت بعيدة عن العقل النيوليتي المقيّد بالأصول والمربوط بظلال الأحجار وأدوات القتل والصيد .

لقد تطورت الثقافة النطوفية في النيوليت وتخصصت وكادت تنشطر الى ألوان وثقافات فرعية ، فبالإضافة الى الاهتمام بالغزال والأيل الأسمر ، ظهر الثور باعتباره قوة روحية وجسدية مخصبة "إن رأس الثور هنا قد صار مركزاً لإجماع روحي واختيار ايدولوجي يتخطى شكله الطبيعي ، ليغدو رمزاً للقوة السارية في الطبيعة ، كما ان هذا الاختيار الايديولوجي لم يكن مدفوعاً بضغط من الوسط الطبيعي قدر ما كان مدفوعاً بضغط فكري من نوعٍ خاص"[٢١] . وهكذا تنحسر عبادة الحيوان العفوية التلقائية لصالح مثيولوجيا الحيوان ذات الطابع الفكري والروحي والمقرر سلفاً .

كذلك توحي لنا الجماجم النيولينية في أريحا المعادة التشكيل كإنها "صورة شخصية بورترية للسلف المبجل ، واستخدم في عملية التشكيل عجينة من كلس وطين وملئت محاجر العيون بأصدف تعطي شكل البؤبؤ ، ثم طلي الوجه بلون يماثل لون البشرة الانسانية ، وتمّ حشو الجمجمة من الداخل بالطين المدكوك لأجل تقويمها "[٢٢] .



شكل (٢٢) : جمجمة نيولينية من أريحا ، في العيون أصداف وعلى الوجه طلاء وهي محشوة من الداخل بالطين .

وهناك رأيان أو اكثر في ظهور جماجم من هذا النوع يرى (كوڤان) بانها تحمل دليلاً على ما يمكن تسميته لعبادة الجماجم التي تجعل من الرأس مقراً للروح أو وعاءً للقوة المقدسة ويمكننا أيضاً حسب (كينيون) الاستنتاج بأن هذه الجماجم لم تجمع من "الأعداء الموتى بل انها حفظت كأوعية لقوة مقدسة غير محدودة وعلى الأرجح فان اجلال ارواح الأفراد الموتى كان الدافع لتوسطهم بهذا الشكل "(٢٣) .

ويرى فراس السواح أمراً مختلفاً فيها فهو يعتقد ان ظهور التشخيص في مثل هذا الجماجم ومحاولة الانسان بتشكيل ملامح وجه انساني هو بدء ظهور فكرة الاله حيث "دخل الفكر الديني مرحلة التشخيص ، تشخيص القوة غير المشخصة (سواء عن طريق تشكيل الجماجم أو تشكيل الحجر والصلصال فيما بعد) . وأخذ الانسان ينظر الى القوة من خلال تمثيلات مشخصة وشيئاً فشيئاً تحولت القوة الى شخصيات ذات قوة ، وتكسر مبدأ القوة السارية الى عدد من القوى ، وظهرت الآلهة"(٢٤) .

٤. التماثيل الجصيّة

وجدت التماثيل الجصية (Plaster Statues) في ثلاثة مخابيء معدّة للدفن في منطقة (عين غزال) وهي تظهر مجموعة من البشر تشكلوا في مادة جصيّة بهياكل قصبية ويتراوح طولها بين (٤٠-٨٠) سم . وقد تجمعت بطريقة ثلاثية ويرجع تأريخها الى النيوليت قبل الفخاري (٧٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م) . وتعكس هذه التماثيل الجصية تمثيلات مشخصة ، وتكاد هذه النصب او التماثيل الجصية تشكل أول الأوثان (حيث الوثن هو جثة كاملة معمولة على صورة الانسان) التي عبدت بعد الانصاب الميزوليتية (التي هي احجارٌ بلاصورة بشرية او حيوانية يطاف حولها) .

وهذا يدل على تحول من الانصاب الى الأوثان ، والذي يعكس تطوراً في العقائد الدينية والروحية .



شكل (٢٣) : تمثال من عين غزال

ه. زينة ويوريّا

عثر على التمثال المعروف باسم يوريّا (Uriah) في عـــام ١٩٨٣ في (عين غزال) مع مجموعة اخرى في مخابىء معدة للدفن منصوبة على قاعدة من القصب أو الأسل . وقد تميزت بـرقبة طويلة وبما يدل على وجود شعر على الرأس وعينين يؤشـرهما بؤبؤ أسود ، وأيدٍ تتقاطع على الصدر مع كتفٍ عريض وكأنها تبدو في حالة صلاة .

أما رفيقها (زينة Zeina) فأكبر حجماً ويقف على ساقين ، وعلى وجهه ورقبته منزلقات بيضاء ولون برتقالي ، وضع بالأصابع عـمودياً على رجله اليسـرى . وقـياساً ليـوريا فان الأذرع تبدو قصيرة ونحيلة[٢٥] .

ويبدو هذان التمثالان مؤشرين على منعطف فني كبير في وادي الأردن فِهما أول تمثالين صنميين .. ولا يعرف ما إذا كانا يُعبدان أم لا .. رغم ان وقت ظهور آلهة مشخصة ما زال غيـر قـريـب ، ولكننا يمكن ان نطلق عليـهـمـا تسـمية (آدم وحواء الأردن) لما ينطوي عليهما شكلهما ووضعهما من ايحاءٍ بحالة آدم حواء .



شكل (٢٤) : من عين غـزال (آدم وحـــــــواء الأردن) زينة ويوريا : تمثـــالان من عصر النيوليت قبل الفخاري ٧٥٠٠-٥٥٠٠ ق.م.

٦. تماثيل التراكوتا

تعتبر التراكوتا (Terracotta) أي الطين الناضج والموجود في (عين غزال) من مظاهر الباليوليت قبل الفخاري . وتنقسم هذه التماثيل الى إنسانية وحيوانية ، وهي تماثيل صغيرة ، الأنثوية منها تمثل الإلهة الأم وهي بأعضاء أنثوية كبيرة وخصيبة مثل مناطق الحوض والصدر ويظهر عضوها التناسلي كشق عرضي كبير . وهناك تمثال لشخص منطرح على الأرض وقد وضع يده تحت رأسه بطريقة تدعونا لأن نسميه بـ(المفكر) . وهناك تمثال ذكري يبدو وكأنه إله .

أما التماثيل الحيوانية فيمكن تمييز العنز والغزال والخروف والكلب . وتعبر مجموعة هذه التماثيل الطينية عن اهتمام بتشخيص الحيوان او الانسان وتجسيد صورته في تمثال .

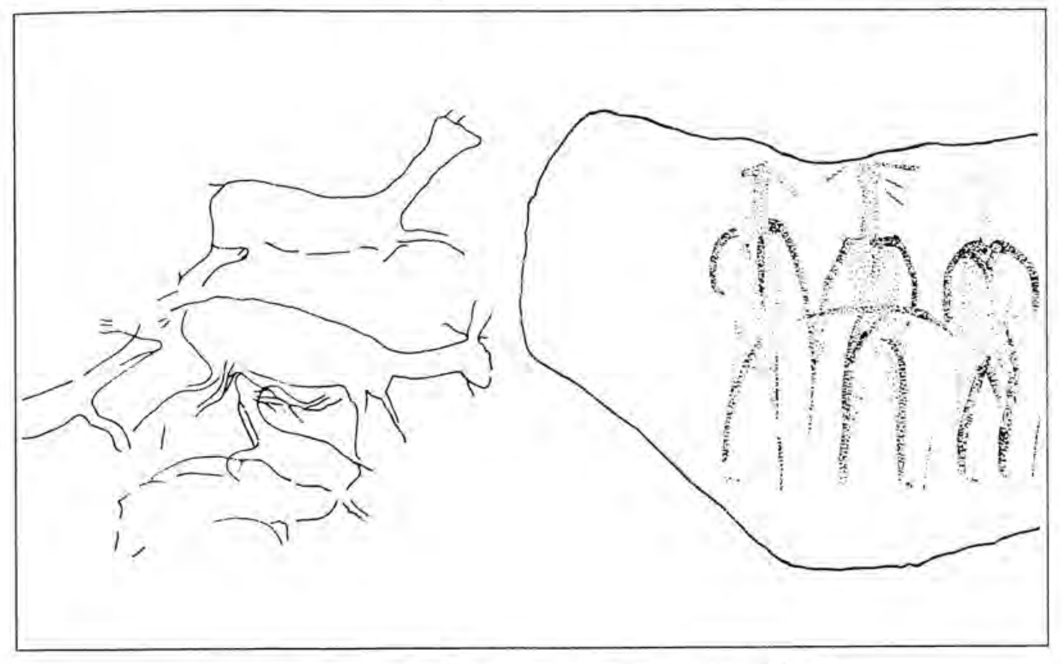


شكل (٢٥) تماثيل التراكوتا ، المجموعة الانسانية تمثل الاله ، الالهة الأم ، المفكر ، تمثال نسائي ، دمية بشرية
المجموعة الحيوانية تمثل مجموعة حيوانات مختلفة

٧. رسومات الصيادين

عثر في (ذويلة) على رسومات تعود الى النيوليت ما قبل الفخاري (ب) على صخور بازلتية في الصحراء الغربية حوالي (٧٥٠٠ - ٥٥٠٠) ق.م ، والرسومات عبارة عن لوحتين ؛ الأولى تمثل مجموعة من الصيادين وقد وقفوا على شكل صف من الرجال يبدون وكأنهم يمسكون بأيدي بعضهم ، أو ان هناك ما يشير الى سلاح في أيديهم .

أما اللوحة الثانية فتشير الى مجموعة من الحيوانات صاحبة القرون ولعلها الغزلان أو الأيل ، وتشير اللوحتان الى استمرار تقاليد الصيد التي كانت سائدة في الميزوليت .



شكل (٢٦) : لوحتان على صخور بازلتية، الأولى : مجموعة الصيادين
الثانية : الحيوانات المصطادة من ذويلة – الصحراء الغربية

٨. الثقافة اليرموكية



شكل (٢٧) : رأس لتمثال يرموكي من الغضار منطقة اليرموك

إذا كنا قد حددنا نمطين من الثقافة في الميزوليث الأردني هما (الكبارية والنطوفية) فإننا نستطيع أن نحدد نمطين من الثقافة في النيوليث الأردني هما (اليرموكية والغسولية) .

والثقافة اليرموكية فرعٌ من المرحلة الأخيرة من عصر جبيل الحجري الجديد الأوسط في وادي الأردن التي حملت لنا نمطاً متقدماً من الصناعة الفخارية . ويظهر لنا رأس تمثال يرموكي

مصنوع من الغضار قفزة متقدمة في تمثيل المعتقدات الدينية "إضافة الى التماثيل الصغيرة المصنوعة من الحصى والتي تتميز بالملامح المنقوشة على غرار تماثيل جبيل في العصر الحجري الحديث ، لقد ظهرت هذه التماثيل مع تماثيل أخرى من الغضار المشوي والتي تتميز أيضاً بوجود العيون الجاحظة والأنوف والشفاه البارزة"(٢٦) . ومعروف أن الثقافة اليرموكية تقابل ثقافة حلف والعبيد في العراق القديم اللتان مهدتا لظهور المدنية والدخول في العصور التأريخية "لقد استطاعت الحضارات المحلية في فلسطين وسوريا أن تحافظ على استمرارها لكن أثر هذه الحضارات في حضارة الشرق الأدنى ليس واضحاً تماماً"(٢٧) .

إننا لانستطيع أن نفترض وجود تقدم حضاري نوعي في الثقافتين اليرموكية والغسولية يوازي ما جاء به عصر العبيد مثلاً حيث ظهرت وعلى نحو مذهل المعابد العبيدية التي تدل على تصورات دينية جديدة . ولكننا نقول أن الحضارتين اليرموكية والغسولية قدمتا عوناً محلياً خاصاً استطعنا تلمس مستوياته الروحية والفنية في اللقى والتماثيل والنقوش .

٩. الثقافة الغسولية

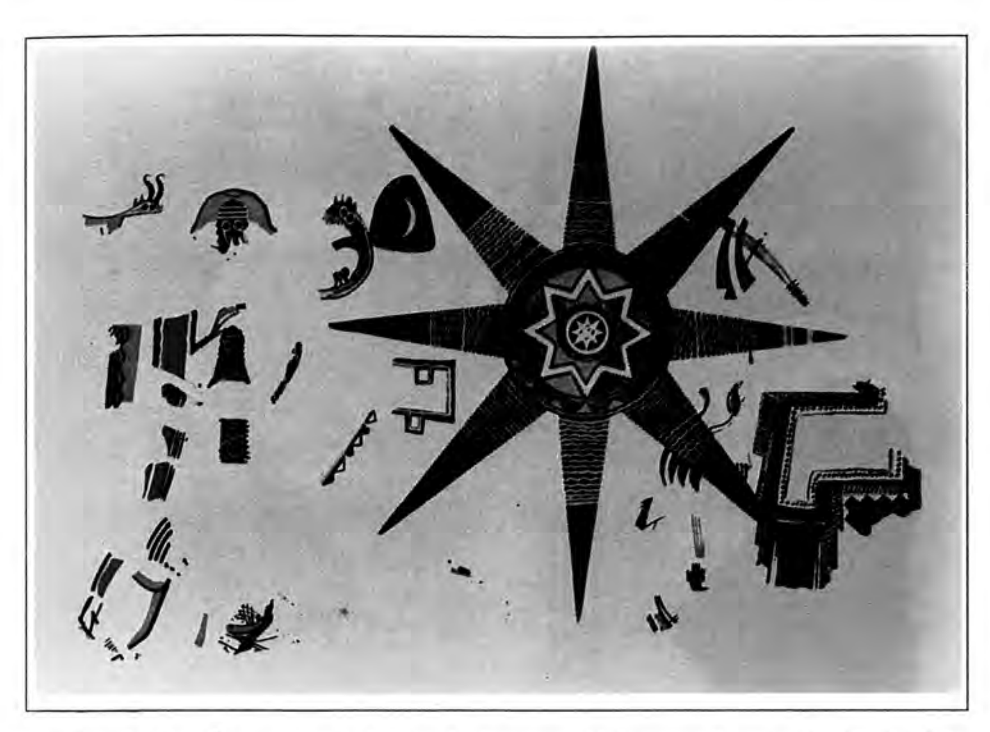
تشكل الثقافة الغسولية الحلقة الأخيرة من النيوليت والحلقة الأولى من ثقافة العصر النحاسي . ويبدو أن الغسوليين هم بقايا فلاحي النيوليت الذين أصبحت معرفتهم أكثر رقياً من غيرهم في العصر الحجري النحاسي .

وقد عثر من مجموع سبعة رسوم جدارية اكتشفت في تليلات الغسول (Tuleilat El-Ghassul) الثلاثة الأولى وجدت بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ واشتملت على نجمة الغسول (Star of Ghassul) ونقشان آخران ، الأول هو النقش الهندسي (Geometric) والثاني هو نقش النمر (Tiger) . وهناك أيضاً القطعة المتعرجة (Zig Zag fragment) والرسم الجداري المسمى بـ(الموكب Procession)(٢٨) .

وسنتناول أهم رسمين جداريين وهما نجمة الغسول والموكب .

نجمة الغسول

تمثل نجمة الغسول واحدة من أندر وأجمل اللوحات الجدارية في الشرق الأدنى بأكمله والتي تعبر عن أواخر عصر النيوليت الذي نضجت فيه الأفكار الروحية والدينية لتمهد لعصر مركب جديد .



شكل (٢٨) : نجمة الغسول المرسومة على جدار في حدود الألف الخامس ق.م
وهي نجمة ثمانية وبداخلها نجمة ثمانية تضم نجمة ثمانية ثالثة ، وترمز النجمة الثمانية لفكرة الاله

وربما ظهرت فكرة الاله ، الذي أريد تشخيصه بالالهة الام ثم بالتماثيل البشرية ، رمزياً في مرحلة لاحقة . وقد تكون الطبيعة موئلاً لهذا الرمز ، فالشمس والقمر والنجوم تعطي للإنسان إمكانات هائلة في تشخيص القوة المقدسة أو السارية وترميزها ، وتعكس لوحة نجمة الغسول (في حدود الألف الخامس ق.م) اهتماماً مبكراً عند الغسوليين بالنجمة الثمانية الأشعة أو بالشمس ذات الأشعة الثمانية ، نجمة الغسول هي ثلاث نجمات ثمانيات واحدة بداخل الأخرى .. وكأن هذا الرقم يعكسُ عدداً لانهائياً من النجمات .. ولكنه رغم ذلك يمكن أن يتمثل بنجمة واحدة كبرى . ولنتأمل في جدل التعدد والتوحد هذا ، المعبر عنه برمز سماوي هو النجمة .. فقد يدل هذا على تشوّق انسان النيوليت للمطلق واحد يظهر في عدة مظاهر أو انه يعكس اهتماماً مبكراً بالكواكب وربما بعبادتها ، وهذا بحد ذاته أمر في غاية الأهمية .. فربما دلت هذه النجمة على سومر في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد له علاقة كبيرة بهذه النجمة الثمانية فالرمز المسماري دنكَر (Dinger) كما هو

معـروف يدل على الإلـه ويرسم بأشعـة ثمـانيـة . ومـعـروف أيضـاً أن النجـمـة الثمانية ارتبطت دائمـاً بالإلهة عشتـار وخصوصاً في شكلهـا ذي المربعين المتقاطعين الذي تشـيـر اليـه بوضوح نجـمـة الغسـول . فـهـل كـانـت نجمـة الغسـول هذه تشـيـر إلى (الزهرة) ، الكوكب الذي دلّ على الإلهـة عشتار ورمزها وبالتـالي تكون نجمة الغسـول حلقة وصل بين عشتار الالهة الأم المجسدة بتمثال خصبي وبين شكلها الرمزي الكواكبي ... ربما ؟

إن نجمة الغسـول تخبرنا بأكثر من شيء ففيهـا نجد البـواكير الأولى لمحاولات التـرميز عند الانسـان لينتقل بعد ذلك الى مراحل تجريدية أكبـر فتتخلق في أعمـاقة فكره (الاله) وفكرة (الكتابة) .

جدارية الموكب

تنتمي جدارية الموكب للثقافة الغسـولية في العصر النحاسي الحجري . وتمثل موكبـاً مكوناً من ثلاثة أشخاص مقنعين يمسكون بأدوات غامضة ربما كانت أسلحة وقد يكون هذا المشـهد مشابهاً لمشـهد الصيادين في الصحراء الغربيـة ، وهناك شبـه بين رؤوس وأطراف الأشخاص في كلتا اللوحتين .

لكّن الأقنعة في لوحة الموكب أشد وضوحاً ، وهي تشير الى حالة طقسية سحرية يقصد منها العبادة والتأثير في المشاهد .

ولاشك أن لهذه الجدارية أكثـر من معنى فهي أما تقدمـه ، أو تضحيـه ، أو كـهنةٌ يتـقـدمـون لأداء الشـعـائر ، أو صيادون بأسلحة .

شكل (٢٩) : جدارية الموكب في تليلات الغسـول من العصر النحاسي الحجري وهي تدل على مظهر طقسي

يمكننا في نهاية بحثنا في مثولوجيا النيوليت وضع مجموعة من المحاور التي دارت حولها هذه المثولوجيا ، والتي تشكلت من مجموعة من مظاهر العبادة وهي كما يلي :

- **مثولوجيا الحيوان:** وتتجلى في طقوس التضحية الحيوانية وعبادة الحيوان وظهور رأس الثور كقوة قدسية ، وظهور التراكوتا الحيوانية لبعض الحيوانات ورسوم الصيادين على الصخور .

- **مثولوجيا الانسان :** وتتجلى في طقوس التضحية البشرية وخاصة الأطفال ، وعبادة الجماجم ، وظهور التراكوتا البشرية ، ورسوم الصيادين التي تصور مجموعات صيادة ، وظهور تمثالي زينة ويوريا (آدم وحواء الأردن) والتماثيل الجصية البشرية (الأوثان) .

- **مثولوجيا الهياكل والأنصاب :** استمرت عبادة الهياكل والانصاب في العراء وشكلت هياكل العراء واحدة من مظاهر العبادة ، واستدرج بعضها الى داخل المنازل . وتشكل المصلى العائلي الذي يحوي على نصب (المسبوت) الصغير في أحد جدران المصلى .

- **مثولوجيا الآلهة :** ظهرت الآلهة مجسدة في تشخيصات نحتية من خلال الآلهة الأم البسيطة ذات الأعضاء التناسلية الكبيرة . ثم تركبت فظهرت الآلهة الأم الرهيبة التي تحتوي على قوى حيوانية وذكرية وأنثوية معا .

- **مثولوجيا الكواكب :** شكلت نجمة الغسول الثمانية مظهراً راقياً لتمثيل الاله رمزياً من خلال مظاهر طبيعية علوية أو سماوية هي النجمة ، وقد تكون هذه النجمة هي الزهرة ، وبذلك ارتفعت الأم الرهيبة الى شكل سماوي مشع ومسيطر على الطبيعة بأشعته الثمانية المتكررة التي قد لاتنتهي واصبح هذا المرتسم رمزاً للإله في الكتابة لاحقاً .

هوامش الفصل الثاني

1. Bienkowsik, piotr "The Art of Jordan" . Alan Sutton Publishing Ltd. 1991, P. (xiii).

٢ . كفافي ، زيدان . "الأردن في العصور الحجرية" . ص ٩٧ .

٣ . السواح ، فراس : "دين الانسان" منشورات دار علاء الدين . ط١ ، دمشق ١٩٩٤ . ص ١٢٤ .

٤ . المرجع السابق .

٥ . المرجع السابق ص ١٣٠ .

٦ . المرجع السابق ص ١٢٧ .

٧ . المرجع السابق ص ١٦٠ .

٨ . محيسن ، سلطان : "بلاد الشام في عصور ما قبل التأريخ - الصيادون الأوائل" ، الأبجدية للنشر - مطابع الف باء الأديب ، دمشق ١٩٨٩ ص ١٠٩ .

٩ . كفافي ، زيدان : "الاردن في العصور الحجرية" ، ص ص ١٠١ ، ١٠٢

١٠ . الأحمد ، سامي سعيد : "تأريخ فلسطين القديم" ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد . سلسلة دراسات فلسطينية ١٥ ، بغداد ١٩٧٩ ص ٥٤ .

١١ . كوفان ، جاك : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" ترجمة د . سلطان محيسن . دار دمشق للطباعة ط١ ١٩٨٨ ص ٣٥ .

١٢ . ميلارت ، جيمس : "أقدم الحضارات في الشرق الأدنى" ص٨١ .

١٣ . ومن هؤلاء الباحثين جورج ميللر لاندس . ارجع الى اطروحته باللغة الانجليزية :

A History of the Ammonites (Study of the political life and material culture of Biblllical land of Ammon as an Autonomous State (Ca. 1300 - 580 B.C)

George Miller Landes , Batinore , Maryland , 1956

١٤ . الدباغ ، تقي . الجادر ، وليد : "عصور ما قبل التاريخ" . وزارة التعليم العالي . جمعة بغداد . بغداد ١٩٨٣ ص ١٦٧

١٥ . الأحمد ، سامي سعيد : "تأريخ فلسطين القديم" مركز الدراسات الفلسطينية . جامعة بغداد . سلسلة دراسات فلسطينية ١٥ بغداد ١٩٧٩ ص ٥٤

١٦ . كوفان ، حال : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" ترجمة د . سلطان محيسن دار دمشق للطباعة ط١ ١٩٨٨ ص ٥٥ .

١٧ . المرجع السابق ص ٤٨ .

١٨ . المرجع السابق ص ١٠٥ .

١٩ . المرجع السابق ص ٧٧ .

٢٠ السواح ، فراس : "دين الانسان" . منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ١٦٥ .

٢١ . المرجع السابق ص ١٦٤ .

٢٢ . المرجع السابق ص ٢١٤ .

٢٣ . كوفان ، جام : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" . ص ٧٥ .

٢٤ . السواح ، فراس : "دين الاسنان" . منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ص ٢١٩ , ٢٢٠ .

٢٥ . انظر كتاب (فن الاردن) لـBien Kowski ص ٣١ , ٣٢ , ٣٣ .

٢٦ . ميلارت ، جيمس : "أقدم الحضارات في الشرق الأدني" ص ٨١ .

٢٧ . المرجع السابق . ص ١٧٥ .

٢٨ . انظر انسكلوبيديا الأرض المقدسة . ص ٥١٠ .

The New Encyclopedia of archeolgical excavations in the Holy land , Ephraim Stern , Ayelet

Lewinsn - gilbor , Joseph - Aviram

Vol.2 . The Isreal Exptoration sociaty

Carta, Jerusalem, 1993 , p. 510.

الفصل الثالث
المثولوجيا الكنعانية



الاله بعل وهو يحمل الصاعقة بيده اليمنى والرمح بيده اليسرى

مقدمة تاريخية

يشكل الكنعائيون فرعاً جنوبياً من شعوب سامية كبرى تعرف بـ(الامورين) وقد نزح الكنعانيون واستقروا في مناطق الشام (سوريا ، فلسطين ، لبنان ، الاردن) قبيل مطلع الألف الثالث قبل الميلاد . ولم يتزحزح النظام الاجتماعي والسياسي للكنعانيين حتى مجيء هجرة سامية كبيرة هي الآرامية وهجرة آرية صغيرة هي الفلسطينية . وفي القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد ، وقد توزع الكنعانيون في جميع مناطق الشام لكن كثافتهم كانت في فلسطين حيث كانت تسمى أرض كنعان واطلق عليهم اسم (اليبوسيون) وفي لبنان اطلق عليهم اسم (الفينيقيون) وفي سوريا كان (الاوغاريتيون) وفي الاردن سكنت بعض القبائل الكنعانية مناطق تليلات الغسول والبيضا وأريحا وأماكن متفرقة اخرى .

وكانت أهم المدن الكنعانية المبكرة هي (أريحا وحازر واورشليم وشكيم) وهي مدن داخلية ثم نشأت المدن الساحلية مثل (اوغاريت وارواد وجبيل وصور وعسقلان وصيدا) . ولم تتكون دولة كنعاية واحدة بل تكونت دويلات مدن كنعانية ، ولم يكن الشعب الكنعاني شعباً محارباً بل كان شعباً محباً للسلام فنشطت فيه الديانات والثقافة والفنون والتجارة والصناعة . ولهم فضل تقديم صناعات الخزف والبرونز والزجاج والأنسجة الارجوانية والمراكب الفينيقية العملاقة التي رافق ظهورها نشاط ملاحي وبحري جابوا فيه بحار وشواطىء العالم القديم بأكمله .

قدَم الفينيقيون الكتابة الأبجدية الى العالم والتي تعتمد الحروف بدل المقاطع الصوتية واستعملها الأغريق وقدموا اسم (اوربا) الذي هو (عوروبا) اسم ابنة ملك فينيقي ، وأسماء ليبيا وبيروت وقبرص وبريطانيا التي هي أسماء آلهة الحب الفينيقية بارات وهي ترحل في رحلتها العشتارية في موانيء البحار وجزره .

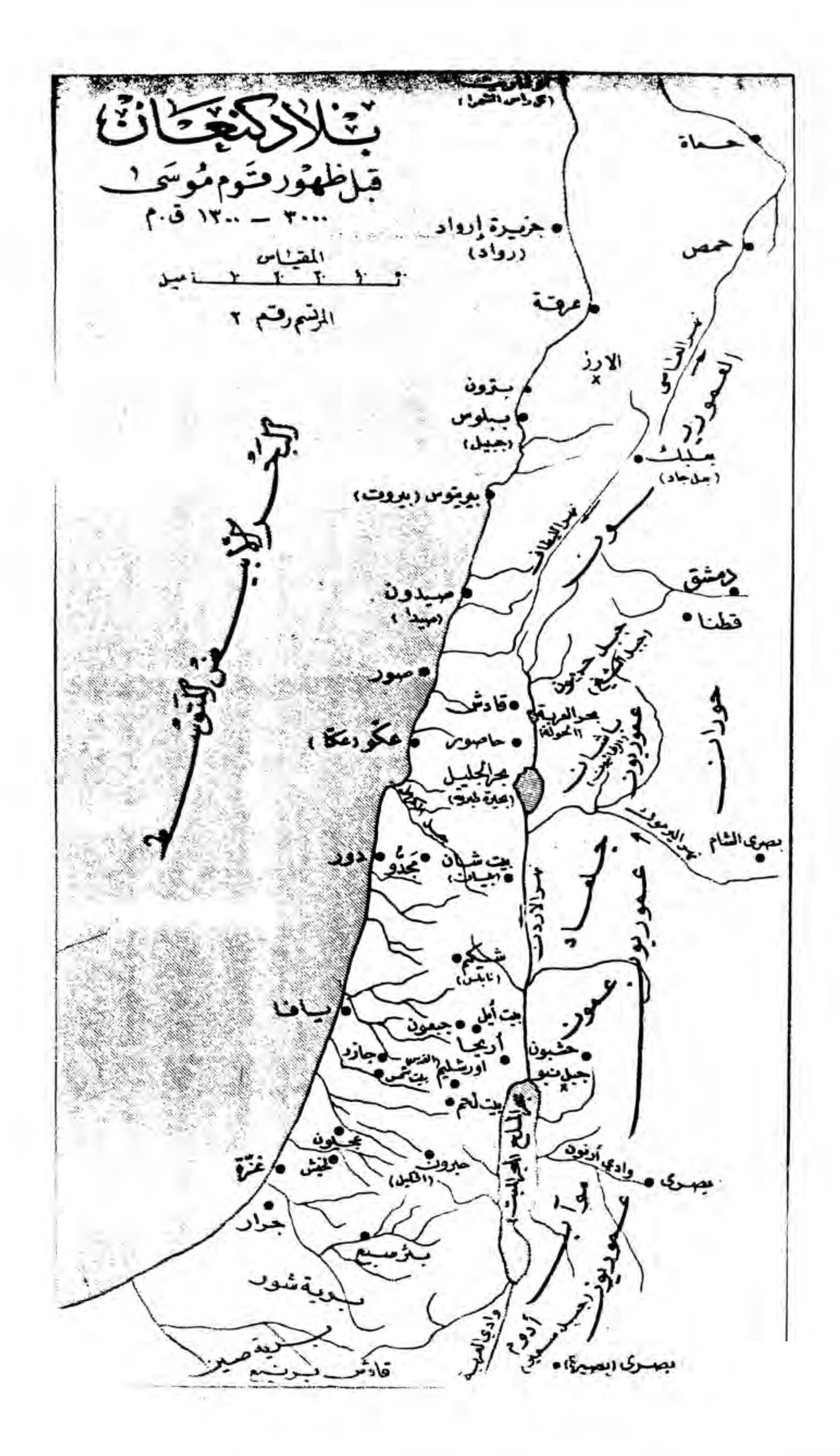
وما أن حلّ القرن السابع عشر قبل الميلاد حتى كانت معظم أراضي الشام تابعة لنفوذ ما بين النهرين الاكدية والبابلية. ومع مجيء الألف الأول قبل الميلاد ودخول الآراميين بلاد الشام اتجه النشاط الكنعاني لتأسيس مستعمرات خارج الشام منها قرطاجنة (٨١٤ ق.م) التي تحدت سلطة روما البحرية وخاضت معها سلسلة من الحروب الطويلة حتى ظهر

(هاني بعل) الذي حارب روما على أرضها ، لكن روما دمرت قرطاجنة في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد . وهكذا دام ظهور الكنعانيين في التأريخ قرابة ثلاثة آلاف سنة قدموا فيها أعظم المنجزات للعالم القديم .

كان العصر البرونزي الوسيط زمن انتعاش كنعاني واضح انتهى بالرد على المصريين من خلال هجرة الهكسوس الذين خرجوا من أرض كنعان الى أرض مصر وحكموها ، لكن طرد الهكسوس وتعرض وادي الرافدين لغزوات كاشية وميتانية (من اصل حوري) جعل الحوريون يؤسسون مملكة حورية في بلاد الشام ويضغطون من جديد على الكنعانيين الذي أبدوا مرونة في التعامل معهم حتى إذا ما نهضت مصر انكسر الحوريون وتبعت ارض الشام لمصر ، ثم جاءت الهجرات الآرامية الى بلاد الشام ومنها قبائل العبيرو وجاءت بعدها الهجرات الايجية الفلسطينية التي اصطدمت مع العبيرو وخاضت صراعاً طويلاً .

لقد كان النسيج الكنعاني ازاء هذه الغزوات يزداد ثراءً ثقافياً وروحياً ولكنه من ناحية اخرى كان يتمزق سياسياً حتى وجد الكنعانيون الفينيقيون مسرباً مهماً لهم خارج بلاد الشام عن طريق المستعمرات البحرية .

ومن الواضح ان حضور الكنعانيين في الاردن كان محدوداً فهناك من القبائل الكنعانية الأولى من سكنت الاردن ولكن ظهورها على مسرح التأريخ كان يقل تدريجياً كلما تقادم الزمن ، ونعتقد أن سبب ذلك يعود الى أن الكنعانيين في الأصل كانوا أقواماً سامية جزيرية قدمت من سواحل الخليج العربي قرب البحرين وقد انساقوا في هجراتهم الي بلاد الشام نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط تحديداً وكان استيطانهم في مدن بحرية يزداد مع الزمن حتى دفعهم هذا الى ركوب البحر المتوسط وبناء مدن وأحياء وجزر فيه ، وقد جعلهم هذا يزحفون مع الزمن نحو فلسطين مبتعدين عن الاردن مما جعل حضورهم في الاردن مبكراً وضعيفاً مع الزمن . وقد كان للأموريون حضوراً مكمّلاً للكنعانيين في الاردن ولا تختلف من حيث الجوهر المثولوجيا الكنعانية والأمورية فجذرهما واحد .



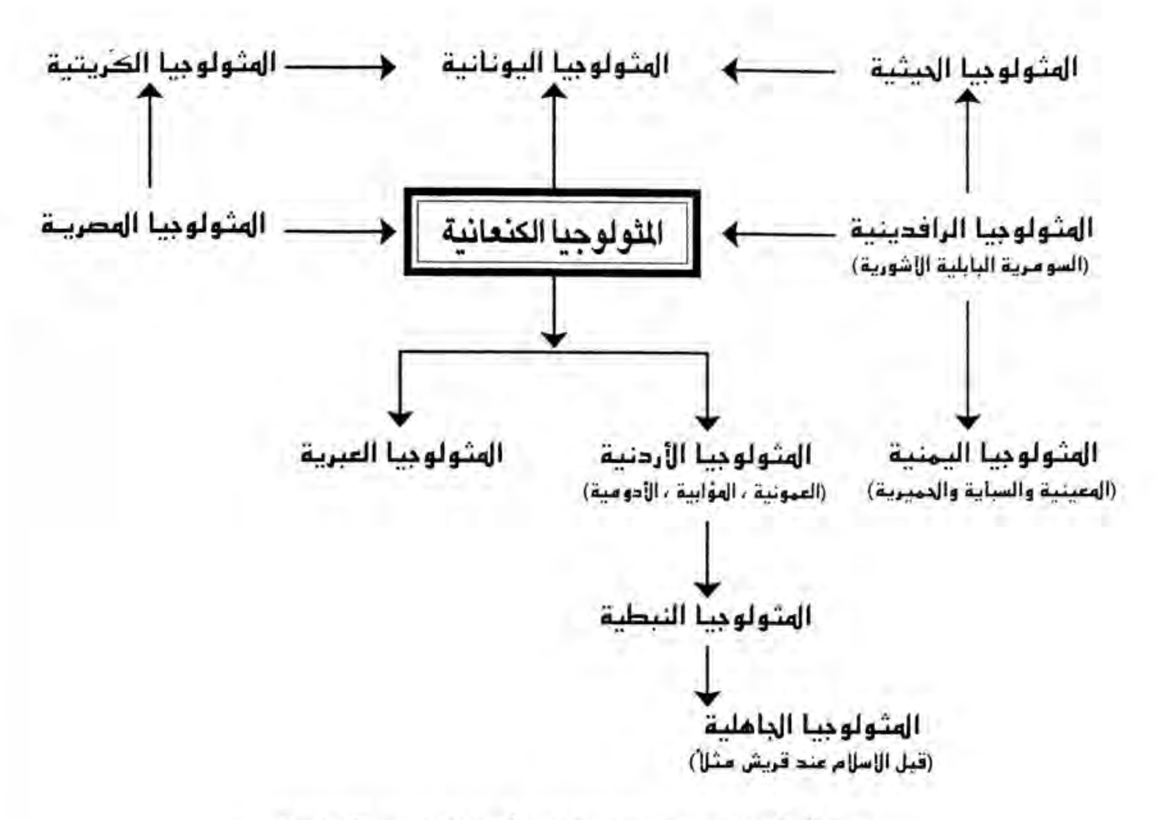
خريطة (١) : بلاد كنعان قبل ظهور قوم موسى (٣٠٠٠ - ١٣٠٠ ق.م)

المثولوجيا الكنعانية

كانت الديانة الكنعانية هي البؤرة التي اجتمعت فيها الأشعة القادمة والطالعة من والى الديانات المتوسطية كلها ، فقد صبت فيها مؤثرات رافدينية ومصرية وخرجت منها مؤثرات باتجاه الشمال نحو اليونان وباتجاه الجنوب نحو جزيرة العرب عن طريق الاردن .

ان الذي ينظر في العلاقة بين المثولوجيات المتوسطية يجد ان المثولوجيا الكنعانية تبدو مثل الرحم الذي يستقبل بذور الخصب وينبتها في نفس الوقت .

هناك ما من يرى ان المثولوجيا اليونانية مثلاً تعود بأكملها الى المثولوجيا الكنعانية فقد ورد عن الكاتب السوري فيلو الجبيلي (نهاية القرن الأول الميلادي) الذي وضع مؤلفاً ضخماً في تاريخ الفينيقيين مكون من تسعة أجزاء ضاعت جميعها ولكننا نعثر على شذرات منها في كتب آخرين "وفي حديثه عن المثولوجيا حاول ان يثبت ان الأساطير الاغريقية قد بنيت في معظمها على اصول كنعانية شرقية ، وارجع معظم آلهة الاغريق الى جذورهم الفينيقية . وقد وضع معظم افكاره على لسان كاتب فينيقي قديم عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد اسمه (سانخو نياتن) مدعياً أن مؤلفه الكبير ليس الا ترجمة لافكار ذلك الكاتب العظيم"[١] ، وفي ذلك ما يشير الى اصداء رحيل الفينيقي (قدموس) الى الاغريق وتعليمهم الكتابة الأبجدية بعد أن اختطف زيوس اخته (أوروبا) الى اليونان حيث سميت (قارة أوروبا) على اسمها .



جدول (٦) : المثولوجيات المتوسطية ومركزية المثولوجيا الكنعانية فيها

١. أسطورة التكوين

يبدو أن الإله (ايل) انجب من زوجته (عشيرة) ابنهما (يم) إله المياه الأولى ، ثم يبدأ (يم) صراعاً مع الإله بعل فيبعث (يم) كتاباً موجها لمجمع الآلهة يطلب فيه تسليم بعل بيصبح من خدمه . فيوافق الاله (ايل) على ذلك ويثور بعل ويقفز الى سلاحه لقتل الرسولين اللذين حملا الكتاب ، لكنّ الالهتين عناة وعشتارت تحولان دون ذلك . ثم أعد بعل طريقة للانتقام فيصنع له الالهان الحرفيان (كوثر) و (حاسيس) سلاحين ، الأول يشل حركة يم والثاني يقضي عليه ، ويقوم بعل باستعمالهما ويقضي على يم فيثير هذا الحدث ارتباكاً في مجمع الآلهة يؤيده البعض ويسخط عليه البعض الآخر ، ويقيم الاله بعل احتفالاً عظيماً هو وزوجته الالهة (عناة) . ويذهب بعدها الى جبل صفون ليرى بناته (بدرية) ابنة البدر و(طلية) ابنة الطل و (أرضية) ابنة الأرض الخصبة .

ثم يبدأ بعل ببناء بيت عظيم له بعد أن تتوسط عناة وعشيرة عند ايل فيشير هذا الى (كوثر) و (حاسيس) ليبنيا البيت مثل كتلة من خشب الأرز والفضة والذهب معتلياً جبل صفون. ويظهر الاله (يم) في اساطير اخرى بأنه ابن البعل من عناة .

٢. اسطورة بعل وعناة

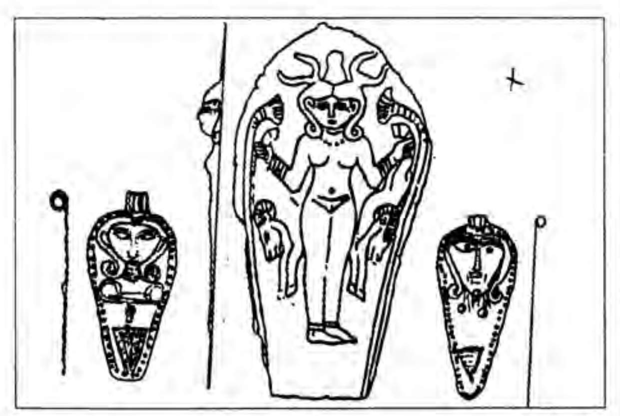
تمتاز الإلهة (عناة) بصفات مميزة ولكنها متناقضة في نفس الوقت (وهي تشبه في هذه الناحية الالهة السومرية انانا أو البابلية عشتار) فهي الهة الحب والخصب من ناحية والهة الحرب والدمار من ناحية اخرى ، وتظهر في هذه الأسطورة وهي تقتل الناس جميعاً من المشرق الى المغرب ، حيث كانت قد قررت افناء الجنس البشري .

(إنها تخوض في دماء الأبطال حتى الركب

إنها تخوض في دماء الناس حتى العنق)

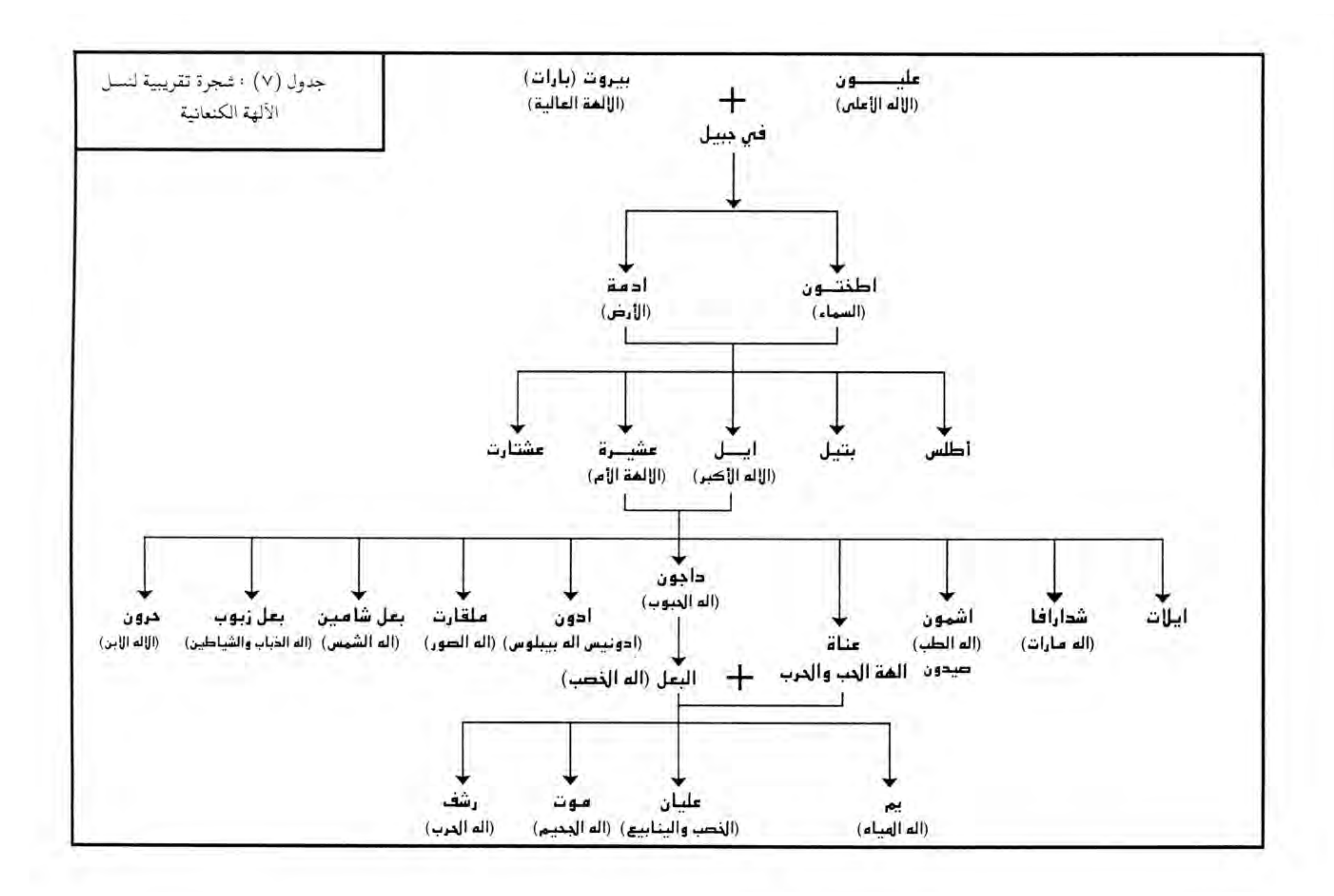
بعدها تغسل عناة ايديها في دماء الجنود وتجمع المياه وتغتسل بندى السماء وبزيت الأرض وبأمطار راكب الغيوم ، وعند ذاك يحاول الاله بعل أن يهدأها واعداً اياها أن يكشف لها أسرار الطبيعة إن هي اتت لزيارته في مسكنه الجبلي . وأخيراً تذهب مع الرسولين اللذين بعثهما بعل ويستقبلهما بعل ويذبح لها ثوراً ويلتقيان فتزدهر الطبيعة ويكثر النبات وتتكاثر الحيوانات .





شكل (٣١) : الالهة عناة مصورة على أقراط ذهبية وتبدو رموز الخصب حولها

شكل (٣٠) : الالهة عناة تصحبها حيتان وتقف على أسد


جدول (٧) : شجرة تقريبية لنسل الآلهة الكنعانية
عليـــــون
(الاله الأعلى)
بيروت (بارات)
(الالهة العالية)
في جبيل
اطختــون
(السماء)
ادمة
(الأرض)
أطلس
بتيل
ايـــل
(الاله الأكبر)
عشيـــرة
(الالهة الأم)
عشتارت
ايلات
شدارافا
(اله مارات)
اشمون
(اله الطب)
صيدون
عناة
الهة الحب والحرب
داجون
(اله الحبوب)
ادون
(ادونيس اله بيبلوس)
ملقارت
(اله الصور)
بعل شامين
(اله الشمس)
بعل زبوب
(اله الذباب والشياطين)
حرون
(الاله الابن)
البعل (اله الخصب)
يم
(اله المياه)
عليان
(الخصب والينابيع)
موت
(اله الجحيم)
رشف
(اله الحرب)

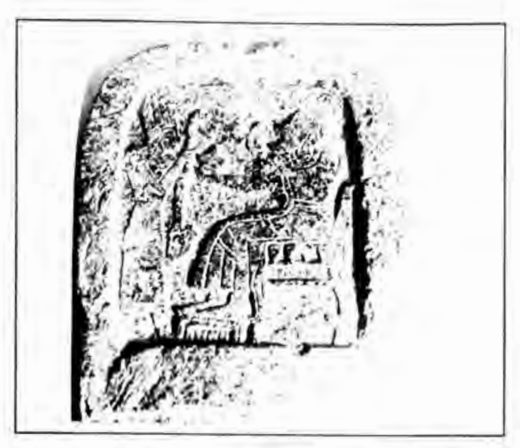
٣. اسطورة إيل

الاله ايل هو أكبر الالهة الكنعانية ، وكان يلقب بالاله العليّ أو الاله العظيم ، وقد اسماه العرب لاحقاً بـ(الله) ومؤنثهُ (اللات أو ايلات) وهي الالهة الام الكنعانية الكبرى (عشيرة) .

ويقع مقر الاله ايل في منطقة غربية حيث تغرب الشمس عند مصب الانهار في البحر أمّا مقامه فقد سمي بحقول ايل ، وقد وصفته التراتيل الشعرية الكنعانية بأنه "هو الذي يبعث بمياه الأنهر لتجري في الأرض وتحيي مواتها ، وهو الذي يبعث بالمطر فيجعل الأودية تفيضُ عسلاً ، وهذا هو نفس الاصطلاح الذي ورد في التوراة في وصف خصوبة أرض كنعان ، والاله ايل هو الذي يمنح الاذن بانشاء المعابد الالهية الاخرى ، وهو القادر على كل شيء والحاكم والملك المطلق لا ينافسه منافس ولايستطع أحد أن يغير ارادته وحكمه السامي ، وجميع أرض كنعان هي أرض الاله ايل"[٢] .

ان أصل اسم الاله ايل يظهر لنا مبكراً في الكتابات السومرية التي كانت تستخدم كلمة (ايل) أو (ال) بمعنى البدء والتعريف "فلقد تميزت الذهنية السومرية باستخدام البادئة (أل) قبل كل اسم للتعريف به ، وهذا ما ورثه الاكديون ، فمن أجل تمييز صفة اله ما ، كانوا يضعون تلك البادئة الى جانب اسمه ، فكأنما هم فعلوا ذلك بغية الاسارة الى وجود نظام عامل شامل ، وربما ايضاً ، مطلق لكل الآلهة ، أي لكل الظواهر الكونية"[٣] . ونحن نرى مع ستيفن لانغدن أن السومريين استخدموا اسم (آن) أو (علامة دنكر) لوصف الاله الأكبر السماوي وان البابليين استخدموا اسم (ال) دون ان يتحول ذلك قبل ظهور الكتابة في تليلات الغسول الاردنية ليس على شكل اشارة بل بفن تشكيلي دال على قوة كونية .

وانتشرت صفة ايل ومعانيه على الكثير من الآلهة ، فالاله مارتو "الذي عرف في النصوص الاكادية باله البادية السورية ، يدعى كذلك (رمانو) اي (رحمان) وقد ورد اسم هذه الاله غالباً مسبوقاً باشارتين لاهوتيتين (أل أل) اي (الاله) أي (الذي جرى الادغام عليه ، فأصبح (الله)"[٤] .





شكل (٣٢) : مسلة الاله (ايل) من اوغاريت ويظهر ايل جالساً على عرشه وهو يستقبل هدايا ملك اوغاريت

وترتبط اسطورة ايل بمجموعة كبيرة من أساطير الآلهة الاخرين ، لكن اسطورة ظهوره أو وجوده هي الأساس فقد ورد على لسان فيلو عن سنغن يتن ان الاله عليون اي العالي كان يسكن هو وزوجته (بيروت) في جبيل وولد لهما ولد هو (أطختون) الذي هو السماء واخته (أدمه) التي هي الأرض ثم قتل الاب (عليون) مع حيوانات برية وتسلم ابنه اطختون السلطة فتزوج اخته وولد منهما أربعة أبناء هم (ايل وتبيل وداغون وأطلس)

ثم دب الخلاف بين اطختون مع اخته وزوجته أدمه بسبب كثرة خليلاته وحاول قتل أولاده منها ولكنها كانت تحمي نفسها منه بالتعاويذ ، ولما كبر ايل وصار شاباً اتخذ من هرمس او تحوت مستشاراً له ثم اعلن الحرب علي أبيه أطختون وصنع رمحاً وتعاويذ سحرية وبدأ حربه ضد السماء والهها لصالح الأرض وأخيراً انتصر ايل في المعركة وحل مكان أطختون في السماء ، وبنى سوراً حول مركز سكناه وبنى في داخله أو مدينة كنعانية هي (جبيل) ودعى رفاقه (ايلوهيم) اي الآلهة (٥) .

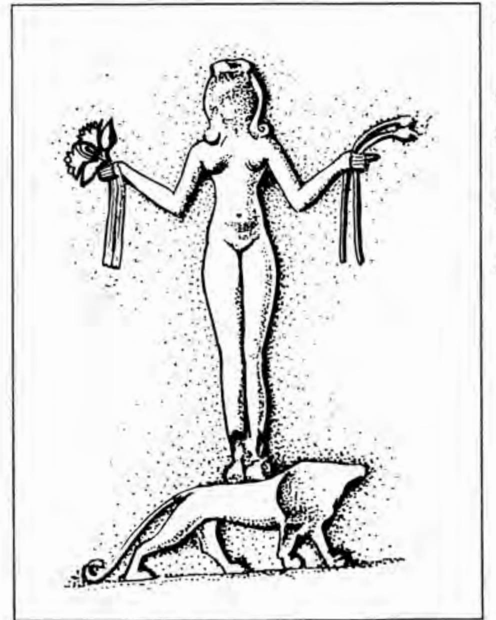
شكل (٣٣) : تمثال برونزي لاله الحرب (رشف) من مجدو
حوالي ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م

وأصبح بعد ذلك للاله ايل سبعون من الأبناء (٥٠ ذكر و٢٠ انثى وهم الرفائيم) وامتلك الاله ايل ألقاباً كثيرة مثل (اله الرحمة ، الفؤاد ، خالق الخلائق ، ابو الزمن ، اللطيف) وكان أهم أبناء ايل هما بعل وعناة وهناك من يرجع بعل الى اله عتيق هو داجون .



شكل (٣٤) : الالهة الام الكنعانية عشيرة وتظهر وهي تمسك بقبضتين من الذرة وحولها عنزتان وهي زوجة الاله ايل

ويرمز الاله ايل الى عقيدة صحراوية شمسية سماوية ويعود ذلك الى البيئة الأولى التي ظهر فيها أما ابنه بعل فيرمز الى عقيدة زراعية قمرية أرضية ، وسيكون هذا التناقض مدعاة لصراع أزلي بين الصحراء والخصب . وهو الجوهر الذي تقوم عليه المثولوجيا الكنعانية .



شكل (٣٥) : الهة الحب والحرب الكنعانية عناة زوجة الاله بعل

٤. اسطورة الاله بعل

يمكن اعتبار اسطورة الخليقة السالفة الذكر هي القصة الأولى للاله بعل وصراعه مع يم ، اما الثانية في قصة بناء قصر بعل ، لكن الأسطورة البعلية بامتياز هي اسطورة هبوطه الى العالم الاسفل وموته .

ولنتعرف أولاً على (بعل) ومعنى اسمه الذي يدل على السيد أو الرب ويوصف بأنه راكب الغيوم وصاحب الصوت المرعد (الرعد) والضوء الخاطف (البرق) وأنه يصارع دائماً الحية الملتوية لوتان .

ويصور الاله بعل دائماً في نقوشه وتماثيله كشخص ذي طلعة حادة التقاطيع يلبس على رأسه قلنسوة مدببة النهاية يخرج منها قرنان أماميان ويده دائماً مرفوعة وتحمل قضيب الصاعقة ، أما اليد الاخرى (اليسرى) فتمسك رمحاً ينتهي بأغصان نباتية ويقف على مياه الأرض .

يجمع بعل صفتين متناقضتين هما الغضب والقسوة والعنف والخصب والشر والخير ، والمطر الذي يشير له يمتلك معاً هاتين الصفتين بقدر ما هو كاسح مدمر الا انهُ يسقي المزروعات ويحيي الأرض ويسقي الانسان والحيوان والنبات .

ويبدو ان بعل ظهر من (بيل) البابلي الذي كان يلقب به (مردوخ) ملك الآلهة البابلية وهناك ما هو مشترك بين مردوخ وبعل ، وقد ارتبط بعل بالاله هدد الاله الآرامي الذي يمثل الامطار والعواصف وتشكل منهما مركب يسمى بعل حدد أو بعل هدد ، وربما كان اله العبرانيين ، وقد جمع ايل وبعل وعشيرة في ثالوث كان المصدر المباشر للثالوث المسيحي الأب والابن والروح القدس .

وقد عبد الاله البعل في كل مناطق الشام وتحت أسماء مختلفة وترك اسمه هو والاله (ايل) في اكثر من مكان . وسنطرح هنا رأياً خاصاً بتسمية (الأردن) مرتبطة بالاله بعل حيث نرى انها تسمية مثولوجية .

سنأخذ بنظر الاعتبار وجود منطقتين هامتين يفصل بينهما نهر الاردن ، ما زالت تحتفظ كل منها بتلك الأصداء الاسطورية فتسمية أورشليم في فلسطين اطلقت على مدينة اسمها يتكون من مقطعين هما (أور) و (شليم) و أور هي تسمية رافدينية سامية ذات جذر سومري تعني مدينة ، وشليم اسمٌ كنعاني من أسماء الاله (ايل) ويدل على الاله في حالة الغروب اي الاله ايل في حالة السلام او التسليم او الغروب وهي مدينة السلام ايضاً وتسمية (اورشليم) تسمية كنعانية يبوسية سبقت ظهور العبرانيين ولا علاقة لهم بتسميتها .



شكل (٣٦) : الاله بعل حدد وهو يحمل الصاعقة ويدل على المطر والسحاب والرعد

أما تسمية (الاردن) فقد اطلقت على منطقة ونهر، يتكون اسمها من مقطعين (اور) و (ادون) واور بمعنى مدينة و (أدون) بمعنى (السيد) أو (الرب) وهي تدل على الاله (بعل) وهو الاله الزراعي الفتيّ المعروف وبذلك يكون اسم الاردن بمعنى (مدينة الرب) وتدل على الاله أدونيس الذي هو بعل ، وهذا يعني انها تسمية مقابلة لا تختلف عن تسمية (أورشليم) ، فأورشليم مدينة الاله في الغرب والاردن مدينة الاله في الشرق ولذلك لم تأت تسمية شرق الأردن اعتباطاً بل لتدل على ان الاله في حالة شروق ، حيث الاله أدون هو الاله الاب الفتيّ الذي في حالة شروق والاله ايل هو الاله الأب الكهل الذي في حالة غروب . وهنا نرى التوازن الصحراوي الزراعي ظاهراً كما



شكل (٣٧) : بعل حدد في صورته العجل أو الثور

انا نجد صدى الأديان التي ظهرت في كل من منطقتي شرق الاردن وغربها حيث تعكزت النزعات التفريدية على الاله (ايل) بينما استندت الديانات المتعددة الآلهة على الاله (بعل) وهذا ما يعكسه التراث التوراتي بوضوح .



شكل (٣٨) : الاله بعل تمثال برونزي

وأصل بعل هو ابن داجون (داغون) بن ايل "سموه في ما بين النهرين (بيل) و (امورو) وتكاثر اسمه مقرونا باسم مكان أو مدينة مثل بعل صور ، بعل ارواد ، بعل مرقود (اله الرقص اله بيروت وهيكله في بيت مري في دير القلعة ويطل على بيروت) وبعل غزة وبعل لبنان وبعل شامين (اله السماء في تدمر ، بنوا له هيكلاً لاتزال آثاره قائمة وبعل أباميا ... الخ) وانتشرت عبادة بعل في اسرائيل وكادت تقضي على عبادة يهوه أو تمتزج بها واصبح بعل جزءً من الأسماء المركبة عند الاسرائليين"[٦] .

واسطورة هبوط بعل الى العالم الاسفل مدونة على أربع لوحات من الواح اوغاريت وتشكل جوهر الميثولوجيا الكنعانية ، فبعد ان يستقر بعل فوق عرشه ويبني قصره ويشرف على مملكته ويعلن الاله (موت) وهو ابن بعل أو اخوه الذي يمثل الجانب السفلي منه ، جانب الموت والقحط والجفاف ، انه يقود الثورة ضد الاله بعل ، فيبعث بعل الهين هما (جبار) و (اوغار) للتفاوض مع (موت) وينصحهما بأن لا يقتربا كثيراً منه حتى لايأكلهما وأن يخبراه برسالة (عليان بعل) أي بعل العلي ، ويبدو ان الرسولين لم يتمكنا من الاتفاق مع الاله موت . ويقوم (موت) بتحريض التنين (لوتيان) الراقد في مياه (يم) ليصارع برؤوسه السبعة الاله بعل فيسحقه بعل فيثور موت ويقرر مواجهة بعل وجهاً لوجه ، وقبل أن تتم المواجهة يرضخ بعل لتهديدات موت ويولم وليمة لجميع الآلهة ويستلم تعليمات موت قبل أن يهبط

الى العالم الأسفل ثم يقوم الاله بعل بمضاجعة العجلة (ولعلها عناة) سبع وسبعون مرة متوالية فتحمل منه هذه العجلة . ويكون هذا الاجراء بمثابة وضعه لبذوره في رحم عناة ضماناً لاستمراره عبر ابنه القادم لانه سيموت عندما يهبط الى العالم الأسفل ، ثم ينزل هناك فيستلب موت منه روحه ويرمي بجثته الى سطح الأرض .

يفجع الاله ايل بموت ولده أو حفيده بعل وتندبه عناة وتبحث عن جثته حتى تجدها :

فرفعته على كتفها

وصعدت به أعالي جبل صفون

وهناك بكت عليه وقامت بدفنه

واضعة إياه في مقبرة إلهة الأرض

ثم ذبحت سبعين رأساً من الجاموس

تقدمةً لبعل العلي

وضحّت بسبعين رأساً من الثيران

تقدمةً لبعل العلي (٧)

ثم تذهب الالهة عناة الى مقر ايل عند نبع النهرين وترى (عشيرة) زوجة ايل فرحة بموت بعل لانها ستنصب ابنها (اثتر) مكان بعل ، ويصعد اثتر الى الجبل وعندما يجد كرسي بعل لايتمكن من ملئه فرأسه لم يصل الى قمة الكرسي وقدماه لاتستندان على مسندهما فيعترف بعجزه وينزل راجعاً فتحزن عناة أكثر وتقرر الانتقام من (موت) فتنتقم منه وتمزقه ، ثم يرى الاله ايل حلماً يتحقق بعودة الحياة الى الاله بعل ، فتهرع عناة الى الحقول فتجد بعل وهو يثأر بنفسه من أعدائه فيعودا معاً ويصعد عرشه من جديد وتعود حياته الخصيبة مع عناة ، ولكن بعد سبع سنين ينهض الاله موت من الموت ويحاول ان ينتقم من بعل من جديد ويلتقيان هذه المرة وجهاً لوجه :

تشابكا كأنهما جاموسان
قوي موت ، وقوي بعل
تصارعا كأنهما ثوران
قوي موت ، وقوي بعل
تعاضا كأنهما ثعبانان
قوي موت ، وقوي بعل
ترافسا كأنهما حيوانا سباق
قوي موت ، وقوي بعل
وقع موت ، ووقع بعل (فوقه) (٨)

ويتكرر هذا الصراع بين بعل وموت كل سبع سنوات ويرمز الى صراع الخصوبة والجفاف في أرض كنعان .

وسنسمع صدى هذه الأسطورة يتكرر بصيغ مختلفة في أساطير بلاد الشام بأكملها .

٥. أساطير وملاحم كنعانية اوغاريتية اخرى

هناك أساطير وملاحم كنعانية اخرى عثر عليها في اوغاريت تتطرق الى ذكر الآلهة وتندرج في مجموعة الأساطير الكنعانية القديمة وهي :

١. اسطورة كرت ملك هوبور وتقع في حوال ٣٠٠ سطر

٢. اسطورة اقهت بن دانيال وتقع في حوالي ٤٥٠ سطر .

٣. اسطورة اللآلي عن الملك الكبير .

وهذه الأساطير الثلاثة تقترب من الملاحم وتبرز فيها شخصيات هؤلاء الأبطال هي المركزية .

٤. قصة سحر وشالم .

٥. نيكال والكثيرات .

٦. لوحات الرفائيم الأربعة .

وهذه القصائد الأسطورية الطابع تقترب من الشعر وتحاول وصف ظواهر في الطبيعة .

٦. أساطير كنعانية يونانية

هناك مجموعة من الأساطير الكنعانية المعادة بالصياغة اليونانية وهي أساطير ذات شهرة كبيرة أدرجها الاغريق ضمن اساطيرهم وكانت ذات يوم متداولة في أرض كنعان سنمر عليها سريعاً .

١. **أسطورة أدونيس :** دخلت اسطورة أدونيس الى اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد . وتروي الاسطورة قصة ولادة ادونيس من شجرة ألمرّ التي كانت بالأصل ابنة ملك ضاجعت أباها ، وتفتن الالهة افروديت بجمال الطفل وتضعه في صندوق وتسلمه الى بيرسفون الهة العالم الأسفل التي تحبة عندما يكبر وترفض اعادته الى افروديت فيتدخل زيوس كبير الآلهة ويقضي بأن يبقى ادونيس ثلث السنة مع بيرسفون وثلثها الثاني مع افروديت والثلث الآخر حسب ما يشاء . فيفعل .

وذات مرة قتل خنزير بري ادونيس فسالت دماؤه على الأرض وامتلأ نهر ادونيس بدمائه وتلونت الزهور البيضاء بدمه فسميت شقائق النعمان الذي هو ادونيس الناعم ، ومعه يتجدد الخصب كل سنة .

٢. **اختطاف أوربا :** أوربا وقدموس ابناء الملك الفينيقي ، يقع الاله زيوس بحب اوربا فيمسخ نفسه الى عجل ويستدرج اوربا ويخطفها ويتزوجها في كَريت .

٣. **مأساة قدموس :** يبحث قدموس عن اخته دون نتيجة .. ثم يبدأ ببناء مدينة طيبة ويتزوج من هرمونيا ابنة اريس وافروديت حيث يلد منها ولداً وأربعة بنات الذين ماتوا في كوارث متتالية فيحزن قدموس وزوجته ثم يشيخان ويتحولان الى أفعى وثعبان يجوبان الغابات والأحراش .

هوامش الفصل الثالث

١) السـواح ، فـراس : "مـغـامـرة العـقـل الاولى" سـومـر للدراسـات والنشـر والتـوزيع - نيقوسيا قبرص ط٦ ١٩٨٦ ص ١١٥ .

٢) سوسة ، أحمد : "مفصل العرب واليهود في التأريخ" . العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة . ط٤ دمشق ١٩٧٥ ص ٦٨ .

٣) تيزيني . الطيب : "الفكر العربي في بواكيره الاولى" . جـ٢ دار دمشق . ط١ . ١٩٨٢ ص ص ٢٧٦, ٢٧٧ .

٤) المرجع السابق . ص ٢٧٨ .

٥) بشور ، وديع : "المثولوجيا السورية أساطير آرام" . ط٢ ١٩٨٩ ص ١١٥ .

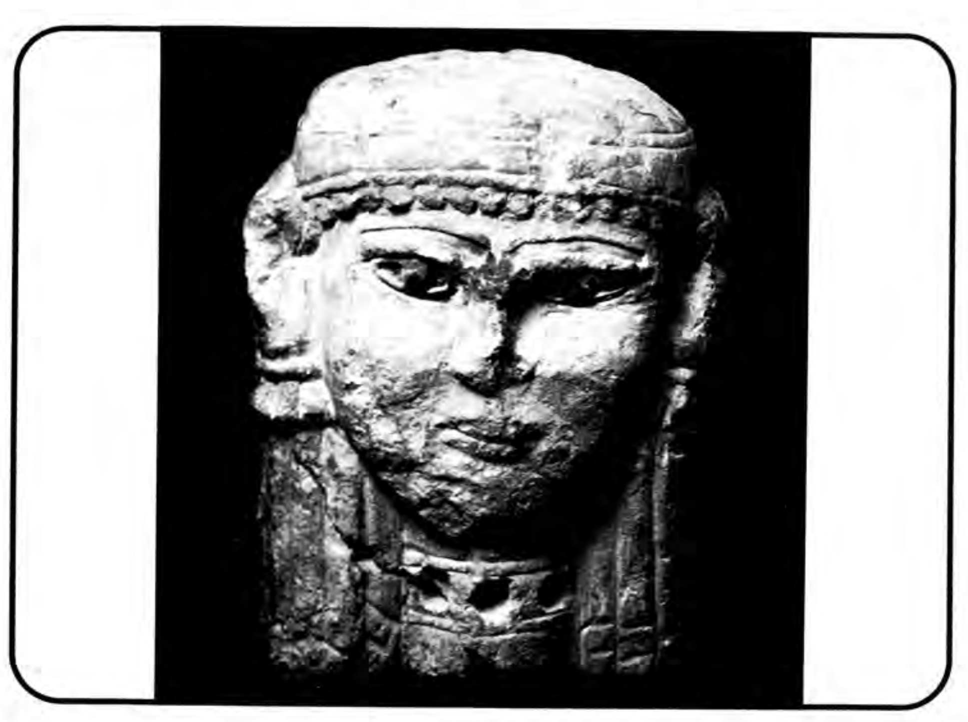
٦) المرجع السابق ص ١٢١ .

٧) السواح ، فراس : "مغامرة العقل الاولى" . ص ٣٢٦ .

٨) المرجع السابق . ص ٣٢٨ .

الفصل الرابع

المثولوجيا الأردنية الخالصة
(العمونية والمؤابية والآدومية)



(عشتار ملكوم) إلهة العمونيين الأولى

(١)

المثولوجيا العمونية

مقدمة تاريخية

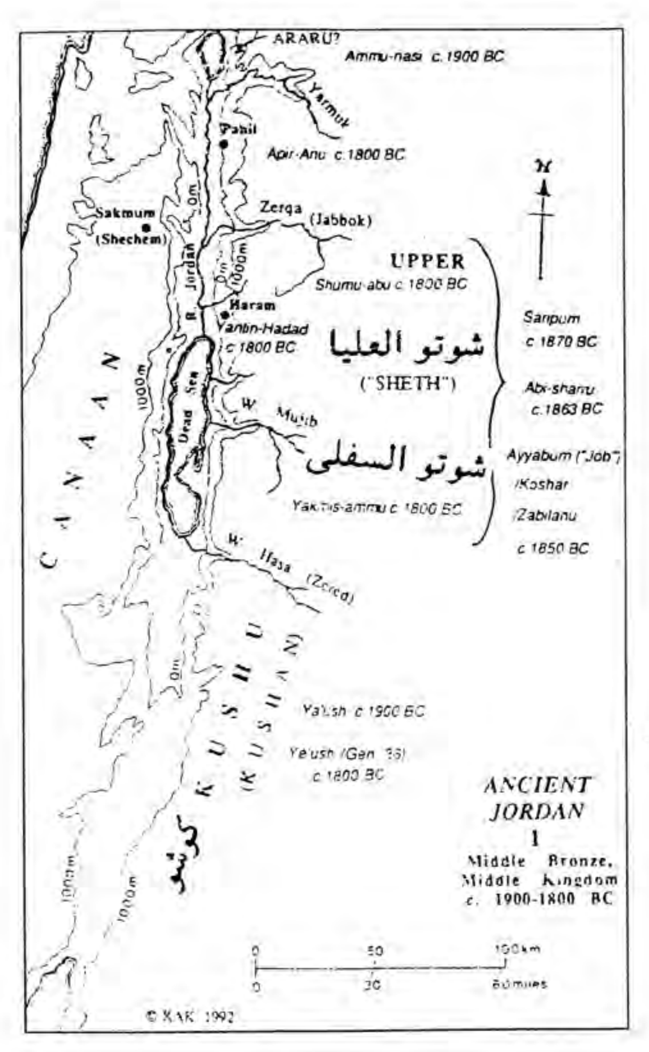
مع مجيء العصر الحجري النحاسي في الاردن كانت التجمعات البشرية المحلية قد شكلت نمطاً من الثقافة المتطورة أهلتها للدخول في عمليات تعدين النحاس وتطويعه وإدخاله في الصناعات البدائية ، وكان الغسوليون هم أبرز من ظهر في هذه المرحلة . وحين قدم العصر البرونزي كانت المجموعات الكنعانية التي اجتاحت الأراضي الشامية في العصر النحاسي قد استقر بعضها في مناطق اردنية هنا وهناك . ولانستطيع أن نتوسع في موضوع الكنعانيين في الأردن لأن الأدلة الآثارية ما زالت قليلة ، الا انه من المؤكد أن ثقافة الكنعانيين في عموم منطقة الشام كانت قد بدأت بالدخول والتأثير في الحياة الاجتماعية والدينية لأقوام الأردن .

لكن الأقوام العمورية (وهم أصل الكنعانيين والأشد منهم براوة) بدأت بالتدفق الى الاردن وشكلت مع الوقت مدناً وممالك صغيرة وصرنا نلمح ممالك سياسية قوية في نهاية الألف الثاني ق.م وهي ممالك باشان وحشبون ، وباشان أرض سكنها الرفائيون والكنعانيون وكانت قبلهم أرضاً كنعانية شرقي الاردن بين جبلي جرمود وجلعاد ، وتحدها شمالاً أرض دمشق وشرقاً بادية سورية وجنوباً أرض جلعاد وغرباً غور الأردن وقد قام موسى بطرد الرفائيين واحتل باشان ، وكان يسكن معهم الجشوريون والمعكيون الذين بقوا فيها (وهم من الكنعانيين أصلاً) وكان المؤابيون يسمون الرفائيين بـ(الايميين) .

أما حشبون فأرض ملكها المؤابيون لكن سيحون ملك العموريين استولى عليها مع كل أرض المؤابيين ، واتخذ حشبون عاصمة له ، ثم استولى عليها الموسويون في عهد موسى ودمروا أركانها ، لكن المؤابيين عادوا واستعادوها .

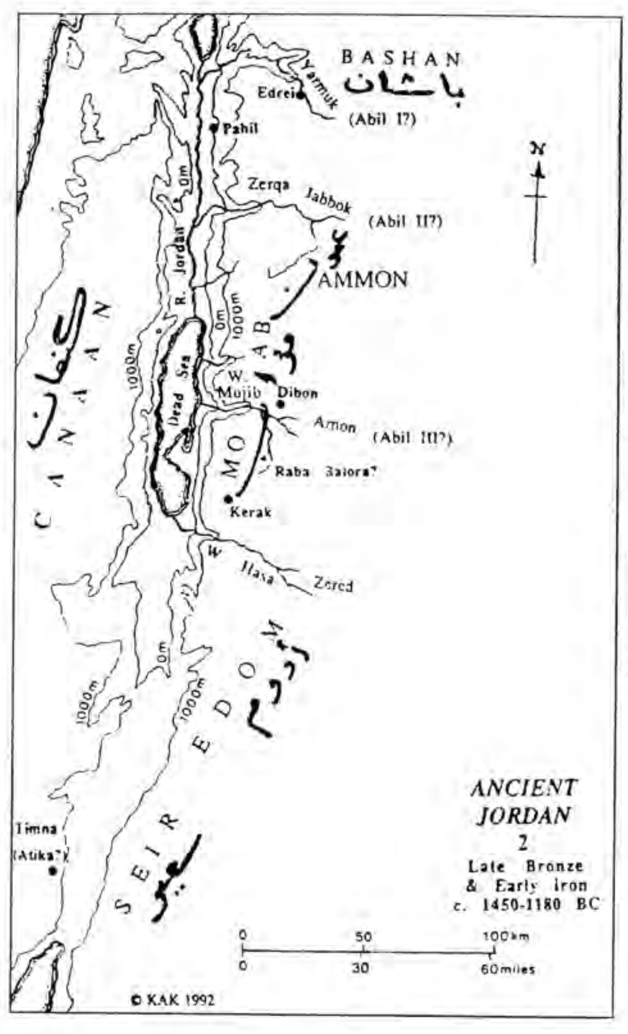
كذلك تظهر القبائل العمورية المسماة بـ(العماليق) في جنوب غربي الأردن ، ويتضح لنا أن هذا الاختلاط الكنعاني العموري مع الأقوام المحلية في الأردن من غسوليين ويرموكيين كان يمهد الطريق لظهور حياة سياسية وحضارية وثقافية أردنية جديدة تمثلت في الممالك الثلاثة (عمون ومؤاب وأدوم) .

قبل ظهور هذه الممالك الثلاثة ظهرت مقاطعات أو ممالك ثلاثة عمورية هي باشان وحشبون وسعير . وسبقت هذه الممالك جميعاً ظهور الأقوام البدوية العمورية والكنعانية . ومنها في الاردن قبائل الشوتو (Sheth) العليا شمال الأردن والشوتو السفلى وسط الأردن وقبائل الكوشو (Kushu) أو الكوشان (Kushan) في جنوب الأردن .



خريطة (٢) : الأردن في العصر البرونزي المتوسط
الشمال : شوتو العليا
الوسط شوتو السفلى
الجنوب : كوشو (كوشان)

لكن المسرح بدأ يتهيأ مع نهاية العصر البرونزي المتأخر للمالك الأردنية الثلاثة (عمون ومؤاب وادوم) وكانت تتاخمها ممالك باشان وحشبون وسعير .



خريطة (٣) : الأردن في العصر البرونزي المتأخر
الشمال : باشان وعمون
الوسط : حشبون ومؤاب
الجنوب : سعير وأدوم

ثم اختفت الممالك الثلاثة (باشان وحشبون وسعير) وظهرت مع بداية العصر الحديدي ممالك (عمون ومؤاب وأدوم) قوية ، وقد هضمت التراث الثقافي السابق المنحدر من النيوليث والنحاسي والمشبع بثقافات كنعانية وعمورية مختلفة .

تاريخ عمّون

كانت منطقة عمان مسكونة بالناس منذ العصر الحجري القديم حيث استعمل الانسان فيها أدواته الحجرية الأولى في الصيد واشعال النار . وظهرت الأنصاب في هذه المنطقة كنوع من الديانة الميغاليثية فقد كان هناك نصب حجري ضخم يرتفع الى السطح الهابط من جبل القصور الى وادي الحدادة أزالته الأبنية الحديثة بعد سنة ١٩٥٠ ، وكانت هناك الكثير منها مع مطلع القرن العشرين كما وصفها الرحالة [١] .



خريطة (٤) : الأردن القديم في العصر الحديدي
الشمال : عمون
الوسط : مؤاب
الجنوب : آدوم

وقد تحدثنا عن الانصاب سابقاً فهي بداية ظهور ما أصبح يسمى لاحقاً بـ(هياكل العراء) حيث كانت هذه الأحجار أولى الأصنام التي عبدت ، وقد تكون أيضاً مدافن كبرى مقدسة بسبب دفن كبار القوم ، حيث كان يحفز هذه العقيدة عقيدة متساوقة معها هي عبادة الجماجم . وفي كلا الحالتين فقد اقيمت هذه الأنصاب لتكون "مقادس أو هياكل لمظاهر الطبيعة كالشمس والماء والشجر ، وقد أقيم أكثرها على مشارف الجبال أو عند عيون الماء أو أشجار الغابات . هنا كان الكهنة يقيمون الشعائر الدينية ويذبحون الضحايا التي تسيلُ دماؤها في الحفر والآبار لتشربها الآلهة السفلى أو يحرقونها لتستنشق روائحها الآلهة العليا ، وقد وجدت حولها بعض الجرار التي كانت توضع فيها رفات الموتى بعد احراقها ، وفي بعض الأحيان وجدت في القبور تماثيل آلهة صغيرة لم يرسم عليها شكل ولم تحفر عليها كتابة"[٢] .

وبمجيء الميزوليت ظهرت الثقافة الكبارية ثم النطوفية وتهيأ الانسان للزراعة ونشوء القرى الزراعية وظهر الفخار والصوامع التي نشاهدها شمال غربي الدوار الرابع في جبل عمان ، وكانت مساكن ومعابد ومقابر في نفس الوقت . ومع مجيء العصر النحاسي صنع الانسان ادواته من النحاس والقصدير . وفي نهاية هذا العصر قدمت أقوامٌ غريبة الى عمان وظلت الحياة رتيبة حتى قدم الرعاة الهكسوس الى عمان بعد أن طردهم المصريون من

بلدهم ونقلوا معهم نواميس حضاراتهم مثل العربة والحصان والآلهة وفنون القتال الجديدة . والهكسوس هم رعاة ساميون سكنوا أولاً في مناطق الشام وأهم مناطقهم هناك كانت (شكيم وأريحا وقطنا وشاروهين) . وكان المصريون يسمونهم الـ(شاسو) اي البدو ، وقد عرفت دولتهم بدولة البدو . وكان العرب يسمونهم (العمالقة) ، وغزوا مصر السفلى وحكموها زهاء قرنين (١٧٨٥ - ١٥٨٠) ق.م ثم طردهم (احموسة) منها .

عاش الهكسوس بعد طردهم في اريحا أيضاً بالإضافة الى عمان ، وجعلوا منها مدينة جديدة بمعنى الكلمة . ثم اصبحت جنوب سوريا وفلسطين وشرق الاردن تحت سيطرة مصر منذ مجيء تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦) ق.م ثم ابنة امنحوتب الثاني لمدة عشرين سنة .

وبقيت هكذا حتى بعد مجيء اخناتون ، وكان هناك نفوذٌ مصري خلال حكم صهره توت عنخ آمون . ثم قدم العمالقة (الرفائيون والزمزميون) ومنهم (عوج بين عناق) ملك باشان أي (الجولان وحوران) واستقروا في عمان زمناً طويلاً ثم نهض أهل البلاد من العمونيين وحاربوا العمالقة وانتزعوا ما سيطروا عليه .

وفي ذلك الوقت اجتاح العبريون عمّون "واختلطوا بمن حولهم الجبابرة الوثنيين كالعموريين والرفائيين وقلدوهم في عبادتهم وألهوا مظاهر الطبيعة فعبدوا الشمس والقمر والنجوم كما عبدوا كاموش وملكوم واخذوا يقدمون لها أولادهم وبناتهم ذبائح في الهيكل . كما اخذوا عبادة عشتروت عن الفينيقيين والبعل عن الكنعانيين وجعلوا البعل المبدأ الفاعل وعشتروت المبدأ القائل وزعموا ان الآلهة توالدت منهما"[٢] . ثم انهزم بنو اسرائيل الى ما هو الآن الظفة الغربية وتجمعوا بعدها ، وأعادوا تقدمهم نحو عمّون فتماسك العمونيون وقادهم ملكهم ناحاش الى يابيش جلعاد (الوادي اليابس) غربي عجلون والتقى بني اسرائيل ، لكن هؤلاء استنجدوا بالملك شاؤول فهب لنصرتهم وهُزم العمونيون .

ولما ملك داود في اسرائيل حاول احتلال عمون مرة بعد اخرى بواسطة قائده يؤاب وكان حانون ملكاً على عمون وبعد جهد استطاعت قوات داود احتلال عمون "ولبس تاج ملكوم الذي كان موضوعاً على تمثال الآله ملكوم ، اله عمون ، والذي كان مصنوعاً من

الذهب ومرصعا بالحجارة الكريمة ووضعهم تحت المناشير ونورج الحديد وطرح قسماً منهم في أتون الآجر"[٤] . وحاولت عمون الاستنجاد بالآراميين فأعاد داود فتحها بعد خسائر كثيرة وبعدها اصبح (شوبي) ملكاً على عمون الذي استقبل بعد زمن داوداً لاجئاً من ثورة ابنه ابشالوم .

وفي زمن الملك سليمان تمكنت عمون من الاستقلال وتزوج سليمان من احدى بناتها وسمح لها بعبادة آلهتها . بعدها هاجم العمونيون والمؤابيون بني إسرائيل واجتاحوهم ولما اختلفوا على الغنائم تقاتلوا بينهم فقاتلهم (يهوشافط) و (عزيا) وقدّمت عمون الجزية لعزيا .

وتحت كل هذه الظروف من الانتصارات والهزائم بين العمونيين والاسرائيليين كانت عمون تزدهر وتنمو وكان عمرانها يزداد أوقات السلم . وفي ذلك الوقت العموني الزاهي اتسعت رقعة الامبراطورية الآشورية وتقدم ملكه (شلمانصر الثاني) الى سوريا فقابله (بوح العربي) و (رحاب العموني) بجيوش كبيرة متحالفين مع (هدد السوري) وتمكنوا من كسر الجيش الآشوري عام ٨٥٠ ق.م . ولما توفي (هدد) انهار هذا الحلف وتقدم (شلمانصر) ثانية بجيوشه واحتل سوريا وعمون .

وكانت هذه آخر أيام ازدهار عمون وبزوغها القومي حيث انتفضت وأخرجت الآشوريين من ارضها ولكن (تغلات بلاسر) الآشوري فتح عمون ثانية واجبر ملكها (سانيبو) على دفع الجزية ، وتقرر تعيين حاكم آشوري على عمون .

وحين حاول اليهود الثورة على حكم سنحاريب الآشوري عام ٧٠٥ ق.م و وقف (بدرايل) ملك عمون موقفاً محايداً ، فمنحه سنحاريب استقلالاً على بلاده ولكن عمون ظلت تدفع الجزية للآشوريين . وحاولت عمون إبان حكم آشور بانيبال آخر ملوك آشور الاستقلال لكن جيوش الآشوريين حاصرتها . وتذكر السجلات ان سبياً عمونياً الى آشور قد حصل سار فيه رجال الدين وكهنة ملكوم في مقدمة الاسرى الى مدن الآشوريين . وعين آشور بانيبال حاكماً آشورياً على عمون .

ولما بزغت الدولة الكلدانية هاجم نبوخذ نصر مملكة اليهود عام ٥٨٦ ق.م وحطمها وأسر شعبها وأجلاهم الى بابل ففرح العمونيون بذلك خوفاً من نبوخذ نصر لكن الملك العموني (بعليس) استقبل الثائر اليهودي (اسماعيل) الذي حاول أن ينتصر لبلاده بوجه الكلدانيين .

لقد كان سعي دولة عمون لاقامة دولة كبيرة على أنقاض الممالك الفلسطينية والعبرية سبباً في قضاء البابليين عليها وإجلاء أهلها الى مناطق بعيدة . ولانكاد نلمح بعد هذا الاجلاء كياناً سياسياً واضحاً لعمون خصوصاً وان البدو اجتاحوها ويمكننا القول انها انتهت عام ٦٠٠ ق.م .

ولما سقطت الدولة الكلدانية بأيدي الفرس الذين فكوا الأسر اليهودي في بابل وطلب العمونييون والمؤابيون والفينيقيون والآراميون من الفرس اعادة بناء هيكل القدس فسمح الفرس بذلك ولكن البناء كان قاصراً فتململ اليهود وثار (طوبيا) اليهودي وساعدته عمون وقبلته لاجئاً اليها .

وعندما اجتاح الاسكندر الشرق وتوجه لفتح مصر كانت عمون تتمتع باستقلال نسبي .. وكذلك كانت عندما ظهر السلوقيون .. لكن عمون سقطت فريسة البطالمة وكانت عندذاك منهارة القوى ومخربة أمام كل هذه المنازعات والمهاترات وأمام ضعف قواها الداخلية . وقاد بطليموس فيلادلفيوس (٢٨٥ - ٢٤٧) ق.م الذي احتلها حملة كبيرة لاعادة بنائها وسماها باسمه (فيلادلفيا) التي كانت واحدة من المدن الهيلنستية في الشرق حيث ازدهرت فيها الثقافة الإغريقية .

وفي عام ٢١٨ ق.م قام انطيخوس الكبير ملك سوريا بالاستيلاء على عمون وقلعتها واستمر النزاع عليها بين السلوقيين والبطالمة ثم تركها البطالمة ليسيطروا على فلسطين فاحتلها السلوقيون .

وفي فلسطين قام يهوذا المكابي بثورة تحررية من البطالمة وحاول ان يوسع حدود دولته فاحتل عمون وكذلك فعل ابنه ، وظهر في ذلك الوقت دولتان قويتان هما (دولة الأنباط)

في الأردن و (دولة اليهودية) في فلسطين وقد تنازعتا طويلاً على أراضي المناطق المحيطة بهما ، واستغل الرومان بقيادة بومبي قائد الجيوش هذه النزاعات فدخل القدس وأنهى دولة اليهودية التي احتلها الفرس وقتاً ثم رحلوا .

واستمرت الخلافات بين دولة الأنباط المستقلة نسبياً والرومان في فلسطين ، ثم وضعت عمون في طريق الاحتلال الروماني واهتم (بومبي) بالمدن العشر التي أنشأها الاغريق وعمرها وكانت (فيلادلفيا) واحدة منها ، وعلى مدى هذه السنين انصهرت في عمان العناصر العربية والرومانية واليونانية فظهرت ثقافة عميقة فيها . وفي عام ٣١ ق.م تمكن الرومان نهائياً من انتزاع عمون من أيدي الأنباط . وأصبحت عمون تتمتع باستقلال نسبي واهتم بها كثيراً أباطرة الرومان وخصوصاً الأمبراطور ماركوس واريليوس الذي بنى فيها هيكل هرقل في القلعة والمدرج الروماني .

ومع ظهور المسيحية واضطهاد دعاتها ، لجأ رجالها الاولون من القدس الى عمان وبذلك استقبلت عمان الديانة المسيحية في القرن الأول الميلادي من أصولها المباشرة .

وعندما أصبحت الديانة الرسمية للدولة البيزنطية ، اصبحت عمان مدينة مسيحية تماماً وتنصر أهلها وقدّم مسيحيو عمان الشهداء من أجل الديانة المسيحية منهم (اليانور وزينون وذيناس) وقد صكّت عملات بيزنطية في هذا العصر وعثر على الكثير منها .

إن اهم المناطق التاريخية في عمان هي : (ام الصوينية) و (الويسية) من العصر الحديدي ، القويسمة الرومانية البيزنطية ، قصر النواقيس (ضريح النويجيس) من أبنية القرن الثالث الميلادي ، قلعة عمان ، مغارة قاقيش وهيكل هرقل والبرج الجنوبي والمدرج المسرحي والملهى القديم وقبو السيل وسبيل الحوريات وهو حمام روماني .

وفيما يلي جدول بأسماء ملوك عمون ورد في رسالة ماجستير الباحث الاردني عبد السميع علي أحمد أبو دية عام ١٩٨٧ . وهي أحدث من قائمة وضعها جورج ميلر لاندز عن البرايت [٥].

	اســـم الملك	الزمن التقريبي لحكمه
١.	نــاحـــــــاش الأول	حوالي ١٠٢٠ ق.م
٢.	ناحــــاش الـثــــاني	حوالي ٩٩٠ ق.م
٣.	حانون بن ناحاش الثاني	حوالي ٩٨٠ ق.م
٤.	شـــــــــــوبـي	حوالي ٩٨٠ ق.م
٥.	روحـــــــــــوبـي	قبل عام ٨٥٣ ق.م
٦.	بـعـــــاشـــــا	بعد عام ٨٥٣ ق.م
٧.	ســـــــانـيـب	قبل عام ٧٣٣ ق.م
٨.	زاكـــــــيـــــر	بعد عام ٧٣٣ ق.م
٩.	يـراح عـــــــازار	قبل عام ٧٠١ ق.م
١٠.	بـــــودئـــيـــل	١٧٠١ - ٦٧٠ ق.م
١١.	عـــمـــينا داب الأول	بعد ٦٧٠ ق.م .
١٢.	حـــــــزال ايـــل	بعد ٦٦٧ ق.م - قبيل ٦٠٠ ق.م
١٣.	عــمـــينـا داب الثــاني	حوالي ٦٠٠ ق.م
١٤.	حـــنــــان ايـــيـــل	بعد ٦٠٠ ق.م - قبل ٥٨٢ ق.م
١٥.	بـــــالـــــيـــس	حوالي ٥٨٢ ق.م

جدول (٨) : قائمة بأسماء الملوك العمونيين الذين حكموا المملكة العمونية

الميثولوجيا العمونية

سرّ عمون

لكي نمضي بسلاسة في طريق المثولوجيا العمونية لابد أولاً من فك سرّ عمّون .. من أين اتت هذه التسمية ؟ وهل تخفي وراءها تاريخاً أو آلهة مثولوجية اخرى ؟

سنحاول فك هذه التسمية بعرض مجموعة من الآراء أو النظريات في تسمية عمون ؛ الرأي الأول توراتي معروف ، والرأي الثاني تاريخي ، أما الرأيان الثالث والرابع فمن اجتراحنا حيث حاولنا الاهتداء الى أصل تسمية (عمون) .

١. **التسمية التوراتية :** تذكر التوراة في (سفر التكوين) . انه بعد كارثة سدوم وعاموره خرج لوط الى صوعر ثم الى الجبل هو وابنتاه وأقاما في مغارة "وقالت الكبرى للصغرى ان ابانا شاخ وليس في الأرض رجلٌ يدخلُ علينا عادة الأرض كلها . تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً . فسقتا اباهما خمراً تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت اباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى ها أنا ذا ضاجعت أبي فلنسقه خمراً الليلة أيضاً وتعالي أنتِ فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولاقيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما . وولدت الكبرى ابناً وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين الى اليوم"[٦] . وعلي ذلك تكون تسميته مؤاب من (ابن أب) فتحور وسمي (مؤاب) وتسمية عمون من (ابن عم) فتحور واصبح (بنعم) الذي تحور واصبح (عمون) . وتقع هاتان التسميتان في رأينا ضمن اديولوجية التسميات التوراتية التي تحاول ان تلصق بالمدن او القبائل المضادة لها أو العدوة لها أسساً أخلاقية أو روحية مشينة : حيث يرتبط اسم (عمون) هنا بخطيئة أو اكثر من خطيئة[٧] ، حيث لوط يجرجر معه خطيئة اللواط وابنتاه خطيئة الخمر ثم الزنا بالمحارم ، وهذه تستبطن غوراً نفسياً عميقاً عند التوارتيين يحفل بكره مدينة (عمون) .. لهذه الأسباب ولغيرها مما نعرفه عن المغالطات التاريخية في التوراة نرجح ان هذه التسمية غير صحيحة وتقع في منطقة الخرافة .

٢. التسمية العمورية : يطرح هذا الرأي تسمية تاريخية مرتبطة بالعموريين الذين وفدوا مبكراً الى عمان وأعطوا اسمهم الى هذه المدينة ، فالعموريون كما يقول لاندز يعود أصلهم "الى قبيلة من القبائل السامية الشمالية الغربية التي كانت تقيم في شمال البلاد السورية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بدليل اكتشاف اسم تلك القبيلة (بن عمون) بين أسماء القبائل التي ظهرت أسماؤها مدونة فيما عثر من الكتابات اليوجاريتية"(٨) . وهذا يعني أن (عمون) قبيلة عمورية سكنت سوريا ثم انحدرت الى منطقة في وسط الأردن سميت فيما بعد على اسمها (عمون) .

وهناك من الباحثين من يرجع اسم العمونيين الى جدٍّ معين " واذا عرفنا بأن تلك القبائل كانت قد تسمت في معظم الحالات الى اسماء الجدود أو المؤسسين لها ، فاننا نقترب من الحقيقة اذا تجرأنا بالقول بأن العمونيين كانوا يرجعون الى جد معين ، كان اسمه عمي ، أو عميا أو عمين وانهم كانو يعرفون بانتمائهم الى ذلك الجد من الشمال ، للتمييز بينهم وبين قبائل مشابهة لهم من حيث الأصل ، وبالتالي فان ذلك الشعب حمل تلك التسمية عند انتقاله الى أواسط شرق الاردن ، واستمر يعرف بها"(٩) .

وفي جميع الأحوال وسواء كان الأصل قبيلة اسمها (عمون) أو جداً قديماً اسمة (عمين) ، فاننا نرى ان اسم عمون يقترب من اسم (العموريين) الذي يضم قبائل عدة ، وقد تكون هذه المنطقة قد سميت على اسم (العموريين) الذين سكنوها وكونوا معها مع نهاية الألف الثاني ق.م ممالك عمورية مثل باشان وحشبون وسعير .

٣. التسمية المصرية : نرى أن هناك احتمالاً آخر لتسمية (عمون) يرتبط بالوجود المصري المبكر في الاردن وفي منطقة عمان تحديداً ، سواء كان هذا الوجود عن طريق الهكسوس المطرودين من مصر او السيطرة المصرية اللاحقة على مناطق واسعة من الأردن وفلسطين .

ففي كلا الحالتين كان المصريون في هذه المنطقة ، وكان من عادة الناس إذا ما رحلوا مجبرين أو طالبين العيش الأفضل أن يحملوا معتقداتهم وآلهتهم .. وكان الهكسوس قد عبدوا في مصر ، ضمن ماعبدوه ، الإله (آمون) أو (آمين) واسمه يعني (المخبوء) ويدل على الامان ، وكانت له زوجة اسمها (امينة) ، واسم (آمون) معروف في صلوات الأديان

السماوية الثلاثة . وكان كهنة هذا الاله يسمونه رب الأرباب ، وقد كان أساساً اله جنوب مصر ، ثم اصبح إله مصر الأكبر وانه يمثل "المخبوء والقدرة المستورية التي خلقت الكون وراحت تعضده بصورة قيومية ، كما صرحوا بأن الشمس كانت رمز هذه القدرة المكتومة ولهذا فقد أضافوا اسمه الى اسم (رع) ، وبذلك استطاع ان يغتصب بالتدريج صفات (نو) وقدراته ، كذلك (خنيمو) و (بتاح) و (هابي) وآلهة عظيمة اخرى"[١٠] .

ويقيناً فإن المصريين وحكامهم الذين حكموا الأردن نقلوا عبادة هذا الاله والهة اخرى مثل ايزيس واوزوريس ، بالإضافة الى ما فعله الهكسوس حين نقلوا عقائدهم الدينية الى الاردن بعد طردهم من مصر "وقد دلت الحفريات في قبور الهكسوس ومن العصر البرونزي الحديث ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م بعمان وناعر وجبل نبو غربي مأدبا على ان هذه الأضرحة العائلية الواسعة المزودة بجميع أدوات الفخار والرخام والعاج على ان موقع عمان كان مأهولاً بالسكان"[١١] . ويبدو انه بعد مضي زمن على الوجود المصري هذا بقي اسم الاله (آمون) يصف هذه المدينة ويطلق عليه اسم (عمون) المشتق من (آمون) على (مدينة الأمان) أو (مدينة السلام) ، وهو اسم يتناسب ايقاعه مع تلك العصور المحتربة التي كان نشدان الأمان والسلام غاية نفسية عميقة لأهلها . ثم ان الكثير من المدن المعروفة شرقاً وغرباً كانت تعطي لنفسها تسمية (مدينة السلام) بالاضافة الى اسمها المعلن ، وفي (حالة (عمون) تطابق اسمها مع معناه .



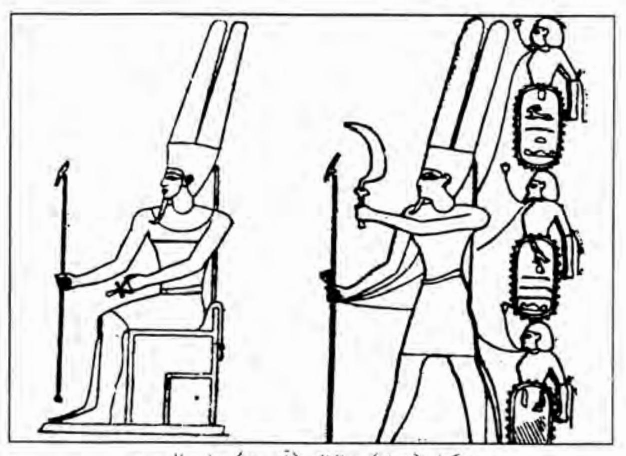
شكل (٣٩) : ناووس أو تابوت حجري يظهر منه رأس تدل صفاته على الاله المصري اوزوريرس (اله العالم الاسفل) ويبدو نائماً او تدل اغفاءته على الموت . من القرن العاشر ق.م / عمان .



شكل (٤٠) : نواوويس او توابيت ذات اشكال آدمية وتبدو الحواجب في الناووس الأول ممتدة الى الاسفل ،ولها أربعة ايدي / حفرية قصر رغدان



شكل (٤١) : الفاتح المصري الشهير الملك تحوتمس الثالث (١٥٠٣ - ١٤٤٩) ق.م الذي اخضع الاردن تحت سيطرته ، وقد يكون هو أو اتباعه او الهكسوس قبله من نقلوا عبادة الاله (آمون) الى الاردن



شكل (٤٢) : الاله (آمون) على اليمين
الاله (آمون - رع) على الشمال
وفي كلا الحالتين يحمل عصا الملوكية المقدسة التي سنشاهدها في لوحة بالوعة .

ونرى انه لا بد من التذكير بلوحة بالوعة (التي عثر عليها في وادي الموجب) (يراجع شكلها في الفصل الخاص بالمثولوجيا المؤابية) والتي يظهر فيها اله مصري يحمل ذات العصا التي يحملها الاله (آمون) وهو يسلمها الى ملك محلي . وهذه اللوحة بحد ذاتها تكشف عمق الوجود المصري الثقافي قبل ظهور ممالك عمون ومؤاب وأدوم .

٤. التسمية العشتارية : لن يقلل من أهمية جميع افتراضات التسمية السابقة اضافة احتمال آخر لتسمية (عمون) . فقد ذكر اصطيفانوس البيزنطي ان عمان كانت تعرف باسم استارتي Astarty وهو اسم مشتق من الالهة عشتار ، ولانستبعد مطلقاً ان يكون اسم استارتي هذا قد ورث تسمية الاله أمون المصري الذي نسيت جذوره ثم اطلق هذا الاسم علي اسم الالهة الانثى لمدينة عمون ، ومعروف ان الالهة عشتار تحمل صفات الحب والحرب وكانت الالهة حاتحور المصرية والتي لها علاقة بالاله امون قد ورثت صفات عشتار الحربية منها بشكل خاص ، وتكون بذلك هذه الخلطة العشتارية الأمونية ساهمت فيما بعد بتشكيل اسم (عمون) الذي تنبضُ فيه انثى قديمة .

وقد رأينا شيئاً مشابهاً لذلك في اسم (بيروت) عاصمة لبنان ، فالالهة الام الكبرى لمدينة بيروت اسمها (بارات) وتحور هذا الاسم بعض الشيء ليصبح (بيروت) واطلق فيما بعد على اسم المدينة ، وعمون وبارات اسماء واحدة لعشتار الحب والجمال ومعهما اسماء مثل ليبيا وبريطانيا وقبرص ، واسم بريتانيا مثلاً مشتق من اسم الالهة بارات "الهة مدينة بيروت الفينيقة وهو أحد أشكال الألهة عشتاروت حملها الفينيقيون معهم عبر مضيق جبل طارق فاعطت اسمها للجزيرة البريطانية ، وكان الصليب رمزها الأساسي نراها محملة به بيدها أحياناً وأحياناً اخرى نراه محفوراً على كرسيها"(١٢) . ولعله من غريب الصدف أن تأخذ بارات أيضاً شكلاً عشتارياً مختلطاً بالمثولوجيا المصرية ، كما نرى في هذه الأشكال الثلاثة للالهة بارات .







شكل (٤٣) : الالهة بارات
١ . الاصل المصري العشتاري للالهة بارات
٢ ، ٣ . بارات كما يصورها عمل فني مصري وبيدها اليسرى الصليب او عصا الملوكية . وتظهر الكتابة اللاتينية من العصر القبطي المسيحي .

أما تسمية (ربة عمون) فهي تسمية حديثة نسبياً حيث كلمة (ربة) تطلق على المكان مثل كلمة ربوة وهناك ربة مؤاب وربة جرش ولاتعني هنا اسماً مقابلاً لكلمة (الهة) .

ويحق لنا الآن أن نسأل : ما اسم الالهة الانثى التي عبدها العمونيون في فترة مملكتهم من حوالي (١٢٠٠ - ٦٠٠) ق.م. هل كان اسمها عمون كما اسلفنا أم ماذا ؟ صحيح اننا نعرف انها عبدت في الفترة الهيلينية والرومانية باسم تايكي . وهذا ما سنرجؤه الى مثولوجيا تلك الفترة ولكن ما اسمها ومن هي في هذه الفترة ؟

أرى أن هذه الإلهة لم تكن اسماً ثابتاً نستطيع اعتماده ولكننا ربما كان بإمكاننا اطلاق تسمية عشتار ملكوم ، اي الالهة رفيقة الاله الرئيسي لمدينة عشتار جرياً على ماسنلمسه في مؤاب عندما نرى إلهها الرئيسي اسمه (كموش) والهتها الرئيسية اسمها عشتار كموش . لذلك نقترح ان نسميها (عشتار ملكم) (هذا بالاضافة الى احتمال ان يكون اسمها عمون كما اسلفنا) .

شكل (٤٤) : عشتار ملكوم - الهة العمونيين الاولى

وقد تكون منحوتة السيدة ذات الوجه المزدوج المعروضة في متحف عمان هي هذه الالهة لأن في نحتها ما يدل على اختلاف عن شكل امرأة اعتيادية .

ملكوم

يعتبر ملكوم أو (مالكوم) أو (مولك) كبير آلهة العمونيين ، ويرجع هذا الاله في جذوره الى الاله الفينيقي في صور (ملكارت أو ملقارت) وهو بعل صور وهذا الجذر الكنعاني يعطيه صفة الخصوبة . وهو إله طقسي زراعي يرعى احتفالات البذار والحصاد ومكاثرة الحيوان ، ويرعى علاقات الحب والجنس بين الرجال والنساء . ويقيناً أن هذه الصفة التموزية أو البعلية التي يملكها (ملكوم) تضعه في صف بعل بيبلوس (أدونيس) .

لقد استتر اسم البعل الكنعاني في أسماء محلية مثل ملكارت الصوري وأدونيس البيبلوسي ويهوا العبراني وملكوم العموني وكموش المؤابي وقوس الأدومي وذي الشرى النبطي . وقد اكتسب وهو يتنوع في هذه الأسماء صفات الأقوام التي عبدته والبيئة التي نشأ فيها . وظهرت فيه عناصر جديدة ساهمت في قلب بعض وظائفه وجعلته في موقع آخر رغم ان (بعل) أصلاً جمع في شخصيته المتناقضات .

ونرى أن الجذر البعيد للإله (ملكوم) و (ملكارت) يعود في تسميته الى الاله البابلي (مردوخ) أو (ملك) الذي يعني اسمه (عجل الشمس) ، وهو الإله الذي كان يلقب في ملحمة الخليقة البابلية بـ(ملك الآلهة) بعد انتصاره على قوى العماء وخلق الكون والانسان . وإذا تمعنا في تسمية . (مردوخ) أو (مردوك) الالهة فسنجد أنَ كلمة (ملك) لها علاقة بـ(مردوخ) وأن كلمة (ملكوم) تلفظ أحياناً (مولوك) وهذا قد يعني أن الكلمة تطورت بهذا الشكل :

مردوخ ← مردوك ← مولوك ← ملك ← ملكوم وملكارت ....الخ

وتتناسب صفات ملكوم مع صفات مردوخ ، فهو ملك الآلهة العمونية الذي كانت تقدم له الاضحيات ، وتقام له الطقوس في وقت معين من السنة . وكان هذا الإله هو الذي يرعى ملوك العمونيين ويباركهم ، وقد ورد ذكره كثيراً في العهد القديم .

ويبدو أن ملكوم كان يحب الذبائح البشرية ولاسيما الأطفال وهي عادة دينية نزحت من عبادات النيوليث كما أسلفنا ، وقد صنع العمونيون للإله ملكوم "صنماً من نحاس جالساً على عرش من نحاس أيضاً وجعلوا له رأس عجل ووضعوا على رأسه إكليلاً وكان العرش والصنم مجوفين ، وكانوا يشعلون في التجويف ناراً حامية حتى إذا بلغت حرارته درجة الحمرة وضعوا عليها الذبيحة واحترقت عاجلاً . وفي أثناء ذلك كانوا يدقون الطبول لمنع سماع صراخها . ثم يتفرق الناس وهم يضرعون الى الاله ان يحقق آمالهم التي قدمت الضحية من أجلها"(١٣) .

ورغم ان التوراة تذكر الاله ملكوم بالكثير من الغضب وتصفه بـ(الرجس) الا ان اليهود سقطوا مراراً في عبادته ومارسوا طقوسه وكانت واحدة من الأماكن التي مارسوا فيها عبادته جبل الزيتون في وادي هندم مقابل الهيكل المقدس في القدس .

(٢)

المثولوجيا المؤآبية

مقدمة تاريخية

المؤآبيون مجموعة من القبائل السامية الأصل التي كنت تسكن الصحراء السورية وبحكم طبيعتها البدوية هاجرت من اماكن اقامتها الاولى بعد رحيلها اقواماً بدوية أخرى كانت تسكن وسط الأردن وهي قبائل (الشاسو) وتعاملت معها بشكل ودي . واستطاع المؤابيون الانصهار مع سكنة مؤاب الاصليين من الايميين (وهم قبائل كنعانية) بسبب من نشاط المؤابيين الزراعي ، فسيطروا على البلاد سياسياً ، وانتقل حكم مؤاب الى يد المؤابيين واتخذوا مدينة الايميين (ايمية) أو (بالوعة) عاصمة لمملكتهم . ثم بدأو بالتوسع بعد القرن الثالث عشر ق.م وامتد نفوذهم لأربع مدن هي (حشبون ، ديبون ، ينفعه ، ميدبا) إضافة الى حازر وقرياتم وبعل بور ، واطلق على منطقة نفوذهم (عربوت مؤاب) .

وازاء هذا التوسع هاجم الاموريون شمال منطقة النفوذ هذه بقيادة شيحون ، واحتلوا حشبون ثم احتلوا بقية المدن المؤابية الشمالية (شمال وادي أرنون) . لكن الاسرائليين بعد وقت هزموا شيحون فانتشرت القبائل المؤابية وظهر الملك المؤابي (بالاق بن صفور) الذي كان كاهنه النبي المؤابي أو العراف المؤابي (بلعام) . وحين دخل الاسرائليون مدينة شطيم الأمورية التي يسكنها المؤابيون عبدوا الاله (بعل فغور) هم وأهل مؤاب وقدموا الذبائح له وتزوجوا من النساء المؤابيات .

وحين مات موسى دفن في أرض مؤاب مقابل بيت بور او بيت فغور التي تقع في أرض مؤاب ، وفي هذه الأثناء وحّد المؤابيون قبائلهم تحت قيادة واحدة ، وارغمت ادوم الاسرائيليين على تغيير وجهة تقدمهم والابتعاد عن أدوم ، ففعلت مؤاب مثل هذا وارغمتهم على البقاء شرق ادوم مما اضطرهم الى السير شمالاً دون أن يدخلوا مؤاب . وهذا أول أسباب عدواة طويلة قادمة بين المؤابيين والاسرائليين .

قام الموآبيون بعد ذلك بطرد قبائل روبن وجاد الاسرائيلية من مناطق في شرق الأردن ، ولم يثر ذلك حفيظة الاسرائيليين ، ثم أقام عجلون القائد المؤابي حلفاً مع العماليق والعمونيين وتوسعت مؤاب تحت ظل هذا الحلف واصطدمت بجماعة من البنياميين الذين قتلوا عجلون غدراً ، بعد أن بعثوا له (اهود) ليدفع له الجزية فلما دفعها ضربه بالسيف

المخفي تحت ثيابه . وفر (اهود) الى جبال أفرايم وقام بتحريض قومه على حرب المؤابيين فحاربوهم ، وكانوا في فوضى عظيمة بعد وفاة ملكهم فانهزموا وارتدوا عبر النهر الى الضفة الشرقية وتغلب البنياميون على مؤاب .

وبعد زمن أعاد المؤابيون نفوذهم الى المناطق الشمالية . عندما بدأ الملك العموني (نحاش) يضرب القبائل المقيمة شرق النهر .

وعندما فرّ داود من شاؤول التجأ الى مؤاب ضيفاً لكنه عندما استلم الحكم بعد شاؤول أصبح عدواً لدوداً لمؤاب ، وأجبر بعض المناطق على دفع الجزية ثم قام ابنه سليمان بالزواج من ابنة ملك مؤاب للحفاظ على نفوذه وقام بتشييد معبد مؤابي للاله كموش في الجنوب الشرقي من القدس ، ويبدو انه أقام للاله العموني ملكوم معبداً آخر وكذلك للالهة عشتار الهة الصيدونيين .

وما أن مات سليمان حتى ثارت عليه كل الشعوب المجاورة التي كانت تدين له بالولاء ، وأعادت مؤاب نفوذها غربي النهر ووصلت شمالاً الى ميدبا . لكن الاسرائيليين عادوا الى مؤاب ايام عمري (لأن الاله كموش كان غاضباً على مؤاب) لكن الملك المؤابي (ميشع) ثار على الاسرائيليين خلال حكم احاب ثم خلال حكم ابنه يهورام ، وامتنعوا عن دفع الجزية ، فشن يهورام حرباً على مؤاب ، وقام ميشع بطر الاسرائيليين منطقة بعد اخرى ووحّد البلاد . لكن الاسرائيليين حاولوا حصار ميشع حيث تحالفت مؤاب مع أدوم ، فنهضت مؤاب واصطدمت بأدوم أولاً ثم تصالحا وشنا حرباً مشتركة ضد يهوذا ، لكنهم لم يربحوا الحرب وظلّ ميشع قوياً في الحكم ثلاثين سنة وكانت اكبر فترة عمران في تاريخ مؤاب .

وبعد أن مات ميشع تقدم الملك الآرامي حزائيل وضرب الاسرائيليين وكان هذا بداية سيطرة الأراميين على المنطقة وبداية ضعف مؤاب وتلاشي مملكتها بالتدريج خصوصاً وأن الآراميين مهدوا ، باضعافهم دول المنطقة ، الطريق للآشوريين كي يتسيدوا عليها .

ثم اصبحت مؤاب ولاية بابلية ومع نهاية القرن السادس ق.م تلاشت مؤاب ولم يعد لها ذكر .

وفيما يلي جدول بأسماء ملوك المؤابيين نقلاً عن (محمود أبو طالب) كتاب آثار الاردن وفلسطين [١٤]

	اسم الملك	مكان ذكره وسنوات حكمه
١.	بالاق بن صفور	العهد القديم
٢.	كموش ياتي	ذكر في نقش ميشع ونقش الكرك
٣.	ميشع	ذكر في نقش ميشع وفي الاصحاح الثالث من سفر الملوك وكان معاصراً جزئياً لكل من اخاب (٨٧١-٨٥٢) ق.م . وابنه اخازيا ويهورام .
٤.	سلمانو	ذكر في اخبار سنة ٧٣٢ من حوليات الملك الآشوري تغلات ، بيلاصر الثالث .
٥.	كموش ناداب	ذكر في اخبار سنة ٧٠١ في احدى نقوش الملك الآشوري سنحاريب
٦.	موسوري	ذكر في احد نقوش الملك الآشوري اسرجون وآشوربانيبال
٧.	كاماشالتو	ذكر في أحد نقوش الشوربانيبال

جدول (٩) : قائمة بأسماء الملوك المؤابيين الذين حكموا مملكة مؤاب

المثولوجيا المؤابية

الاله بعل بور

تكاد المثولوجيا المؤابية تكون الأقرب من العمونية والادومية الى المثولوجيا الكنعانية ، فاقدم ما عرفناه معها هي العبادة الطقوسية المصاحبة لشعائر الزراعة والجنس والخمر والطعام للاله (بعل) ، ويبدو أن ظهور هذا الاله بشكل واسع وكبير في بداية التأريخ المؤابي يؤكد استطيانا كنعانيا مبكرا في مناطق مؤاب كان قد حصل في العصر الحديدي ، ولعل الايميين الكنعانيين المكونيين من قبائل الرفائيين والزمزميين كانوا يمثلون مثل هذا الوجود الكنعاني وربما اثرت عبادتهم على القادميين الجدد الى أرض مؤاب .

ويبدو أن أساطير الاله بعل كانت كلها حاضرة عند المؤابيين ويمكن العودة اليها في المثولوجيا الكنعانية . ومعروف ان عبادة الأله بعل التي "تجعله تجسيداً لروح النبات التي تموت وتحيا في كل عام . لا تصمد أم النقد ، كما ان التفسيرات الاخرى التي تفسر اسطورة بعل بوجود دورة مناخية في سورية القديمة . كانت تسبب في حصول جفاف الأرض وندرة المطر كل سبع سنوات وهي تفسيرات ضعيفة رغم اننا لانستبعدها تماماً ؛ والحقيقة في رأينا . أن تفسير هذه الأسطورة يجب أن ينطلق من فكرة التجديد الدوري للقوى الالهية ، وهي فكرة قائمة في مثيولوجيا وطقوس بعض الثقافات البدائية الحديثة . وثقافات اخرى موغلة في القدم"(١٥) . وهذا يعني ان فكرة تجديد قوى اله الخصب بعل تستحضر فكرة موته ، وهكذا ظهرت اسطورة موت بعل ونزوله الى العالم السفلي مكملة لاسطورة غنجه وترفه وخصوبته والتغني بقواه الجنسية وخصوصاً اذا حملت الطبيعة روحاً جافة صحراوية قاسية بين فترات الخصوبة واذا أخذ الجفاف طابعا دورياً وهذا يعني أن امكانية تبدل البعل الى اله قاس وقوي جاف واردة جداً كما حصل مع الاله (حدد) السوري .

وفي مؤاب حفلت المثولوجيا الأولى بظهور هذا الاله بشكله الجنسي الخصيب وكان يأخذ في الغالب اسمين احدهما (بعل-بور أو بعل فغور) و (بعل-معون) ويرجح ان يكون الاسم الثاني اسم مكان . اما الاسم الاول فقد "اطلق النبي دانيال اسم (بشت) على الاله

بعل بور ، والاسم (بور) له علاقة بجذر الكلمة (بعر) والتي تعني في اللغة الاوغاريتية (ان تمنحه اسماً) اي (سمةً) كذلك تعني (يصرخ) أي (يعلن) كما انها تعنى بالعبرية والسريانية (ان ينفتح على مصراعيه ، أي فاغر من التعجب وبالنتيجة فإن هذه الكلمات التي وردت في دانيال لم تساعدنا على معرفة طبيعة الاله بعل بور"[١٦] . وهذا يعني ان الاله بعل المؤابي يتصف بصفتين فهو إما فاغر الفم يصرخ أو انه جاف وقاسي ، والكلمة (بور) جمعت في تكوينها معنى الخصب والجفاف لأنها يمكن أن تدل على الأرض البور ، وهكذا حمل بعل المؤابي منذ البداية وجهي الخصوبة والجفاف ، ويتناسب هذا مع طبيعة أرض مؤاب الصحراوية والخصبة في آن .

لقد كان النبي أو العراف المؤابي (بلعام) متعبداً للاله (بعل) في مؤاب وكان يقدم له الأضاحي ويقوم بالطقوس الخاصة به وكان يرافق الملك (بالاق) الى معبده لتقديم الأضاحي ومرةً "طلب بلعام من بالاق أن يقوم بإنشاء (٧) مذابح كما ان عليه ان يقوم بتقديم الأضاحي من الكباش والثيران لكل واحد منها ... هذا وقد مرّ معنا ان الفتيات المؤابيات قد طالبن من الاسرائيليين الذي ضربوا بخيامهم في شطيم ان عليهم ان يقدموا النذور والاضاحي الى الههم بعل بور وخلال قيام الاسرائيليين بهذه الطقوس انغمسوا في العلاقة الجنسية والتهام اللحوم التي قدمت اضاحي للاله"[١٧] .



شكل (٤٥) : الاله المؤابي المحارب الذي يشبه الاله بعل من رأس الشمرا (اوغاريت) في شمال سوريا / من منطقة رجم العبد على حافة جبل شيحان حوالي القرن الثاني عشر أو الثالث عشر ق.م.

لقد ظهر الاله بعل المؤابي ذو النزعة الحربية من جذر كنعاني قديم فقد حملت الأساطير الكنعانية أفكاراً عن صراع الخصوبة والجفاف ممثلة بصراع (بعل) و (موت) الى العالم الاسفل حيث تظهر صفات (بعل) الخيرة التي هي ارتفاع شأن الحضارة والعمران والخصب والحب والجمال والتي يحاول الاله بعل توفيرها للانسان من خلال حمله وحراسته لهذه الرموز ومن ثمّ مناولتها للانسان وكان يستعين بقوى الطبيعة فيسخرها للانسان كالمطر وخصوبة الأرض ، أما صفات الاله (موت) فمعاكسة بالكامل فهو اله الموت والجفاف والتدمير والفوضى والكره والقبح ، ويتربص الاله موت بالانسان طيلة حياته فيقتنص روحه حين يضعف الانسان ويتهاوى ليسقط في العالم الاسفل (عالم الموت) بل ويسبب للانسان أثناء حياته المشكلات والآلام والأمراض والكوارث علّه يعجل بموته .

واللقاء بين بعل وموت في المثيولوجيا الكنعانية يتم كل سبع سنوات ويشير هذا الى زمن دوري كان في بلاد الشام يظهر فيه الجفاف كل سبع سنوات ، وهذا يختلف عن الصراع بين تموز والعالم السفلي في المثولوجيا الرافدينية الذي يحصل مع بداية الصيف من كل سنة ، ويقترب من المثيولوجيا المصرية حول صراع (اوزوريس) مع (ست) ، وحين يُقتل بعل يحل الجفاف وتسود قيم (موت) السلبية ويرحل بعل الى العالم الأسفل ولكنه يعود مع ظهور بواكير الخصوبة الزراعية ليصارع أتباع موت وتقوم زوجته (عناة) بقتل (موت) وتقطيع جسده في الحقول فتستعيد الأرض خصوبتها وتعود الحياة لطبيعتها .

ان جوهر هذه الأسطورة الكنعانية ظلّ يجمّع حوله حكايات وافكار وخيالات محلية متعددة في بلاد الشام وما (بعل بور) المؤابي الا واحداً منها .

الاله كموش والمثلث الذكوري

ورث الاله (بعل بور) في مرحلة لاحقة (كموش) وهو الاله الكبير والقومي للمؤابيين ، ويبدو ان تحول صفات (بعل بور) نحو الجفاف والقسوة والحرب تتناسب مع حياة المؤابيين التي ملأتها الغزوات والحروب مع جيرانها ولذلك اكتملت صورة (بعل بور) لاحقاً في شكل (كموش) حيث تحول نهائياً الى اله للحرب والجفاف (تمثله الشمس) وهكذا نلمح في هذه المرحلة وهي مرحلة التكون السياسي والاجتماعي لمؤاب ظهور اله واحد يقع على رأس

المثولوجيا المؤابية هو (كموش) الذي يظهر معه الهين آخرين كمثلث ذكوري يرمز تحديداً الى صفات الاله (موت) الكنعاني ، وهذان الإلهان هما الإله (عزيزو) أو (أزيزو) الإله الخيّال والذي يوصف دائماً بأنه اله الحرب والقتال وأصنامه الصغيرة التي تظهره دائماً وهو يمتطي خيولاً استعداداً للقتال .



شكل (٤٦) : منحوتات صغيرة تمثل الإله (كموش) أو الإله (عزيزو) أو كليهما وهما إلها الحرب والقتال عند المؤابيين ، ويوصف كلٌ من هذين الخيّالين دائماً عند الآثاريين باسم (راكب الحصان)

ويخيّل الينا أن اسم الإله (أزيزو) مشتق من صوت الرعد فالأزيز "هو صوت الرعد وصوت غليان القدر والأزُّ التهييج والإغراء ومنه قوله تعالى {وتؤزهم أزّاً} أي تغريهم بالمعاصي"(١٨) . وقد ظهر الإله عزيزو كثيراً في المثولوجيا العربية خصوصاً عند عرب الجنوب فقد ظهر في نصوصها بالاسمين "(Azizos) ازيزوس وكان يتقدم الشمس عند شروقها و (Monimos) مونيموس وكان يتبع الشمس حين غروبها . والكوكب الوحيد الذي يتقدم الشمس عند ظهورها ويظهر وراءها عند غروبها هو كوكب الزهرة ، ولذلك نستنتج أن الزهرة كان الهاً ذكراً أخذ دور الأبن في الثالوث المقدس عند عرب الجنوب وحمل اللقبين (العزيز - آزيزوس) و (المنعم - مونيموس) ويذهب بعض الباحثين الى انه

المقصود بالنجم الثاقب في القرآن الكريم"[١٩] . ويُخيل لنا بهذا القدر أو ذاك ان كلمة (عزيز) تدل كما هي على شخص قريب من النفس وعزيز ولكنها تعني أيضا ما يدل على (العزاء) وهو الحزن على الاموات ، ولانعدم ان تكون هناك علاقة بينه وبين الألهة السامية الجزرية (العزّى) التي ستظهر في النظام المثولوجي النبطي وهي تمثل الهة قاسية مهيبة .

ولن نغالي اذا قلنا ان واحداً من اسماء الله الحسنى وهو (العزيز) له جذرٌ لغوي في اسم هذا الاله مثلما هو اسم (الرحمن) المرتبط بجذر لغوي في اسم الاله (رامان أو هدد - رامان أو رحمانو أو رحمان) وقد يغرينا البحث في هذا ونرى بأن الأسماء الحسنى في حقيقتها ترتبط بوشائج لغوية مع أسماء آلهة قديمة ذابت في اسم الله الواحد الأحد وصارت صفات أو اسماء له . وهناك ما يشبه هذا حين أصبحت صفات الاله البابلي (مردوخ) خمسين اسماً لآلهة حوله بعد أن توّج ملكاً على جميع الآلهة في اسطورة الخليقة البابلية .

الاله الثالث في المثلث الذكوري المؤابي هو الاله (حورنان) وهو إله الحياة الأخرى أو العالم الأسفل أي أنه إله الموت تحديداً ويذكرنا هذا الإله بالإله الكنعاني (حْرُون) . ولانستطيع أن نعرف على وجه الدقة ما اذا كان "هذا الاله من بين الآلهة التي كانت تمارس عبادتها هنا ، ان الاحتمال الوارد أن (الأميين) هم الذين نقلوا عبادته من أرضهم الى أرض مؤاب"[٢٠] .

لقد قلنا أن هذا الثالوث الالهي الذكوري يذكرنا بالاله (موت) الكنعاني ، ولكننا نجد اشارة واضحة على أن الإله (كموش) كبير هذا الثالوث قد "ورد في القائمة البابلية جنباً الى جنب مع اسم الاله نرجال . وقد كان سبب جمع الناسخ لأسماء هذه الآلهة في قائمة واحدة راجعا الى أن ديانتها متشابهة ، أو انها تشترك في دين واحد ، علماً بأن هذه القائمة لاتذكر ان نرجال هو كموش . غير أنها تذكر أن ديانة كموش تشبه ديانة نرجال بأن كليهما إله للحرب"[٢١] . وبذلك تكتمل صورة كموش مع صورة نرجال تماماً لأن (نرجال) اله العالم السفلي البابلي وزوجته (اريشكيجال) يحكمان هذا العالم ، ويخفي نرجال في أعماقه البعيدة شخصية إله سماوي قبل أن تجره أريشكيجال الى العالم السفلي وتتزوجه . فهو اله مغتصب رفض وهو في الاعالي سطوة اريشكيجال ، اي انه كان يعاكسها في الاتجاه

وربما مثّل وهو في صف آلهة السماء وظيفة إخصابية ، لكنه انحدر بعد ذلك الى مقام العالم الأســفل ورضي بأن يكون إله الموتى وإله الحــروب وإله الأمــراض وإله الحــرب وكل هذه الصفات تردد صفات كموش وثالوثه .

وعند فحص الجذر اللغوي لاسم الاله (كموش) نجد ان هناك احتمالين لمصدر اسمه ، الأول محرّف عن اسم الاله الآدومي (قوس) أو (كوش) وكان رمزه (قوس قزح) المرتبط بالشمس بعد المطر ، وفي هذا ما يوحي باجتماع الجفاف والخصوبة أيضاً .

أما الاحتمال الثاني فهي اشتقاق هذا الاسم مباشرة من اسم اله الشمس البابلي (شمش أو شموش) وهناك من يرى أن أصل الاسم هو (اكو) و (ماشو) حيث أن كلمة (اكو) تشير الى (أخو) وكلمة (ماشو) تشير الى الشمس فيكون اسم الاله هذا هو (أخ الشمس) وهذا أيضاً يتطابق مع صورته التي عبد فيها في مؤاب .

ويتردد ذكر الأله كموش في أناشيد السخرية الأمورية التي كانت جذراً لأناشيد السخرية العبرية ، كما يتردد ذكر الإله كموش كثيراً في أسفار العهد القديم . وقد اعتقد المؤابيون أنه لم يكن بالإمكان الانتصار على الاسرائيليين لولا إله الحرب (كموش) الذي أمر بإعلان الحرب عليهم ثم ضمن لهم النصر ، فقدمت له الغنائم في معبده وقضي على أسرى الأعداء تبركاً له ، ويبدو أن الاسرائيليين عبدوا هذه الإله في وقت ما .

الاله كموش ومسلة ميشع

تقدم لنا مسلة ميشع (ملك مؤاب) صورة واضحة لأهمية هذا الاله في حياة المؤابيين ودوره في كسب حربهم ضد الاسرائيليين . وفيما يلي هذا الملخص الوافي لما تضمنته مسلة ميشع التي نُصبت في ضاحية قرحة في معبد كموش عام ٨٤٢ ق.م :-

كان الاله كموش غاضباً على مؤاب فسلط عليهم ملك اسرائيل عمري ثم ابنة آخاب فاذلا مؤاب ، ولما أصبح ميشع ملكاً على ذيبان عاصمة مؤاب أمره كموش بمقاومة ملك اسرائيل فقام ميشع بالأعمال الحربية التالية :

١) انتزع أرض مأدبا فبنى للإله كموش معبداً مرتفعاً في قرحى وبنى مدينتين .

٢) انتزع أرض عطرت (خربة الطاووس) وأسر الحاكم الاسرائيبي فيها وسحبه أمام الاله كموش ، فارتاح كموش وهنيء .

٣) أمره كموش أن ينتزع منطقة (بنه) ، ولعلها (نبو) ، فهيء ميشع جيشاً وداهمهم ليلاً وحارب حتى ظهيرة اليوم الثاني وقتل الاسرائيليين فيها (سبعة آلاف رجل وأمرأة وصبي وبنت) كأضاحي للالهة (عشتر كموش) . أما الاله كموش فقد وضع بين يديه (موقد يهوا) اله بني اسرائيل هدية له .

٤) أمره كموش بأن ينتزع مدينة (عليان) أو (يهص) فانتزعها واضافها لمملكته ثم بنى ثلاث مدن بأبوابها وأبراجها ، وبنى قصراً وأقام آباراً في بيوتهم ، وجعل أسرى بني اسرائيل يقطعون الأشجار في قرحة ، وبنى مدينة (عرعر) وعبّد طريقها الى نهر (ارنن) الذي يصب في بحيرة لوط ثم بنى مدينة (ام العمد) وبنى معبد (بيت باموت) المخرب ، وثلاثة مدن جعلها صالحة لرعي الأغنام ، وكان شيوخ ذيبان الخمسون معه ، وخضعت له مائتا مدينة حول ذيبان .

٥) أمره كموش أن ينتزع (حورنان) وهي (خربة الذباب) فانتزعها مع مدن اخرى . وكان الإله كموش يباركه في كل مرّة .

وزيادة في الاطلاع ننشر الترجمة الكاملة لنص مسلة ميشع للدكتور فواز طوقان[٢٢] .

نقش الملك ميشع

١ – انا ميشع بن كموشيت ملك مؤاب الديباني .

٢ – ابي ملك على مؤاب ثلاثين سنة . وأنا ملكت .

٣ – بعد أبي . وأنشأت معبداً (اهراما) لكموش ، بقرحي . ولقد بني ذلك .

٤ – بسرور لأن كموش اعانني على قهر كل الملوك ، ولانه اشمتني بكل اعدائي المبغضين . اما عمري .

٥ – ملك اسرائيل، فقد اضطهد مؤاب طويلاً ، ذلك لان كموش اضحى مكروها .

٦ – بارضه . وخلف عمري ابنه فقال هو الاخر : (ساضطهد مؤاب!) اجل ، لقد قال شيئاً كهذا الكلام .

٧ - ولكن كموش جعلني اراه مهزوما من امامي ، هو واله . وبادت اسرائيل ، بادت الى الأبد . ولكن عمري قد ورث أرض .

٨ - مادبا . فأقام بها مدة حكمه . كمـا اقام بها الاسرائيليون من بعده . مدة تبلغ نصف حكم ابناء عمري . فجميع ما اقاموه بلغ اربعين سنة .

٩ - وارجع كـموش مادبـا في ايام حكمي ولقد بنيت خـربة معـين وحفرت فـيهـا تلك البركة . ولقد بنيت .

١٠- خربة الـقريات . اما شـعب جاد فـقد كـان يسكن خربة عطاروس مـن زمن قديم . وكان ملك اسرائيل قد بنى لشعب جاد .

١١- خربة عطاروس . والتحمت بالمدينة مقاتلا ، وافتتحها . وذبحت كل سكان .

١٢- القرية لاجل كموش ومؤاب . ورددت من هنالك موقد ايل اله ملك اسرائيل المحبوب .

١٣- وسحبته الى بين يدي كموش بالقرية . واسكنت بالقرية شران وشعب .

١٤- محرت . وقال لي كموش : (اذهب! خذ بني اسرائيل).

١٥- فذهبت في نفس تلـك الليلة ، واشتبكت بالمدينة من وقـت تبين الخيط الابيض من الاسود حتى الظهر .

١٦- وافتتـحتها، وذبحت كل سـكانها ، وعددهم سبـعة الاف ، رجالا وصبيـانا ونساء وبناتا .

١٧- واماء . ذلك لانني ضحيتها لعشتر كموش . كما انني اخذت من هنالك موقد .

١٨- يهوه وسحبتها جميعاً حتى وضعتها بين يدي كموش . وكان كملك اسرائيل قد بنى .

١٩- عليان وقت محاربته اياي ، ولكن كموش طرده من امامي .

٢٠- واخذت من مؤاب مئـتي رجل وهم قوام فرقتها العسكريـة . ثم قدتهم ضد عليان . وافتتحها .

٢١- مضـيفـا اياها الى مملكة ذيبـان . وان الذي بنى قرحي ، وهي حـمى اليـعرن (؟) وبنيت كذلك سور .

٢٢- الاكروبولس في قرحي . وانا الذي بنى ابواب قرحي واسوارها .

٢٣- وبنيت موقع بيت ملك . وانا الذي حفر كلا البركتين للماء بداخل .

٢٤- المدينة. ذلك لان المدينة كانت خالية من أي بئر . فقد قلت يومها للشعب : (ليحفر

٢٥- كل رجل منكم بئر بداخل بيتـه) . وان الذي قطع الأخشـاب بأيدي الأسـرى الأسرائيلين لقرحي .

٢٦- وقد بنيت عراعر . وعبدت الطريق في وادي الموجب .

٢٧- وانا الذي بنى بيت بموت لانها كانت مهدومـة هدما . وانا الذي بنى ام العمد لانها كانت وقد اصيبت بسوء .

٢٨- كبار القوم في ذيبـان كانو خمسين بالعدد . فذيبان كانت كلهـا خاضعة لي . وأنا ملكت

٢٩- . . . . على مئتي مدينة قد أضفتها الى المملكة . وبنيت

٣٠- مادبا وخـربة دليلة الشرقيـة وخربة معين . وهنالك اطلـقت النقد (وهو نوع من الغنم صغير الارجل)

٣١- . . . وضان المملكة لكي ترعى الكلأ . وأما خربة الذباب فقد سكنها . . .

٣٢- . . . وقال لي كموش :(انزل والتحم بخربة الذباب!) فنزلت والتحمت . . .

٣٣- وأعادها كموش بأيامي . وكان بقربها من الطرف البعيد عشر . . .

٣٤- سنة اربع واربعين . وانا . . .



شكل (٤٧) : صورة لمسلة ميشع



شكل (٤٨) : تخطيط حرفي بالكتابة المؤابية لمسلة ميشع

لاحظنا في مسلة ميشع المكانة الكبيرة التي يحتلها الاله كموش ، فهو عندما يغضب تندحر البلاد ويحتلها الأعداء ، وعندما يهنأ تنتصر ويعلو شأنها وقد لفت انتباهنا في الأوامر الخمسة التي أمر بها كموش ميشع لتحرير مؤاب من الاسرائيليين أن الفعل كان يتم بمباركة . ثم يقوم ميشع بتقديم هية لكموش أو لعشتار . (وقد اتضح لنا أن عشتار كموش تحب ضحايا الحرب وتأنس بقتل الأسرى) ، ثم يقوم ميشع بعد ذلك أحياناً ببناء مدن جديدة . إن هذه المتلازمة الإلهية / الملكية من الأمر الى الفعل الى تقديم الهدية للإلهة الى بناء المدن لتنمّ عن تماسك السلطتين الروحية والسياسية في بلاد مؤاب .

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ا						
ب						
ج						
د						
هـ						
و						
ز						
ح						
ط						
ي						
ك						
ل						
م						
ن						
س						
ع						
ف						
ص						
ق						
ر						
ش						
ت						

جدول (١٠) : يوضح الأبجديات القديمة . وتظهر الكتابة المؤابية ضمن الأبجدية الفينيقية القديمة (الرابعة من اليمين) وهي التي كتب بها نص مسلة ميشع

لقد كان الإله كموش هو الذي يحدد المدن التي يجب انتزاعها وكان هذا يتم عن طريق كاهنه الأكبر أو مباشرة عندما يزوره الملك ، وعندما ينتصر الملك يكون هو الذي نصره ، ويقتل الأعداء كأضحيات له ولزوجته ويقدَم الأسرى خدماً له ، وتقدم الغنائم له ، خصوصاً الغنائم التي تخص إله أعدائه (يهوا) ، فقد قدّم ميشع بين يديه (موقد يهوا) ويجب على الملك بعد أي انتصار أن يقوم بأعمال عمرانية باسمه وأولهما بناء معبد جديد له أو اعادة اعمار معابد قديمة .

تتكون معابد كموش من مذبح على مرتفع تتقدمه ساحة عامة تسمى (بماه) وكانت تقدم له الاضاحي من العجول والكباش دلت عليها آثارٌ ولقى . وقد قدّم (ميشع) ابنه كضحية بشرية للاله (كموش) ، ولم يكن هذا التقليد شائعاً ، ولكن المأزق الذي وقع فيه ميشع عندما تحالفت ضده فيما بعد جيوش اسرائيل ويهوذا وأدوم جعلته يتصرف امامهم بهذه الطريقة الرهيبة التي أجفلتهم وجعلتهم يتحسبون لانتقام الاله كموش ، الذي كانت

ستجعله مثل هذه التضحية جباراً في الانتقام من الاعداء ، فانسحبت جيوشهم خوفاً ورهبة وتعالت مكانة (كموش) .

يرتاح الاله (كموش) عندما تقدم له الأضاحي والغنائم التي كانت تسمى (حرم) وعندما يقتل الأعداء باسمه ، وعندما يتصاعد البخور في معبده ، وعندما تخطط وتحزز الدمى المقدمة له باعتبارها مصابة باليأس وهي بين يديه ترتجيه ليعيد اليها الثقة . وكان الناس يتركون في معبده خصلاً من شعر الرأس أو اللحية كشعيرة فتيشية (سحريه) قديمة تساعدهم في الحصول على ما يبتغون .

الاله نابو (نبو)

تشي تسمية الجبل المسمى حاليا بـ(صياغة) في مؤاب وهو جبل (نبو) أو (نابو) الذي ورد ذكره في العهد القديم وارتبط اسمه بموسى ، تشي هذه التسمية بجذر ومصدر الاله الوافد الى منطقة مؤاب منذ عصور بعيدة . فالإله (نبو) هو إله الحكمة البابلي ثم الآشوري ، وهو ابن الاله مردوخ ، وكان ثاني إله بعد مردوخ يحتل أهمية قصوى في احتفالات رأس السنة البابلية (أكيتو) . ولا نعرف على وجه الدق كيف انتقل هذا الاله من بابل أو آشور الى مؤاب ، لأن اسمه قديم ويكاد يكون معبوداً قبل مجيء المؤابيين وتكوين مملكتهم "وحتى لو افترضنا أن الإله نابو قد تمّت عبادته في أرض مؤاب غير أننا لسنا على يقين من أن المؤابيين هم الذين عبدوه ، لأن هناك شعوباً أخرى كانت تسكن هذا المكان جنباً الى جنب مع المؤابيين"[٢٣] .

ويمكن للعموريين أو الكنعانيين قبلهم أن يكونوا قد نقلوا عبادته من وادي الرافدين الى مؤاب .

لقد ارتبط جبل نبو بالنبي موسى الذي يبدو انه صعد اليه ومات فيه أو على سفحه ونُصبَ هناك نصباً للثعبان قبل موته .



شكل (٤٩) : الاله نبو ، ابن الاله مردوخ ، اله المعرفة والحكمة .

عشتار كموش

أما الإلهة الأنثوية التي كان بتعبدها المؤابيون (عشتر كموش) وهي زوجة الإله كموش ، ولانعرف ما إذا كانت تعبد في معبده أو أن لها معبداً خاصاً بها .. وواضح لنا أن وظيفتها كانت مرتبطة بوظيفة زوجها القتالية ، فالملك ميشع عند انتصاره على الاسرائيليين في نيبو (أو جبل الإله نبو) قتل لهذه الآلهة سبعة آلاف شخص بين رجل وامرأة وصبي وصبية .. وكأن قتل الأضاحي البشرية كان من نصيبها ، ويعطينا هذا الأمر شعوراً بأن وظيفة عشتار أو عناة الخصيبة التي كانت ترافق الاله البعل قد ضخّم منها الجزء الخاص بقتلها للاله موت وتقطيعها لجسده ونثره في الحقول ثم تحولت مع (عشتر كموش) الى وظيفة محاربة قاسية تذكّر بالوجه المحارب القاسي للإلهة البابلية عشتار . وتذكّر باختها (اريشكيجال) ملكة العالم الأسفل المتجهمة الغاضبة وزوجة الاله (نرجال) اله الموت والحرب والأمراض . وهذا هو جوهر الأمر ، فقد انقلبت الآلهة المؤابية بفعل الحرب والجفاف من آلهة خصيبة ممثلة بالبعل وزوجته الى الآلهة المقابلة (نرجال واريشكيجال) .. ثم أُسبغت على صفاتها معاني الحب والجمال والخصب .. في حين انهما يمثلان الحرب والموت والقسوة .. بل لنقل انصهرت هذه المعاني المتضادة كلها في إلهين : الأول ذكرى اسمه كموش والثاني انثوي أسمه (عشتار كموش) .

(٣)

المثولوجيا الآدومية

مقدمة تاريخية

بدأ الاستيطان الادومي قبل بداية العصر الحديدي بشكل محدود في قرى زراعية صغيرة شمال أرض أدوم ، وفي جنوبها عند رأس النقب تكونت قرى صغيرة وقلاع ثم ظهرت المناجم وأماكن صهر النحاس في أدوم ، وظهرت بعض مظاهر الدين المصري نتيجة لامتداد نفوذ المصريين خلال حكم الأسرتين (١٩ ، ٢٠) أي في حدود (١٣٠٠ - ١١٥٠) ق.م.

وكانت أرض أدوم مسكونة من أقوام أطلقت عليهم التوراة اسم (الاميين) الذين سبقهم (العيسويون في سعير) وكان قبلهم (الحوريون) ، ورد اسم أرض أدوم في المصادر المصرية القديمة بمواقع اخرى مثل شوتو العليا والسفلى ، ومواقع كوشو او كوشان الواقعة جنوب الأردن التي كانت تسكنها أقوام بدوية .

بالإضافة للإيميين ورد اسم قبائل الشاسو البدوية التي أقامت في أدوم وسعير . وبذلك يكون الأدوميون قد اختلطوا وورثوا آدوم من (العيسويين - أبناء عيسو بن اسحاق بن ابراهيم - ، والإيميين ، والشاسو ، والكوشو) وقد انصهر هؤلاء جميعاً في نظام اجتماعي وسياسي وكوّنوا فيما بعد مملكة آدوم . ويبدو أن أدوم كانت قد تكونت سياسياً عندما "طلب موسى من الأدوميين السماح له بدخول أدوم وهو يقود الاسرائيليين في التيه الصحرواي بينما كان مقيماً في قادش وارسل رسله ليطلبوا من الآدوميين أن يسمحوا لهم بعبور بلادهم في طريقهم الى فلسطين ، غير أن الآدوميين رفضوا السماح لهم بالمرور وردّوهم على أعقابهم"(٢٤) . ويوم توطدت سلطة الأدوميين أصبحت (بصره) أهم مدينة أدومية وبمثابة العاصمة لآدوم .

ويبدو أن اسرائيل بقيادة شاؤول ثم داود قد خاضت حرباً مع أدوم وهزمتها ، فقد قام القائد الاسرائيلي يوآب بقتل الآدوميين والتمثيل بهم . وكانت مصر تقدم العون لآدوم ولذلك استطاع (هدد) أن يعيد الحياة الى آدوم ويجعلها تنهض من جديد ، بل انها نجحت في القيام بثورة عارمة هزمت فيها دولة يهوذا . وقامت آدوم مباشرة بعد حلف مع العرب والفلسطينيين أيام ملك إسرائيل يورام (٨٤٧ - ٨٤٥) ق.م ، ثم قام هذا الحلف بمحاربة إسرائيل وانتقموا منها شرّ انتقام، وطلب يورام المساعدة من الملك (يوشافط) ملك يهوذا .

لقد جاءت ثورة آدوم ، وكان قد تنصب فيها ملك قوي "مباشرة بعد ثورة الملك المؤابي ميشع وقضائه على فلول الإسرائيليين . وأصبح من الواضح بأن الممالك الأردنية قد وصلت الى درجة عالية من القوة في أوائل القرن التاسع ق.م ، كما أننا نلاحظ ازدياد النفوذ الآشوري خلال هذه الفترة في فلسطين مما مهد السبيل الى استقرار أمور الممالك في شرق النهر ، وكذلك سوريا حين استولى الملك الآرامي حزائيل على اسرائيل"(٢٥) .

تحالفت آدوم مع الملك الآشوري الزاحف نحو الشام (اددنيراري) واستطاعت بمساعدة الآراميين تحرير (ايلة) والاستيطان فيها وبسبب تحالفاتها الكثيرة هذه قامت آدوم بضرب يهوذا ، ثم احتل الفلسطينيون (حلفاء آدوم) أجزاء كبيرة من يهوذا . وبذلك امتدت حدود المملكة الأدومية الى النقب وتوسعت التجارة في هذه المنطقة وأنشأ الآشوريون في الأردن ما أسموه بـ(الطريق السلطاني) الممتد من شمال الأردن حتى جنوبه قادماً من دمشق ، ثم عيّن الملك الآشوري (تجلات بلاسر) الملك الأدومي (قوس ملك) حاكماً على آدوم سنة (٧٣٥ ق.م) ورغم أن الكثير من المدن الشامية التي كانت تدفع الجزية لآشور ثارت على آشور ، الا ان آدوم ظلت محتفظة بعلاقات جيدة مع الآشوريين . ثم عززت غزوات سرجون الثاني وسنحاريب ليهوذا موقع آدوم ، واعتبر الآشوريورن تحرك الأنباط والعرب باتجاه آدوم عدواناً عليهم فحاربوهم مراراً .

سقطت الامبراطورية الآشورية عام (٦١٢ ق.م) وتقدم الأنباط نحو جبل سعير مما جعل الآدوميين ينزحون شمالاً نحو حدود يهوذا الجنوبية . وعندما بزغت الامبراطورية الكلدانية تعاملت معها الممالك الأردنية الثلاث (عمون ومؤاب وادوم) تعامل الولاء ، لكن اسرائيل وقعت في قبضة الملك نبوخذ نصر الذي دمرها نهائياً .

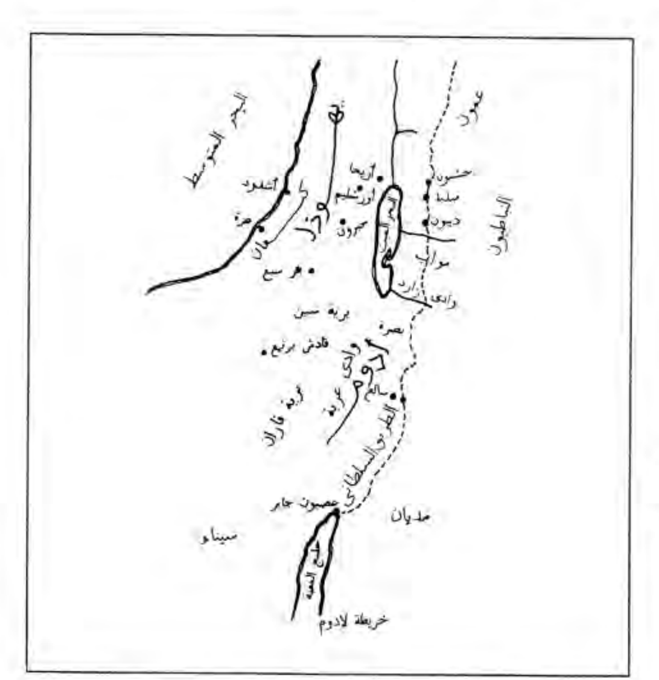
وحين تولى نبو نائيد (٥٥٥ - ٥٣٩) ق.م حاكم بابل قام بحملة عسكرية باتجاه جنوب الاردن ، وحارب العرب شمال غرب الجزيرة ، وقد احرق ودمّر عاصمة آدوم (بصره) ، ولكن الحياة في آدوم ظلت حتى القرن الخامس قبل الميلاد قائمة اجتماعياً . وبعد أن سقطت بابل على يد الفرس ، حكم الفرس آدوم حتى القرن الرابع قبل الميلاد ، وكانت العلاقات التجارية لآدوم في نمو وازدياد ، لكن قوةً جديدة يمثلها الأنباط كانت تزحف ببطىء نحو هذه المنطقة حيث كانت سبباً لنزوح الادوميين نحو جنوب فلسطين التي أسماها الرومان بعدئذٍ بـ(ادوميا) .

أما أهم مدن ومناطق آدوم فيه (بصره ، عويت ، دنهابة ، ايلة ، عصيون جابر ، مجدئيل ، مسريقة ، مبصار فاعي ، اوبوت ، فينون ، رحبة النهر ، راقم ، الصخرة ، توفل ، وادي الزرد) .

وفيما يلي أهم الملوك الآدوميين نقلاً عن محمود أبو طالب [٢٦] .

	اسم الملك	مكان ذكره وسنوات حكمه
١.	قوص ملك	ذكر في اخبار سنة ٧٣٢ ق.م من حوليات الملك الآشوري تغلات بيلاصر الثالث .
٢.	ايارا مو	ذكر في أخبار سنة ٧٠١ ق.م في أحد نقوش الملك الآشوري سنحاريب
٣.	قوص جبار	ذكر مرتين في نقوش الملك الآشوري اسرحدون في أول سنة من حكم آشوربانيبال وعلى ختم ملكي من بصيرة .

جدول (١١) : قائمة بأسماء ملوك آدوم المعروفين



خريطة (٥) : عمون ومؤاب وآدوم وتتضح أرض آدوم يقطعها الطريق السلطاني .

المثولوجيا الآدومية

لوحة بالوعة

تثير اللوحة المسماة بلوحة بالوعة ، نسبة الى المكان الذي وجدت فيه (جنوب وادي الموجب) ، أسئلة عدة ، فهي لوحة تشير الى النفوذ المصري المبكر في الاردن وفي مؤاب وآدوم ، ولكنها في عين الوقت لوحة محلية متأثرة بالفن المصري . وهي منحوتة حجرية لثلاثة أشخاص ، ففي اليمين تظهر الإلهة إيزس المصرية ، إلهة الخصب والجمال والحب وهي بمثابة الإلهة الأم في المثولوجيا المصرية ، تحمل في يدها الصليب المصري المعروف باسم (عنخ) وهو يدل على الحياة والخصب ، اما في يسار اللوحة فيظهر ، على ما نعتقد ، الإله المصري أوزوريس الذي يلبس تاجاً مزدوجاً يمثل مصر العليا ومصر السفلى وفي يده الصولجان ، وهو صولجان الحكم الذي رأيناه أيضاً في يد الاله (آمون)



شكل (٥٠) : لوحة بالوعة مصورة عن متحف عمان يميناً ، وتخطيط توشيحي لها يساراً

وفي الوسط بين ايزس واوزوريس يظهر شخص ملكي يعتلي رأسه غطاء رجّح الباحثون أن يكون غطاء رأس قبائل الشاسو التي سكنت في الاردن واختلطت مع الآدوميين ، ويمكن أن يكون هذا الشخص حاكماً محلياً أو زعيم قبيلة من الشاسو أو من آدوم ، ويظهر جلياً أن هذا الشخص مبارك من قبل ايزيس واوزوريس ، أي انه يأخذ هنا دور (حورس) ابنهما

الذي يرتبط به الملوك عادة . وربما دلت لوحة بالوعة في واحدة من تفاسيرها على هذا الأقنوم الثلاثي (ايزس واوزوريس وحورس) ، وربما أشارت الى الحاكم المحلي في الوسط على أن انه يستلم الحياة والخصب والصولجان من الإلهين الزوجين .

يؤكد وجود لوحة بالوعة على وجود الآلهة المصرية وتأثيرها المبكر على العبادات الاردنية ، وان لم يظهر هذا التأثير قوياً في المثولوجيا الأردنية القديمة . ويرجح أن تكون هذه اللوحة بتأثير الاحتلال المصري المباشر وليس بتأثير الهكسوس الذين سبقوا هذا الاحتلال في مجيئهم الى الاردن ، لأن تاريخ اللوحة يعود الى العصر البرونزي المتأخر (الحديث) أو في بداية العصر الحديدي .

أصل الاله (يهوا)

في إشارة سريعة تذكر التوراة ما يلي "أقبل الربُ من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران واتى من ربى القدس وعن يمينه قبسُ شريعة لهم"[٢٧] . وهذا يعني أن إله إسرائيل (يهوا) طلع أولاً من سعير ثم اتضحت ملامحه وتكرس في جبل فاران . وسعير وفاران مكانان آدوميان سكن فيه عيسو وأبناؤه وهو أب الآدوميين . كذلك فإن قبائل الشاسو المنتشرة في آدوم وسعير كانت تعبد هذا الإله . وهناك من قال بأن وجود هذه القبائل "في جنوب فلسطين ومن قاربهم مع قبائل مشابهة وهم العبيرو الذي أقاموا الى الشمال منهم ، وقد ذهب المحللون مذاهب شتى فقيل بأن الشاسو هم من القبائل الآسيوية وأنهم أنصاف بادية ، وكان مقر إقامتهم الى الشرق من الدلتا في جنوب فلسطين . وهناك من قال انهم كانوا من سكان جنوب سوريا وشمالها . وهناك من قال أنهم سكنوا بلاد النوبة . وعلى العموم ومهما تضاربت الآراء حولهم فإن الشاسو كانو منتشرين في بلاد الشام بمعناها الواسع وانهم كانوا في ادوم وسعير"[٢٨] . إن عبادة الإله (يهوا) عند قبائل الشاسو سبقت كثيرا ظهور العبرانيين على مسرح التاريخ ، فقد حصل هذا قبل أن يأتي موسى الى أرض كنعان ماراً بآدوم ، وانه مما يدل على انتشاره عندهم وجود أسماء عدد من الأسرى الشاسو من ضمنهم أسير اسمه (يهوا) في وثيقة من عصر رمسيس .

ومهما كان الأمر فإن أصل يهوا الذي يمكن أن يلفظ (ياه ، ياهو ، جهفا ، جاهي ، جاهوا) مرتبط باسم "اله القمر الكنعاني (يرح) ، ربما بشكله الانثوي أو الخنثي ، و (يهوا) الذكر تزوج من الإلهة الكنعانية الأم عناة في اليفانتين"[٢٩] . وهناك آراء اخرى تقول بأن يهوا :إله زراعي من آلهة الخصب تعلم موسى عبادته من المديانيين الذين عني بابادتهم بعد الخروج من مصر ليموت سره وسر يهوه معهم"[٣٠] .

ولم تكن مديان بعيدة عن آدوم فلا حدود بينهما بل هما مختلطان مجتمعاً وديانة . ومهما كان الأمر وسواء أكان (يهوا) آدوميا أو مديانياً أو كنعانياً فإنه لايخرج عن منطقة الشام عبادة وانتشارا (رغم احتمال وجود أصل رافديني أو مصري كما سنرى) ، وانه يشير بصفاته الى قطبين متناقضين ، صحرواي وزراعي ، فقد جمع القطب الصحرواي كل مظاهر القسوة والخشونة والانتقام والدمار ، وجمع القطب الزراعي كل مظاهر الخصب والجنس "ويرى بلوتارك ان يهوه تابور ويهوه عيد المظال بات قريناً لديونيسيوس ، اله النبيذ ، ويؤكد آن ماشاهدوه من شعائر يهوه وشعائر ديونيسيوس كان وثيق الصلة كبير الشبه ببعضه ببعض إذ انطوى على طقوس استخدمت فيها حزم الشعير - وقد اعتبر يهوه الاله الحامي لزراعة الشعير والنبيذ الجديد ، والرقص على أضواء المشاعل ، في الأماكن المرتفعة حتى طلوع النهار وإراقة النبيذ على الأرض وعلى أجساد الأضحيات الحيوانية ، وعموماً : الانجذاب الديني ويبدو أيضاً الاتصال الجنسي الطليق من القيود في تلك الممارسات شاع بين (شعب الإله) في طقوس ماقبل عصر السبي"[٣١] . وإذا كان الاله يهوا هو الإله القومي لقبائل العبيرو ، فإنه بلا شك ليس الإله الوحيد عندهم ، كما انه لايبدوا الهاً توحيدياً بل إلهاً تفريدياً يشبه حالة الإله مردوخ عند البابليين ورع عند المصريين وبعل وأيل عند الكنعانيين أو زيوس عند الاغريق "فاسم يهوه ذاته يعني نفس ما يعنيه اسم زيوس اله اليونان : كلا الاسمين يعني (بذرة الحياة) أو (مني الحياة) ومنشأ كلا الإلهين كان عبادات الخصب بالشرق الأدنى القديم . وكما هي الحال بالنسبة الى زيوس ويهوا ، وكلا الاسمين غير سامي ، نجد أن الآلهة سامية الأسماء هي الأخرى ، كحداد وبعل وأيل ،

تشير أسماؤهم جميعاً الى عضو الإخصاب عند الرجل " . وإذا كنا نرى في أصل اسم (يهوا) جذراً سامياً مرتبطا بـ(الهواء) الذي يعني الحياة ، فإن هناك من يرى غير ذلك حيث أن اسم الإله الذي أطلق عليه "ياهو ، لاءو ، ليو كان يطلق على زيوس - سابازوس كقمر ليلي : سيد الموت تحت الأرض مثل ساترن . وقد اطلق اليهود عليه اسم سابائوث : سيد الجند . وكان اسمه اللاتيني قد أتى من نفس الجذور : لو-بتر ، الأب ليو ، واذي هو جوبتر أو جوف"(٣٣) .

ويكاد المصدر الرافديني البعيد يشكل جذراً قديماً من ناحية المعني للاله (يهوا) لأن أقرب ما يقابله في الآلهة السومرية هو الاله (انليل) الذي هو اله الهواء العاصف المدمر ، والذي كان يطلق منيه وبذوره على الأرض لكي تتخصب وعند ذاك يقترب الاله انليل من الإله (أيا) وهو إله الماء والذي يقترب لفظ اسمه من لفظ اسم (يهوا) .

ولننظر في هذه القصيدة السومرية عن الاله (انليل) :

"تقارب السماء – فيكون الفيض .

من السماء ينزل الفيض الى الأرض

تلامس الأرض – فتكون الوفرة

من الأرض تصدر براعم الخصب

حكمتك – هي الزرع ، كلماتك هي الحبوب

كلمتك – هي الماء الغامر ، حياة جميع البلاد"(٣٤) .

وهناك قصيدة سومرية أخرى عن الإله (إيا) أو (أنكي بالسومرية) تزيد الصورة وضوحاً :

"عندما رفع الأب أنكي (عينه) على الفرات
وقف بخيلاء كالثور الهائج
رفع قضيبه ، وقذف المني
فملأ دجلة بالماء الرقراق"[٣٥]

وهذه الصورة السومرية تقترب كثيراً من الصورة العبرية ، (التي أتت بعدها بقرون طويلة) ، والتي جعلت من يهوا إلها جنسياً مخصباً والذي صار اسمه يهوا سيباؤث (Sebaoth) "ويعني حرفياً قضيب العاصفة ، وكان يصور اسطورياً كعضو ذكورة مهول في السماء في حالة انتصاب ، وعندما تبلغ العواصف ذروتها المزلزلة كان يقذف منيه على أخاديد الأرض ، فيخصبها"[٣٦] .

كذلك يمكننا أن نجد جذراً مصرياً قديماً ليهوا ، فقد احتوى (كتاب الأبواب) المصري قبل ٣٢ قرناً ، وتحديداً في (نشيد الرياح الأربع) نقشاً يعبر عن اسم الله "بكتابة هيروغليفية قوامها رسوم تمثل الريش والطير تقابل في ترجمة الأحرف الصوتية لكلمة (ي هـ و ه) ، اما الحرف الأخير من اسم الاله فقد رمز اليه بمروحتين متقابلتين من الريش للتعبير عن شهيق وزفير هذا الاله الحي المحرم اسمه ، لأن تسميته تجعل منه (شيئاً) كسائر الأشياء التي يتم تعريفها بمدلول أو بكلمة ، فالله اذن ليس (كائناً) بل هو (فعل) ، انه حضور خلاّق ، وأصل كل وجود ، وهو لايمكن اختصاره بصفة واحدة من هذه الصفات"[٣٧] .

وإذا كنا قد أشرنا الى أن القطب الزراعي المخصب قد أتى من الديانة الكنعانية والسومرية قبلها فإن هذا لا يتعارض مع قطبه الصحرواي الآخر ، وفي أرض آدوم بالذات

الزراعية والصحراوية في آن وكان يمكن للإله يهوا أن يظهر "وقد غالى البعض وأكدَ أنَّ الرب قبل أن يكون إلهاً لليهود كان اله الأدوميين وكان واحداً من ضمن الآلهة الاخرى التي كانت تعبد من قبلهم وكان هذا سبباً لإغفال كتّاب العهد القديم ديانة الآدوميين خوفاً من الاعتراف بأن (يهوا) لم يكن إله اليهود وحدهم بل نرى شعوباً أخرى كانت تعبده"(٢٨) . ولكي لا نجزم جزماً قاطعاً في هذا الأمر فاننا نرى بأن من الأهمية بمكان الاعتراف بأن الاله يهوا كان إلهاً عادياً ضمن مجموعة كبيرة من الالهة الكنعانية أو الآرامية ، وأنه عُبد في أكثر من مكان ، وأن الأدوميين عبدوه مع آلهة اخرى إلا ان التشكل القومي للعبريين من جهة وللآدوميين من جهة أخرى ، والاحتراب الواضح بينهما ، قد يكونان سبباً في أن العبريين تمسكوا به بقوة وجعلوه إلهاً أعلى لقوميتهم .. فما كان من الآدوميين الا أن طردوه من حظيرة آلهتهم ثم منعوا عبادته .. لأنه أصبح رمزاً لأعدائهم .

ورغم أن التوراة ذكرت ديانة وآلهة العمونيين والمؤابيين الا أنها أغفلت ذكر الآدوميين وأطلقت على آلهتهم (آلهة بني سعير) التي عبدها (امصيبا) ملك يهوذا بعد أن قام بغزو منطقة سعير فغضبت عليه كتبه التوارة وشوهوا سيرته .

الآلهة الآدومية

عبدت في آدوم مجموعة من الآلهة المذكرة والمؤنثة ، بعضها ذات منشأ كنعاني مثل الإله (ايل وبعل وحدد ويهوا وعشتروت) ، وبعضها ذات منشأ مصري مثل (ايزس واوزوريس وحورس) ودليلنا الوحيد هو لوحة بالوعة ، وبعضها الآخر صحراوي جزيري مثل (عزيزو ، قوس ، اللات) .

يظهر الإله (قوس) واحداً من أهم الآلهة الآدومية ، ويكاد يشكل الإله الزراعي للآدوميين ، ويبدو أنه قدم من صحراء الجزيرة العربية تحت اسم (كوز) أو (كوزي) الذي يمثل قوس القزح ، حيث عبد الإله (قزح) في الجزيرة ، ولا شك انه كان يمثل قوس القزح الرامي "الذي كانت نباله البرق وكان قوسه قوس قزح ، فقد كان اله الجبال والبرق والرعد والمطر ، وكان العرب يحافظون على عبادته بقرب مكة ، فهو يقابل حدد (Hadad) اله المطر عند السوريين ، وريشب (Resheph) اله الحرب عند البابليين . وصفة قزح توافق

الآلهة التي كانت تمثل وظيفة اله الحرب مثل أبولو (Apolo) الإغريقي"[39] . وبذلك يمتص الاله (قوس) صفات الاله (حدد) تحديداً ويُظهر الجانب الحربي والصحراوي القاسي رغم أن الاشارة الى المطر والرعد وقوس القزح تعطيه بعض صفاته الخصيبة ، ولا شك أن كلمة (قوس) سواء أشارات الى القوس والسهام الحربية أو الى قوس القزح فإنها تجمع في معناها الجانبين معاً . ويمكن أن تكون عبادة هذا الإله قد تعدت آدوم الى مؤاب وخارجهما "وإذا ما تتبعنا منطقة انتشار هذا الاسم لأدركنا أن عبادته ، من الممكن العثور عليها ، منتشرة على جانبي وادي عربة ، في آدوم ، وبير السبع والنقب ، كما أن اسم الاه قوس كان منتشراً عند المهاجرين الى بلاد ما بين النهرين ، والى مصر ، الى نبور في العراق والى برقة شمال افريقيا"[40] . وقد ذكر في تعاويذ التشخيص والإنذار في الطب الاكدي .

ويمكننا تتبع انتشاره أو انتقاله في الشعوب المجاورة فقد دلت الآثار على أن الأنباط عبدوه ضمن آلهتهم فقد "جاء ذكره في نقش من بصرى ويذكر في النقش صنع نسر على شرفة ، مما يشير الى أن النسر كان رمزاً لهذا الاله ، ونقش آخر عثر عليه في خربة تنور يذكر خبر تكريس محراب له"[41] .

وإذا كان الاله (قوس) هو الشكل الآدومي للإله الكنعاني (حدد) في صورته الطبيعية المستكملة على رموز البرق والعاصفة والمطر وقوس القزح ، فإن الإله (عزيزو) أو (أزيزو) يكمل صورة الاله (حدد) تماماً فهو اله الحرب كما ذكرنا وهذا الاله الصحراوي محارب "وقد بينت الدراسات الأثرية أن دمى الفخار التي تمثل شخصاً يمتطي حصاناً إنما تمثل إلهاً وهو الإله عزيزو (أو أزيزو) لأن هذا الإله كان يصور دائماً على شكل خيّال ، ولعله في هذه الحالة يمثل آلهة الحرب التي تقابل أعداءها وهي على صهوة الجياد"[42] . ويبدو أن هذا الإله ظهر في جنوب الجزيرة العربية بمظهر كوكبي فهو واحد من ثالوث مكون من (إل) اله السماء الذكر أوالقمر و (اللات) إلهة السماء الأنثى أو الشمس ، والإله الثالث هو الوليد الإلهي (عشتر سمين) أي (عشتار السماء) وربما زهرتها "الذي أشارت اليه النصوص بالاسمين (Azizos) آزيزوس وكان يتقدم الشمس عند شروقها ، و (Monimos) مونيموس وكان يتبع الشمس حين غروبها"[43] .

ويمكن أن تكون (عشتروت) الكنعانية قد عبدت كما هي أو تحت اسم (اللات) التي تمثل الشمس ، وهي إلهة جزيرية انتشرت عبادتها في الأجزاء الشمالية من جزيرة العرب "ويرى بروكلمن ان اللات هي الالهة التي كانت تعرف في الطائف بالربة أي السيدة والتي شبهها هيرودوتس بآلهة الفلك رانيا (Rania) وهي تقابل الأم الكبرى للإلهة عشتروت عند الساميين الشماليين"(٤٤) . وكان يمثلها العرب على شكل صخرة مربعة ويعتقدون بأنهم يسمعون صوتاً من داخلها ، واللات كلمة عربية مشتقة من الله وهي صورته الأنثوية لفظاً . وقد انتقلت عبادتها الى الأنباط بعد الآدوميين ، وسماها السوريون (بابارغاتيس) ، ويكاد الإله حدد أو قوس أو عزيزو يتمثل بعض صفاتها فهو إله صحراوي وهي الهة صحراوية وسيكون هذا النظام المثيولوجي الآدومي تمهيداً لنظام مثيولوجي نبطي اشمل سنتدرج فيه المثيولوجيا الآدومية تماماً .

يعتبر نيلسن اللات (الهة الشمس والإلهة الأم) في الأسرة الإلهية السماوية التي تمثلها مع إله القمر وكوب الزهرة ، وتدعى بعض الأحيان بـ(الإلهة) . ويتفق ك.أ.كوك معه في احتمال أن تكون إلهة الشمس ، بينما يرى رينيه ديسو أنها تمثل كوكب الزهرة وليس الشمس ويرى كذلك انها صورة شمالية للإله عثتر إله الزهري الجنوبي وإن كان مذكراً ، وان في الصباح الهة الحرب وتسمى حينذاك بـ(العرى) وفي المساء تمثلها نجمة المساء وتعد حينئذ بـ(مناة)"(٤٥) وبهذا الاحتمال ، تتواشح الآلهة الذكرية مع الآلهة الانثوية فتصبح كل مجموعة مرآة للأخرى تعكس صفاتها وتتمثلها . ولكن هذا يدعونا للقول ان الالهة الأدومية بدأت تنحو في اتجاه سماوي كواكبي واضح ، وتكون بذلك قد غادرت المنحى الأرضي الزراعي وتكون صفات الخصب والجمال قد أهملت كلياً في بيئة صحراوية حربية وسيتضح الثالوث الكواكبي بصورة أفضل عند النبطيين كما سنرى .

الطقوس

أما الطقوس الدينية والمثولوجية فقد كانت تجري في المعابد الادومية التي يمثل المعبد المكتشف في موقع (هوفرت قطميط) ، الذي يبعد حوالي (١٠) كم من تل عراد في جنوب فلسطين ، نموذجاً لها ، وهو مكون من ثلاث حجرات وساحة عامة أمامها ساحة ذات حوض

حجري ومذبح وقد "تم العثور على حوالي عشر دمى طينية تمثل نساء حوامل عثر معها على عدد من الدمى الفخارية الاخرى والفخار المزين بأشكال مختلفة بعضها يمثل أشكالاً انسانية والاخرى حيوانية ، واحدة من هذه الدمى وتمثل الآلهة متوجة بثلاثة قرون"(٢٦) . ويبدو لنا من آثار اخرى ان بعض طقوس العبادة كانت تمارس في العراء بدليل العثور على مذابح لوحدها ومباخر فخارية ، وهذا يشير أيضاً الى استمرارية نمط الديانة الكنعانية في بناء المعابد أو في اماكن العراء المخصصة للعبادة .

هوامش الفصل الرابع

١) العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" . منشورات أمانة عمان ط١ ١٩٧١ ص ٦ .

٢) المرجع السابق . ص ٧ ، ٨ .

٣) المرجع السابق . ص ١٢ .

٤) المرجع السابق . ص ١٧ .

٥) أبو دية ، عبد السميع علي أحمد : "دراسة في فن النحت بعمون مابين ٩٠٠ – ٦٠٠ ق.م" . رسالة ماجستير باشراف د . محمد خير ياسين و ا.د عدنان الحديد . كلية الآداب / قسم الآثار – الجامعة الأردنية . ١٩٧٨ (مخطوطة) .

٦) سفر التكوين ص ٢١, ٢٨ .

٧) راجع المثيولوجيا التأريخية في الفصل السابع من هذا الكتاب .

٨) أبو دية ، عبد السميع علي أحمد : "دراسة في فن النحت بعمون مابين ٩٠٠ – ٦٠٠ ق.م" . ص ٤ .

٩) المرجع السابق ص ص ٤ ، ٥ .

١٠) بدج ، والس : "الديانة الفرعونية" . ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف . منشورات دار منارات . عمان ١٩٨٥ ص ١٣٥ .

١١) العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" . ص ٨ .

١٢) السواح ، فراس : "مغامرة العقل الأولى" . ص ٣٥٣ .

١٣) العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" ص ص ١٩ , ٢٠ .

١٤) أبو طالب ، محمود : "آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة" . منشورات وزارة الثقافة والشباب . ط١ عمان ١٩٧٨ ص ٨٣ .

١٥) السواح ، فراس : "لغز عشتار" . سومر للدراسات والنشر – قبرص ، نيقوسيا . دار غربال ، دمشق ط٢ ١٩٨٦ ص ٣١٣ .

١٦) زيل ، أ.هـ.فان : "المؤابيون" تعريب واعداد د . خير ياسين . نشر الجامعة الأردنية . سلسلة تأريخ الأردن . عمان ١٩٩٠ ص ٧٤ .

١٧) المرجع السابق ص ٧٤ .

١٨) الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر :"مختار الصحاح" . مكتبة النوري . دمشق ص ١٥ .

١٩) القمني ، سيد محمود : "الأسطورة والتراث" . دار سينا للنشر ط٢ . القاهرة ١٩٩٣ ص ١٢١ .

٢٠) زيل ، أ.هـ. فان : "المؤابيون" ص ٧٥ .

٢١) المرجع السابق ص ٧٨ .

٢٢) المرجع السابق حيث نشر النص الأصلي وتراجع حولية دائرة الآثار الأردنية رقم (١٥) ١٩٧٠ ص ١٩ - ٥١ . ترجمة نقش الملك ميشع ضمن دراسة عن اللغة المؤابية للاستاذ الدكتور فواز طوقان الاستاذ في قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية .

٢٣) المرجع السابق ص ٧٥ .

٢٤) ياسين ، خير : "الادوميون" ص ٦٨ .

٢٥) المرجع السابق ص ٩٤ .

٢٦) أبو طالب ، محمود "آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة" ص ٨٤ .

٢٧) العهد القديم . سفر التثنية ٣٣ :٢ .

٢٨) ياسين ، خير : المؤابيون ص ص ٥٩ ، ٦٠

٢٩) Walker, Barbara G. "The women's encylopedia of myths and secrets"

Harper - Sanfrancisco 1983 p. 1095 .

٣٠) مقار ، شفيق : "قراءة سياسية للتوراة" . منشورات رياض الريس للكتب والنشر ١٩٨٧ ص ٢١٤ .

٣١) المرجع السابق ص ٢٦٢ .

٣٢) المرجع السابق ص ٢١٢ .

٣٣) Walker, Barbara G. "The women's encylopedia of myths and secrets" 1983 p. 1095 .

٣٤) كريمر ، صموئيل نوح : "طقوس الجنس المقدسة عند السومريين" ترجمة نهاد خياطة . دار الغربال ط١ دمشق ١٩٨٦ ص ٨١ .

٣٥) المرجع السابق ص ٨٢ .

٣٦) مقـــار ، شفـيق : "قراءة سياسية للتوراة" . ص ٢١٢ .

٣٧) غارودي ، روجيه : "فلسطين أرض الرسالات السماوية" ترجمة قصي اتاسي - ميشيل واكيم . طلاس للدراسات والترجمة والنشر . ط١ ١٩٨٨ ص ٥٩ .

٣٨) ياسين ، خير : "الأدوميون" ص ١٤٧ .

٣٩) خـــان ، عبد المعـيد : "الأساطير والخرافات عند العرب" ، دار الحداثة ، ط٣ بيروت ١٩٨١ ، ص ١٤١ .

٤٠) ياسين ، خير : "الادوميون" ص ١٤٩ .

٤١) الفاسي ، هتون أجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ط١ ، الرياض ١٩٩٤ ص ٢٣٨ .

٤٢) ياسين ، خير : "الادوميون" ص ١٤٥ .

٤٣) القمني ، سيد محمود : " الاسطورة والتراث" دار سينا للنشر ط٢ ، القاهرة ١٩٩٣ ص ١٢١ .

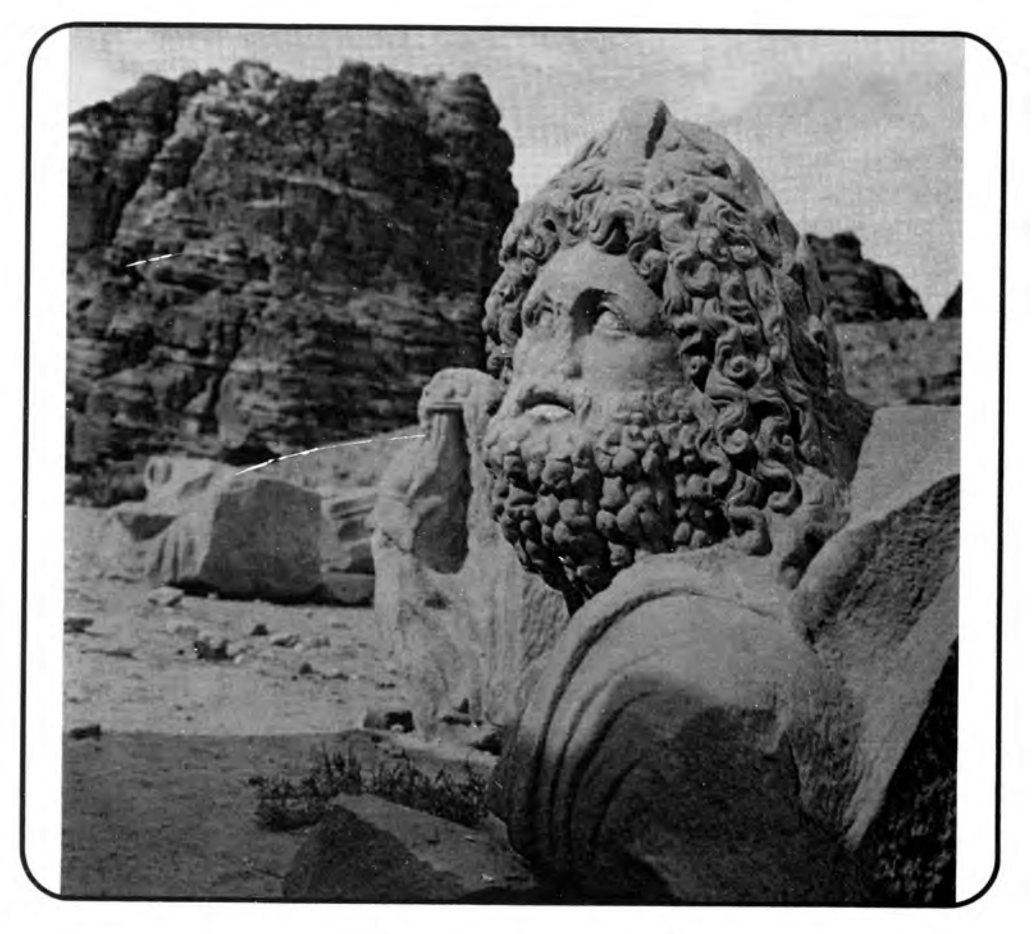
٤٤) حسن ، حسين الحاج : "الاسطورة عند العرب في الجاهلية" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط ١ ١٩٨٨ ص ١٤٧ .

٤٥) الفاسي ، هتون أجواد : "الحيـــاة الاجتماعيـة في شمـال غـرب الجزيـرة العربية" ص ص ٢٤٠, ٢٤١ .

٤٦) ياسين ، خير : "الادوميون" ص ١٤٤ .

الفصل الخامس

المثولوجيا النبطية



الالـه ذو الشـــــرى - بـاخـــــوس / البــــــتـــــراء

مقدمة تاريخية

يشكل الأنباط مجموعة من القبائل السامية يرجح أن تكون أصولها من المناطق الشمالية للجزيرة العربية أو من سواد العراق أو من بوادي الشام ، أو من الثلاثة معاً . وهم الموجة السامية الجزيرية الكبيرة التي سبقت موجة العرب المسلمين حملة رسالة الاسلام بحوالي ألف سنة ، فهم من الناحية التاريخية موجه لاحقة للموجة الآرامية وقد تكون فرعاً من موجة كبيرة غير متجانسة أتت بعد الموجة الآرامية بخمسمائة سنة . وإذا تحدثنا بشكل عام وتقريبي فيمكننا القول بأن الموجات السامية الكبيرة تتابعت على الشكل التالي (الاكدية في الألف الرابع ، الكنعانية في الألف الثالث ، الأمورية في الألف الثاني ، الآرامية في بداية الألف الأول ، النبطية في منتصف الألف الأول قبل الميلاد ثم العربية الاسلامية بعد منتصف الألف الأول بعد الميلاد) . وقد يشكّل الأنباط مع الصفويين والثموديين واللحيانيين والأدوميين والقيداريين موجة متساوقة الظهور وهم يعرفون بعرب شمال الجزيرة القدماء . لكن الآدوميين هاجروا مبكراً وسكنوا جنوب الأردن ثم تبعهم الى نفس المكان القيداريون ولم يكوّنوا دولة هناك ، وربما كان الصفويون قد وصلوا واستقروا في شمال الأردن ، ثم زاحم الأنباط سكنة جنوب الاردن وضغطوا على الأدوميين بشكل خاص مما اضطر الأدوميون الى النزوح عن بعض مناطق سكناهم الرئيسية كالبتراء والذهاب الى جنوب فلسطين تاركين بعض أماكن سكناهم للأنباط ثم لما تم التزاوج بين الفريقين ذابت العناصر الادومية مع الزمن ثم تسلط الأنباط ووسعوا نفوذهم ، وكان الأدوميين قد بنوا قلاعاً كثيرة ورثها الأنباط وكانت لهم آلهة خصب اقتبسها الأنباط عنهم ومهروا في شؤون الزراعة وحذا الأنباط حذوهم في هذا المجال واستعملوا اللغة الآرامية في كتاباتهم ، وكذلك فعل الأنباط[1] .

وتبدو لنا أن من أهم ميزات الأنباط معرفتهم الدقيقة بآبار الماء الخفيّة وصلتهم بالماء تبدو غريبة حتى أن هناك من يقول أن النبط يعني الماء ، كذلك عُرفوا بحبهم للحرية وتقديسها ولذلك لم يخضعوا في تاريخهم الى حكم الأقوام التي تتالت على المنطقة ولم يستطع أحد السيطرة عليهم ، كما أن الأنباط أظهروا قدرة هائلة على استغلال موارد الأرض الطبيعية مثل مناجم النحاس والحديد والاسفلت وصناعة الأدوات منها ، ثم اخذوا لاحقاً عن اليونان تنظيم المدن وضربوا النقود وكانوا واسطة لنقل الهيلينية الى العرب الجنوبيين.

لقد استمر الأنباط حوالي ثلاثة قرون في مرحلتهم الصحراوية الأولى قبل أن يستقروا في مواطن الادوميين في حدود القرس السادس ق.م. وقد كانت مرحلتهم الصحراوية الأولى بدوية صرفة ، فلم يكونوا على معرفة بالزراعة والاستقرار وبناء البيوت .

لم يكن الأنباط رعاة كباقي البدو ، بل كانوا مهتمين بالتجارة وتجهيز القوافل التجارية التي تخترق الصحراء . وقد اصطدموا مع قوات يونانية بقيادة اثنايوس وأثبتوا حبهم للحرية والاستقلال . وكانت لهم حرفة اخرى هي استخراج القير من البحر الميت وبيعه للمصريين ، وعلى العموم فقد نقلتهم التجارة وحيازة القوة والثراء النفوذ الى تعلم فنون الري والزراعة والعمارة والنحت وبذلك تحولت طبيعتهم البدوية الى طبيعة زراعية مستقرة ورافق هذا امتلاكهم لأراضي ادوم كما ذكرنا .

أم الفترة الثانية من حياتهم السياسية فقد اتسمت بالاستقرار واستبدال شيخ القبيلة بالملك الذي يحكم القبائل ، وكان يطلق عليه (مرنا) بمعنى (سيدنا) ونجد مثل هذه التسمية عند عرب الحضر شمال العراق .

وبعد الاجتياح الآشوري والبابلي للشام جاء الاجتياح الفارسي الذي استمر مدة قرنين انتهى مع احتلال الاسكندر الكبير وتدميره الامبراطورية الفارسية ثم خضوع اغلب مناطق الشام لامبراطورتين يونانيتين هما السلوقية والبطليموسية .

وفي عام ٣١٢ ق.م قامت أول محاولة سلوقية لاخضاع دوة الانباط بعد أن خضع كل ما عداها من بلاد الشام للسيطرة اليونانية . وبعد سنوات أخذ البطالمة يتحرشون بالانباط حتى انهم انتزعوا منهم لفترة النشاط التجاري وحولوه لمصلحتهم .

وفي حدود منتصف القرن الثاني قبل الميلاد قامت دولة اليهود المكابية جوار دولة الانباط ودخلت في صراعات طويلة مع الانباط تخللتها فترات تحالف .

واكتملت المرحلة الثالثة من حياة الأنباط بعد احتكاكهم بالهيلينيين عندما قدم الرومان الى الشام وأزاحوا البطالسة منه بقيادة بومبي عام ٦٤ ق.م الذي حاول تقليص (اليهودية) الى أصغر حجم بلغته .

تخبرنا الآثار أن أول ملك نبطي معروف هو حارثة الأول في حدود ١٦٩ ق.م ثم مالك ثم حارثة الثاني ثم عبادة الأول ثم حارثة الثالث الذين دخلوا في صراعات مع (اليهودية) والسلوقية وملك أرمينية ، وفصل هذه المجموعة من الملوك الأنباط . وقام مالك الأول بمحاولة الاستيلاء على اليهودية ولكنه جلب لمملكته الدمار ثم خلفه عبادة الثاني الذي خاض ضد اليهودية حرباً ثم حارثة الرابع الذي ظهر السيد المسيح في زمنه وظهرت في عصره اصلاحات عمرانية واسعة ومنجزات زراعية وكان عصره هو العصر الذهبي للانباط ، وقد خاض ايضاً ضد اليهودية حروباً عديدة ثم خلفه مالك الثاني وربِ ايل الثاني الذي بدأ يركّز على بصرى عاصمة له دون البتراء التي استولى عليها قائد روماني تابع لتراجان واسماها (العربية) أو (كورة العربية) وجعل تراجان من بصرى عاصمة لدولة (العربية) وكان آخر ملوك الأنباط هو مالك الثالث حيث بدأت مملكة الأنباط بالافول نهائياً واصبحت ولاية رومانية تضمّ كا ماكانت تضمه دولة الأنباط في أقصى توسعها .. وامتزج أهل الأنباط بعناصر سورية وعربية وقد وجد خطوط نبطية بلغة عربية في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وفي القرن الثالث بزغت تدمر فأخذت مكانة البتراء نهائياً . أما في المرحلة البيزنطية فقد فقدت البتراء مكانتها التجارية واصبحت مكاناً دينياً .

وفي القرن الرابع فقدت البتراء اسمها واصبحت تدعى (الرقيم) وهو اسمها الثاني بعد (الصخرة) ، وكان ذلك يوم أصابها الزلزال عام ٣٦٣ م. ولم تعد البتراء في القرن السادس مسكونة بالناس ثم ضاع اسمها تماماً في العصور الاسلامية .

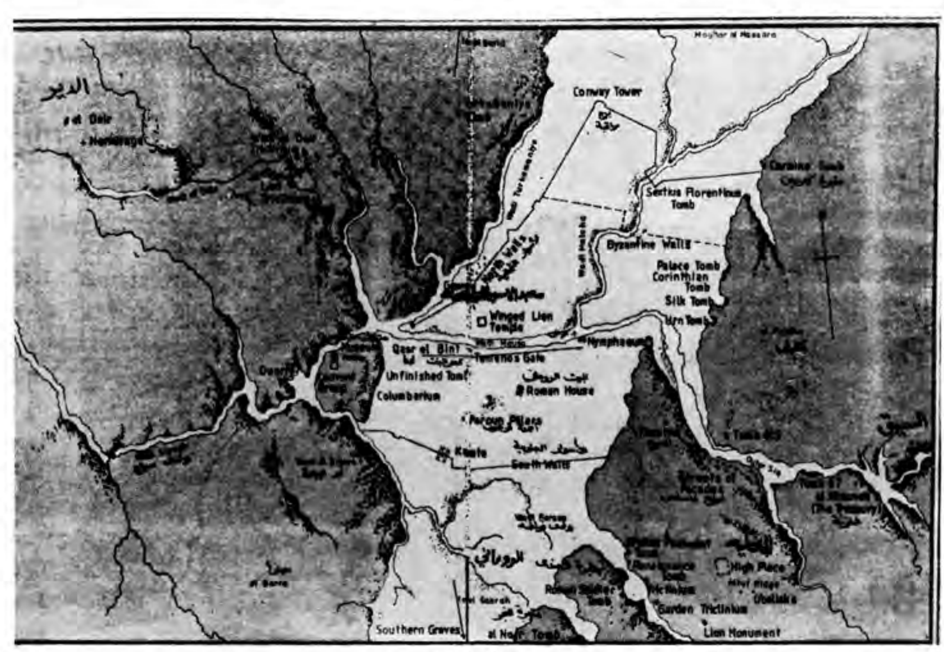
أما أهم المناطق التي شملت الامتداد النبطي فكانت ثلاثة :[٢]

١) **منطقة النقب** - أهم مراكزها عبده وكرنب ونصتان وخلصة .

٢) **منطقة جنوبي سورية** - أهم مراكزها بصرى (سيحا) وفيها مسرح ومعبد للاله ذي الشرى ، والسويداء وهي مركز ديني معماري .

٣) **منطقة شرق نهر الاردن** - أهم مراكزها اطلاقاً هي البتراء ووادي رم وهناك مئات المواقع الاخرى مثل ذات راس وقصر ربه وخربة المشيرفة وخربة براك .

وقد توسعت مملكة الأنباط كثيراً وشملت في أوج ايامها منطقة واسعة ، ضمت دمشق و Coele Syria ، والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وأدوم Idumacea ومدين الى (ددان) وسواحل البحر الأحمر . وثبت أيضاً أن جماعة النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دلت) النيل ، وقد تركت لنا عدداً من الكتابات"[٣]



خارطة (٦) : البتراء

Meshorer		Bowersock		Kammerer	
-------		حارثة ١	١٦٨ ق.م	حارثة ١	١٦٩ ق.م
-------		رب ايل ١		مالك	١٤٥
حارثة ٢	١١٠ – ٩٦	حارثة ٢		حارثة ٢	١١٠ – ٩٦
-------		عبادة ١		عبادة ١	٩٥ – ٨٧
حارثة ٣	٨٤–٧١	حارثة ٣	٨٤–٧٢	حارثة ٣	٨٧–٦٢
عبادة ٢	٦٢ – ٣٠			عبادة ٢	٦٢–٤٧ أو ٦٢ – ٦٠
مالك ١	٦٠ – ٣٠	مالك ١	٥٦	مالك ١ (؟)	٤٧–٣٠ أو ٦٠–٣٠
عبادة ٣	٣٠–٩	عبادة ٢	٣٠–٩	عبادة ٣	٣٠ – ٩
سيلايوس	٩	-------		-------	
حارثة ٤	٩ق.م–٤٠م	حارثة ٤	٨ق.م–٤٠م	حارثة ٤	٩ق.م–٤٠م
مالك ٢	٤٠ – ٧٠	مالك ٢	٤٠ – ٧٠	مالك ٢	٤٠–٧٥ أو ٣٨–٧١
رب ايل٢	٧١ – ١٠٦	رب ايل٢	٧١ – ١٠٦	رب ايل٢	٧١ – ١٠٧

دمشق (بين حارثة ٣ وعبادة ٢)

انتهاء المملكة النبطية ١٠٦ م

جدول (١٢) : ملوك الأنباط حسب ثلاثة من موثقي ملوك الأنباط ، نقلاً عن كتاب (هتون أجود الفاسي) انظر الهوامش

المثولوجيا النبطية

مثولوجيا المحيط النبطي

ظهر الأنباط بين مجموعة من التجمعات البدوية السامية شمال غرب جزيرة العرب ولذلك أخذوا منها وأعطوها الكثير من عقائدهم وآلهتهم .

ونرى قبل الخوض في المثولوجيا ضرورة معرفة مثولوجيا المحيط النبطي لكي تسهل علينا معرفة ما هو مشترك ومختلف بين الأنباط وبين من أحاطهم من أقوام اخرى . وسنضع هذه الآلهة في جداول منفصلة لتسهيل التعرف اليها .

جدول (١٣) : الآلهة اللحيانية

	الإلـــه	طبيعتــــــه
١.	أب – ألف	أو (إيلاف) ورمزه أسدان ، عبدته قريش ويحتمل أن يكون اسمه الآخر سلمان وكنيته (ابا ايلاف) .
٢.	إيل	إله كنعاني الأصل متعال ، له هياكل في المرتفعات .
٣.	جدت	إلهة مؤنثة للاله (جد) وهو اله الحظ .
٤.	حوت	إله الماء ، وقد يكون له صلة باترجاتيس الهة الدلافين النبطية فيكون هذا الاله جذراً للمعتقد المثيولوجي المائي عند الأنباط .
٥.	دجن	إله كنعاني الأصل وهو أب الإله بعل إله الخصب والخضرة وخاصة (الذرة) .
٦.	زغبت	أو (ذو غابة) وينتمي لبلدة غابة قرب يثرب ، وله معابد في العلا وتقدم له اضحيات بشرية وحيوانية وله كاهنات مقدسات .
٧.	سلمن	اله القوافل ... وهو إله أو بطل مقدس لقب بـ(إيلاف)
٨.	سواع	إله لحياني قديم .
٩.	شمس	إلهة الشمس وهي الإلهة الأم للحيان .
١٠.	عوص	أو (عوض) ويمثل الزمن ، وهو إله الدهر والأبد ، وله صنم عند بكر بن وائل .
١١.	الكتبى	أو (هن اكتب) و (هكتبى) وهي إلهة الكتابة والمعرفة .
١٢.	مناة	وهي نجمة العشاء ، إلهة الموت .
١٣.	نسر	وهو الإله النسر ويربط عادة بالشمس .
١٤.	ها – محر	وهو إله القمر الجديد .
١٥.	هبل	وهو الإله الكنعاني بعل واشتهرت عبادته عند العرب .
١٦.	هن أس	أو (هانيء أوس) .
١٧.	ود	أو (شهرن) وهو إله القمر ويرمز له بالثور .
١٨.	ياه	ويذكر هذا الإله بالإله العبري (يهوا) .

جدول (١٤) : آلهة معين

	الالـــه	طبيعتـــــه
١.	ذعو ذن	أو (ذو المعاذ) وهو (المعيذ) .
٢.	رأس صدق	أو (الصادق) .
٣.	نحس طب	أو (الحية الطيبة) ورمزه الحية وهو أيضاً رمز للإله ود إله القمر .
٤.	نكرح	وهو إله البغض والحروب .
٥.	معين	إله القمر وهو الإله القومي الرئيسي .
٦.	ود	إله القمر وهو إله البخور عند المعينيين .

جدول (١٥) : آلهة ددان

	الالـــه	طبيعتـــــه
١.	إله	أو (إله – أب) ؛ محرّف عن الاسم السامي (ايل) .
٢.	إيل	وهو الإله الأكبر في الميثولوجيا الكنعانية .
٣.	بعل سامين	أو (بعل شـامـين) ؛ وهو أثر سـامين عند أهل الدومـة وعبـده اللحيانيون تحت اسم (بعل – سمن) وكان محرماً على النساء .
٤.	خرج	إله الماء ، ويظن أن له صلة بمدينة خرج الحالية .
٥.	داد	أو (حدد) ؛ وهو إله كنعاني ولحياني ونبطي ويرمز للعواصف والبروق
٦.	راعن	إله من دادان قديم .
٧.	اللات	الإلهة الأم لشعوب الجزيرة ؛ وهي الهة الشمس .
٨.	مناة	إلهة الموت والقدر ، وتمثل بنجمة العشاء ؛ وهي إلهة الزهرة .
٩.	ود	إله القمر ويرمز له بالثور .
١٠.	يثع	الإله المنقذ ؛ ويمكن أن يكون له صلة لاحقة بيسوع المنقذ أو المنتظر .

جدول (١٦) : آلهة حوران

	الالــه	طبيعتـــه
١.	أعرا	وهو إله الخمر الذي ارتبط بديونيسيوس ، ويمثل التهتك والفجور ويقترن عادة بالملك النبطي (رب إيل) .
٢.	بصرى	وهي إلهة حوران الكبرى موجودة ضمن ثالوثها دوشرا أعرا ، واللات وبصرى وقد عبد مكان بصرى كاله .
٣.	دوشرا	إله نبطي ؛ اله الخمر والخصوبة .
٤.	اللات	الإلهة الأم لشعوب الجزيرة وهي إلهة الشمس .
٥.	متنو	إله حوران الأكبر وهو اله السماء ، وقد عبد في الحضر تحت اسم (بعشمين) .

جدول (١٧) : آلهة تيماء

	الالــه	طبيعتـــه
١.	تراتا	وهو إله نبطي اسمه (تره) أو (تده) وقد يكون جزءاً من ثالوث تيماء الكبير المكون من صلم وأشيرا وشنجلا .
٢.	صلم	أو (هصلمن) وهو إله الشمس ورمزه الثور .
٣.	أشيرا	وهي إلهة كنعانية ويرمز لها بالقمر .
٤.	شنجلا	وترمز لكوكب الزهرة .

وهناك آلهة أخرى عبدها أقوام مجاورون للأنباط مثل الجيا إلهة سعير التي انتقلت الى الأنباط وعبدت كمكان والآلهة التدمرية مثل عجل بون وعشتر قبض وغيرها .

ما يهمنا من آلهة المحيط النبطي هو التعرف على مجرى التأثر والتأثير بين الأنباط ومن حولهم خصوصاً في بداية ظهور الأنباط أو ما سنسميه بالمرحلة الصحراوية .

وعلى ضوء دراستنا لتأريخ الأنباط والمراحل التي مرّوا بها من ظهورهم الأول كقبائل صحراوية حتى أفول دولتهم وزوال تراثهم الروحي والثقافي ، يمكننا أن نقسم المثولوجيا

النبطية الى ثلاثة أقسام : المثولوجيا الصحراوية التي تمثل الجذور والتي تأثرت بما أسميناه بالمحيط النبطي . والثاني : المثولوجيا النبطية الزراعية التي أتت بعد استقرارهم في مستوطنات ومدن . والثالث : المثولوجيا النبطية المركبة حيث اختلطت بمثيولوجيات مشرقية وسامية ويونانية ورومانية مختلفة ، وأعادت صياغة مكوناتها .

المثولوجيا النبطية الصحراوية

تنغرزُ جذور الأنباط قوية في الصحراء العربية ، وربما احتوتهم قديماً مناطق صحراوية اخرى غير جزيرة العرب كالشام والعراق . وهم من المؤكد موجة سامية متأخرة بعد الآراميين ، لكنهم ، وهذا هو العجيب في الأمر ، رغم قوة جذورهم الصحراوية ، عملوا على انضاج ونمو ملكاتهم الحية والروحية وهضموا سريعاً الأجواء الزراعية الخصيبة التي ترعرعوا فيها ثم استطاعوا تمثّل الحضارات الوافدة خصوصاً اليونانية والرومانية بطريقة تدعو للإدهاش ، فقد انفتح نظامهم الروحي من جذورهم الصحراوية الى آفاق زراعية واسعة ثم كاد يشكل آفاقاً عالمية وكانوا على مشارف اكتساح المنطقة العربية كلها ، لولا الضربة التي وجهت لهم من قبل الرومان (خوف ازدياد نفوذهم) ، لكن هذا الدور المجهض للأنباط سينتشله العرب من بعدهم بعدة قرون وسيكون لهم دور حضاري عالمي إبان ظهور الدعوة الإسلامية .

نرى أنَّ كلمة (نبط) تشبه في المعنى كلمة (عرب) ، فمعنى الاثنتين هو الظهور والافصاح ، ويكمن في جذر كلمة (ن.ب.ط) معنى نبأ ، ينبو أي يظهو ويفصح ، وتأتي التاء لتعطي معنى النبات الذي يشق الأرض ويطلع ، والطاء لتعطي معنى الماء الذي في الأرض .. يطلع او ينبط . أما كلمة (ع.ر.ب) فتشير الى الافصاح والنبو والظهور أيضاً .

وإذا كانت المثولوجيا الصحراوية قد نزحت مع الانباط منذ هجراتهم الأولى ، فلاشك بأنها أخذت في طريقها ما صادفتها من مثيولوجيا أقوام صحراوية اتصلت بها إلا أننا يمكن أن نعثر على ثالوث صحراوي انثوي يتمثل بـ(اللات ، العزى ، مناة) وثالوث صحراوي ذكري يتمثل بـ(ذو الشرى ، هبلو ، شيع القوم) .

لكننا لانستطيع أن ننفي صورة اختلاط اللات بالعزى وتبادل صفاتها ولانعرف على وجه التحديد مصدر العزى ، رغم أننا رجحنا الجزيرة العربية ، إلا أنها تظهر أيضاً مبكرة في المثولوجيا السورية ، واللحيانية حيث اسمها (هن - عزى) أي (ذات العزّة) "ويبدو أن عبادتها ذات صلة بالمعليات (Hight places) ورمز الآلهة الأسد . ويرى ف. وينيت أنها من أصل سينائي ، وانها عبدت في مدينة العزى (Elusa) (الخلصة حالياً) النبطية بالنقب ، وكانت لها أعياد تقام بها ، بل وكانت المدينة بمثابة مقر أو بيت للعزى ، كما انها توازي الآلهة الرومانية فينوس ، ويعتقد انها كانت تمثل الهة الحرب لدى العرب ، لذا كانت اضحياتها في بعض الأحيان بشرية"(٧) .

ويمكن ان يكون اشتقاق اسمها من جذر سومري قديم هو الـ(آزو) أي (العارف بالماء) وكان يطلق على الطبيب ، وارتباط العزى بالماء والخضرة حاضرٌ في الأذهان لكن هناك من يرى أنَ "العزى تأنيث الأعزَ ، مثل الكبرى تأنيث الأكبر ، والأعز بمعنى العزيز ، والعزى بمعناها العزيزة وهي أحدث من اللات ومناة"(٨) .

منـــاة

أما الإلهة الثالثة فهي (مناة) وتسمى عند الأنباط (مناتو أو مناواة) واسمها مشتق من (المنية) و (القدر) فهي الوجه الذي يمثل العالم السفلي للإلهة الأم . أي انها تقابل صورة أرشكيجال السومرية أو البابلية ، فهي تمسك بقوانين عالم الأموات وبأسرار هذا العالم ، وقد مثلها العرب بحجر أسود كانوا يعظمونه خصوصاً قبائل الأوس والخزرج ، وكأن هذا الحجر الأسود يمثل الطور السلبي من الإلهة الأم .

وقد عرفت (مناة) في عصور لاحقة بإلهة الحظ أي (تايكي البتراء) ويرجح أن يكون الهيكل الشهير في مدينة البتراء والمعروف بـ(هيكل الخزنة) معبداً للإلهة النبطية (منـاة) حيث كانت حامية هذه المدينة .



شكل (٥١) : هيكل خزنة فرعون في البتراء ، الذي يمكن أن يكون هيكل الالهة (مناة) حامية البتراء والهة الحظ فيها .

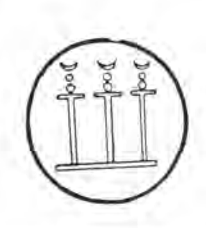
(تايكي البتراء) .

وكانت (مناة) "إلهة الموت كما يدل عليه معنى اسمها ، المنية ، أو أن لا يكون لاسمها صلة بالمنى ، أي الحظوظ والأماني ، وهي إلهة مقدمة لدى النبط وغالباً ما يقترن بذي الشرى في نقوش الحجر الضريحية باسم منوتو ويرى ر. ديسو أن كوكب الزهرة له صورتان واحدة في الصباح تسمى العزى حينذاك ، والاخرى في المساء وتدعى حينئذ بـ(مناة)"(٩).

والموت صفة مناة . ونرى شبهاً غريباً بين مناة العربية ومناتا (Menata) الآرامية ومنوت (Manot) العبرية . وكل هذه الآلهات ترتبط بطريقة أو بأخرى بالإله (ماني) إله القدر او اله الموت عند الكنعانيين(١٠) . لكن (مناة) وبرغم تمثيلها للعالم الأسفل قد ترمز الى القمر ، حيث مثلت اللات الشمس والعزى الزهرة . ويشير هذا التثليث الكواكبي الأنثوي الى نظرة سماوية ينبض فيها جوهر الأنوثة ، ويظهر تثليث الإلهة الام في أشكال ثلاثة مناظراً للقمر الذي يمر بأطوار ثلاثة (الهلال، البدر، المختفي) .ومعروف أن القمر كان يمثل الإلهة الأم في أطوار بعيدة "ولقد عبرت الأعمال التشكيلية القديمة عن هذه الوجوه الثلاثة لعشتار سيدة القمر بأساليب رمزية مختلفة ، ففي سورية رمز الفينيقيون الى أطوار عشتار الثلاث ، بثلاثة أعمدة متفاوتة ، الطول يعلوها الهلال ، أو بثلاثة أعمدة ، يتخذ كل واحد منهم هيئة صليب يعلو الهلال ، وقد يُرسم القمر على شكل دائرة تحتوي على ثلاثة أهلة يرمز كل منها لطور من أطواره كما هو الأمر في بعض النقوش البابلية"(١١) .









شكل (٥٢) : أطوار القمر في نصب فينيقي ، ونقش بابلي ، وخاتم بابلي

وانه لم يلفت الانتباه حقا بأن هذا الثالوث الانثوي ظل ثالوثا مقدسا حتى مجيء الإسلام ، وكان العرب يتقربون لأصنامه بالقرابين ، وكانت قريش تُردد عندما تطوف حول الكعبة :

والـــــلات والعــــــزى   ومنـاة الثالثـة الأخرى

فانهـن الغرانيـق العلـى   وان شفاعتـهن لترتجى

وقد ظهر هذا الثالوث في صورة (الغرانيق العلا) . وكان هناك من يزعم بأنهن بنات لله وشفيعاته اليه . وقال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، ألكم الذكر وله الانثى ؟ تلك اذا قسمة ضيزى ، ان هي إلاّ أسماءٌ سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) .

ان الثالوث الانثوي النبطي يمثل أطوار الالهة الام عند النبطيين ، ولكن اللات يقيناً في المرحلة الصحراوية مثلت جوهر هذا الثالوث فقفزت الى أعلى لترمز الى الحكمة ، لكن صورها وأوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزهرة"[٥] ، وكانت اللات تسمى (ربة بصرى) و (ربة صلخد) .

العزى

أما الالهة الثانية في الثالوث النبطي .. فهي العزى التي تمثل الوجه الشتوي لـ(اللات) ويرمز لها بنجمة الصباح (كوكب الزهرة) وهي الآلهة (ذات القناع) في البتراء . ولاشك أنها أكثر تمثيلا للإلهة عشتار بصفاتها الخصيبة ، وستصبح هذه الإلهة في مرحلة المثولوجيا النبطية المركبة أهم من اللات ، وترتبط بآلهتين وافدتين على شاكلتها هما إيزيس وأفروديت كما سنرى لاحقا .

ويبدو أن اسمها مشتق من الإله الجزيري (عزيزو) الذي ظهر في الجزيرة العربية وعند المؤابيين والآدوميين ، ويقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام "أن العزى قد عبدت مجسمة في ثلاث شجرات من شجر السمار بوادٍ اسمه حراض ، وتقول الروايات ان الرسول قد أمر خالد بن الوليد بهدم بيت العزى وقطع سمراتها الثلاث . فأتاها فقطع الشجرة الأولى ثم الثانية ، وعندما همّ بالثالثة خرجت عليه إمرأة حبشية عريانه ، نافشة شعرها ، واضعة يدها على عنقها ، تصر بأنيابها ، وخلفها سادنها ينشد : أعزاء شدي شدة لاتكذبي على خالد القي الخمار وشمري . فقال خالد : يا عـز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد أهانك . ثم ضربها ففلق رأسها وقتل السادن وقطع الشجرة ، ثم أتى رسول الله فأخبره فقال : تلك العزى ولاعزّى بعدها للعرب ، أما انها لن تعبد بعد اليوم"[٦] .

إن ارتباط العزى بالأشجار أمرٌ طبيعي لما تمثله العزى من صورة الخصب ذكرناه ، في حين ارتبطت اللات بالأحجار لأنها تمثل الوجه الصيفي الجاف من (الالهة الأم) النبطية .

اللات

في الثالوث الصحراوي الأنثوي تظهر (اللات) في قمة الهرم الالهي ، وتمثّل الشمس وهي أم الأرباب والآلهة الانثوية والذكرية "وحين يتحدث لبيفاينوس عن عيد سنوي يقيمه الأنباط في بترا لأم الرب النبطي الأكبر ذي الشرى فالأرجح ان كلامه ينصرف الى اللات وان كان يسميها (كعبو) وهو شكل الصنم الذي كان يرمز اليها كما يرمز اليها كما يرمز الى ذي الشرى في الطور الأول من حياة الأنباط"[٤] . وتعني كلمة (كعبو) الكاعب الحسناء . ويبدو أن أصل الصنم كعبو هو صخرة مربعة (بيضاء اللون في الغالب) تمثل الربة (اللاتو) . فإذا صارت سوداء وكبيرة الحجم مثلت (ذو الشرى) ويبدو أن العلاقة بين اللات وذي الشرى تتبدل فمرة تبدو أمه وتسمى (شامو) العذراء وهي الشمس ، وهذا يجعلنا نتأمل في واحدة من المثولوجيات المسيحية (الأم العذراء تلد الرب) ، ولكن اللات توصف غالباً بأنها زوجة ذي الشرى وحبيبته ، ويمكن أن يكون اسم الاله الذي ورد في النقوش النبطية تحت اسم (إل له) هو المقابل الذكري لأسم الالهة (ال لت) ، ويعكس هذا الترادف اللغوي أمراً في غاية الأهمية سيتشكل لاحقاً في اللغة العربية في ضميرين رئيسين هما (هو) و

(التي) ... ويصلح التجريد الذي وصفت به الإلهة اللات والإله (ال له) نمطاً للتعبير عن مطلق مذكر بصيغة (هو) فعندما يعرف سيكون (الـ هو) أي (ال له) أي (الله) وعن مطلق مؤنث بصيغته (التي) فعندما يعرف سيكون (الـ التي) أي (اللات) .

لقد صادفنا (اللات) كإلهة رئيسة في المثولوجيا الآدومية . ويحتمل أن يكون مصدر (اللات) من آدوم .

هناك من يرى أن اللات دخلت بين سكنى حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها الى اليونانية على صورة (اثيني) . وهو عند اليونان إلهة الشمس ثم لتكون أماً لكل الآلهة النبطية ، لكننا سنراها تتراجع في المرحلة الزراعية لتحل محلها العزى ثم مناة .

الثالوث النبطي الذكري

١. ذو الشرى

يظهر لنا الثالوث النبطي الذكري في المرحلة الصحراوية وكأنه يعبر عن إله واحد هو (ذو الشرى) الذي يقف على رأس هذا الثالوث ليشكل فيما بعد وعلى امتداد تاريخ الانباط الإله القومي لهم . ويرى البعض أن اسمه اشتق من مناطق جبلية في الجزيرة العربية ، ويرى آخرون أنه مشتق من سلسلة جبال (شرى) في جنوب البتراء . أو من المكان ذي الألياف الملفوفة . "وكلمة دوشارا نابعة من الكلمة العربية (ذو الشرى) ، والشراه هي الجبال الواقعة قريباً من البتراء وهي ماتزال محتفظة بهذا الاسم حتى . أما في التوراة فيطلق اسم (سعير) وهي بنفس كلمة (الشراة) . وتصف التوراة يهوه بأنه أشرق من سعير أي أنه دوشار نفسه . وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر ويدعى أحياناً بيت ايل - بيت الله - وكانت هياكله الكبرى تقوم في الأماكن المرتفعة ، مثله مثل دوشارا"(١٢) .

وقد يرد معنى اسم (ذو الشرى) على انه (الإله المنير) وفي ذلك إشارة للشمس ، وفي معجم البلدان نرى أن الشرى موضع عند مكّة ، أو وادٍ من عرفة على ليلة بين كبكب والنعمان . ولأن ذا الشرى - يمثل الوجه الذكري لإلهة اللات عند الأنباط فهو إله الشمس وهي إلهة الشمس "أما كون ذي الشرى يراد به الشمس فالأمر واضح من قول استرابون

الذي يؤكد أنّ النبطيين يعبدونها ، وكانوا جعلوا عيدها في (٢٥) كانون أول كما أفادنا القديس ابيفانيوس في كتابه عن الهرطقات . وزاد مكسيموس الصوري أن النبطيين كانوا اتخذوا صنماً لذي الشرى وهو حجر أسود مكعّب علوه أربعة أقدام وعرضه قدمان"[١٣] .

وكان ذو الشرى يقرن بالحجر أو الصخر المرتفع الشاهق . وكان يُجسّد علي شكل كتلة صخر أو عمود ، أما زوجته اللات فكانت تشير الى الماء والينابيع ، ولذلك تبدو الصورة المذهلة التي تقدمها لنا طبيعة البتراء المتفردة أيام امطر ، أي تلك الصخور الشاهقة ذات الايقاع الأسطوري والماء ينزل منها ، وكأنها عناق سماوي مقدس بين ذي الشرى واللات .

إن النبض المثولوجي المهيب لهذه الصورة يعطي البتراء مكانة دينية مقدسة مشتقة من الطبيعة نفسها لا من المعابد أو الهياكل المقامة فيها ، ولذلك كانت كل صخرة هي جزءٌ من جسد (ذو الشرى) وكان كل ماء يجري يمثل اللات . فهي كالدم يمشي في عروق جسدي صخري ضخم .

ويبدو إنّ الإله (ذو الشرى) انتشر انتشاراً واسعاً في المنطقة العربية فقد اتخذه الصفيون إلهاً للسماء ومثلوه على شكل رجل له لحية طويلة وعلى رأسه قبعة ، وعُبد في دومة الجندل ، وعبدته قبائل طسم البائدة ، وأطلقت عليه أسماء متعددة فهو (ذو الشراه ، وذ شرا ، و دوسر) وهو عند النبطيين إله السلام وأنصابه ورموزه موجهة دائما باتجاه المشرق حيث الشمس . وكان أهم رمز له هو الصقر الذي نجده منتشراً في آثار البتراء ، ومن رموزه الأخرى الثور والأسد والأفعى وكلها رموز تدل على الخصب والقوة .

ولم تكن تمثل (ذو الشرى) تماثيل في المرحلة الصحراوية ، بل كانت تدل عليه أنصاب سوداء تقدم لها القرابين ، وكان النبطيون يضعون مذابح صغيرة على سطوح بيوتهم ويحرقون لها البخور للتبرك به .

وهناك مظهر أو اسم آخر يظهر فيه الإله ذو الشرى هو (تره) أو (تده) الذي عبد في تيماء تحت اسم ترتي أو تراتا ، وكان أحد آلهة ثالوثهم السماوي . وهناك أسماء أخرى له مثل (أشر ، رضى) وهما أسماء مصغرة له .

٢. هبلو

هو الإله الثاني في الثالوث الذكري الصحراوي .. وهو الإله (هبل) الذي أصله (هبعل) أي (البعل) . وهو إله جذره كنعاني ، وكان يعبد أيضاً في جزيرة العرب ويكاد يكون الإله الأكبر عند قريش ، وكان تمثاله من عقيق أحمر ، وعلى صورة إنسان مكسور اليد اليمنى ، صنعت له قريش يداً من ذهب . وتفيد تسميته بمعنى (المسن أو المعمر) وقد عرفته ثمود ايضاً باسمين (ابن هبل ، هبل الخصي) .

وربما اختلفت صورته في قريش حسب ما أملته ظروفها "إلاّ أن نصبه في جوف الكعبة على جبَ أمر لايخلو من دلالة رمزية ، فهو ذكر ، وهو أبٌ ومن بناته اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وهو بوجه من الوجوه من رموز الخصوبة يستمد معناه الرموز من الماء ، والقرائن الأخيرة تقرّبه أكثر من بعل إن لم تجعله يستوي واياه . ذلك أنّ بعلاً عند الكلدانيين والآراميين في صورة (ملك جليل جالس على عرش عظيم) وكان عرش الآلهة عند السومريين على الماء ، وكذا تصور الساميون الإله وقد استوى عليه بعد الخلق"[١٤] . وهذا يعني أن هذا الإله كان الإله القومي لقريش ، لكنه هنا حلّ محلاً ثانوياً أما ذي الشرى فقد اختفي بعد ذلك واندمج فيه نهائياً .

أما من أين أتى هذا الإله بعد أن كانت جذوره البعيدة في (بعل) ، فهناك من يرى أن الإله هبل أصله مؤابي رحل الى الأنباط واللحيانيين ومن ثم رحل الى جزيرة العرب وتبنته قريش . وبذلك يكون مسراه التاريخي كما يلي :

١. الإله (بل) في بابل ويشير الى مردوخ .

٢. الإله (بعل) في كنعان ويشير الى الخصوبة .

٣. الإله (هبعل) في مؤاب .

٤. الإله (هبلو) عند الأنباط .

٥. الإله (هبل) عند اللحيانيين .

٦. الإله (هبل) عند قريش .

وانه لمما يدعو الى المقاربة بين وجوده في مؤاب والجزيرة هو أن "أساليب عبادة العرب هبل تشبه أساليب عبادة المؤابيين هبعل ، فقد كان المؤابيون ينصبون هذا الصنم على التلال المرتفعة أو سقوف البيوت ويذبحون له الذبائح من الحيوانات والآدوميين ويحرقون له المحرقات ويستخيرونه ويفضلونه على سائر آلهتهم وكذلك كان يفعل العرب لهبل ، وكما أن هبعل أكبر أصنام العرب المؤابيين ومن جرى مجراهم ، فهبل أكبر أصنام العرب ، وكانوا ينصبونه فوق الكعبة"(١٥) .

٢. شيع القوم

ويسمى أيضاً (سع هقوم) أي شفيع القوم ، ويوصف بأنه يكره شرب الخمر ، وهو لذلك واحد من الآلهة القديمة للأنباط ، وربما أقدم من ذي الشرى ، لأن الأنباط عرفوا في المراحل اللاحقة بأنهم أكبر زرّاع العنب ومنتجي الخمور .

ولعل الصورة الصحراوية لثالوث الأنباط الذكري يعكسها رأي يقدمه ديودرو الصقلي عنهم حيث يقول "لقد آلوا على أنسهم ألا يبذروا حباً ، ولا يغرسوا شجراً يؤتي ثمراً ، ولا يعاقروا خمرةً ، ولا يشيدونا بيتاً ، ومن فعل ذلك كان عقابه الموت ، وهم يلتزمون بهذه المبادئ لأنهم يعتقدون أن من تملك شيئاً استمرأ ما ملك وعزّ عليه التخلي عنه واضطر من أجل ذلك أن ينصاع لما يفرضه عليه ذو القوة والجبروت"(١٦) .

المثولوجيا النبطية الزراعية

ما أن استقر الأنباط وعرفوا الزراعة وأنشأوا المدن واختلطوا بالأقوام المجاورة وتعلموا منها حتى تسربت عقائد الزراعة وآلهته الخصب بقوة الى مجمعها الإلهي ، وقد عمل هذا التسرب على إعادة صياغة للإلهين الكبيرين (ذو الشرى واللات) عندهم فتشبعا بعقائد الخصب وروح الزراعة . وظهرت المعابد الباذخة المزودة بالمذابح والمباخر ، وظهرت القرابين الحيوانية ، ثم أصبحت القرابين النباتية هي الأفضل وبذلك احتل الكرم مكانة عالية ، وكان سفح الخمور في أثناء الطقوس الشعائرية التي ترمز للخصب بمثابة اللازمة الدينية والتعبير العملي عن مثولوجيا زراعية .

ولعلّ أهم الآلهة التي دخلت مع العقيدة الزراعية هو الإله بعل في صورته (حدد) وهي صورة آرامية عن أصل كنعاني / سومري ، وهو إله المطر والسحاب والصواعق وكل مظاهر الخصب عند السوريين وقد تأثر النبطيون كثيراً بهذا الإله واستطاع أن يحقن الآلهة الصحراوية بمصل زراعي نشط لظهور هذه الآلهة بصورة تتناسب مع الحياة الجديدة التي عاشها النبطيون .



(٢) (١)

شكل (٥٣) : الاله حدد في صورته النبطية

أما الإله الآخر الذي دخل في هذه المرحلة وأتى من أصل آدومي على ما يبدو فهو الإله (قوس) وقد يكون هذا الإله تحت اسم الاله (قيس) او (قيشح) كما ورد عند عرب الحجاز . وقد وجد في خربة تنور اسمه منقوشاً على شكل (قس اله حورا) . وكانت حوران

أهم مناطق عبادته وكذلك ظهر في بصرى تحت اسم (قيصو) أو (قصيو) "ومن المحتمل أن يكون هو قيس أو قوس والاختلاف يكمن في اللهجات ونطق بعض الحروف .

ويرى م. فوجيه أنه إله الادوميين ، أي يرتبط بين كاسيوس وقوس وقصي ، ويعتقد ان دوشرا ، إله الجبل ، امتداد له"[١٧] . وقد عرفنا ارتباط هذه الإله بالمطر وقوس القزح .

والإلهان (حدد) و (قوس) ذوا الطبيعة الزراعية الخصيبة التحما بالإله ذي الشرى وأعطياه صفة زراعية رغم ان هناك ثمة من يقول ان الاله ذا الشرى أصلا ذو طبيعة زراعية وفي رأي لثيودور نولدكه (Th. Noldeke) أيده فيه أ. ف. ل. بيستون "أن ذا الشرى لا يعني جبال الشراه أو اله الجبال ذلك أن سجّل عددا كبيرا من مناطق الجزيرة التي يدخل في تركيبها اسم الشرى ، ووجد أن معناه كان مرتبطا بمعنى (الزراعة الكثيفة) فيعتقد بالتالي أن عقيدة ذي الشرى كانت تمثل عقيدة خصوبة ، وانها مرتبطة بمكان خصب زراعي كما في كلمة (ايكه) . وقد عقد بيستون مقارنة مع موقع مدين الذي يعد منطقة كثيفة الأشجار والتي عرفت فيه عبادته كذلك . ويعتقد أ. كاميري أنه إله قديم جداً ، وقد يكون الآدوميين قد تركوه بعد زوال دولتهم ، فعبده الأنباط"[١٨] . ونحن لانستطيع الاتفاق مع هذه الآراء فقد وجدنا الطبيعة الشمسية الصحراوية أكثر ملاءمة لمنشأ الإله ، ولكن هذا لايمنع من ظهوره فيما بعد بمظهر خصيب في هذه المرحلة أو المرحلة اللاحقة المركبة .

. وحدث ما يتشبه هذا في مجموعة من الآلهة الانثوية فقد دخلت الإلهة (اترعتا) وهي (اتر-آتا) ربة الخصب السورية أو ربة (هيرابولس) ، وكانت زوجة للإله حدد صاحب العرش المجنح بالثيران . اما هي فقد كان عرشها مجنحا بالأسود .

ومن المؤكد ان مقطع (انز) مشتق من اسم عشتار وهي ربّة الخصب البابلية .

ويعمل مثل هذا التحول او التداخل الزراعي الى تغيير صفات اللات الصحراوية أو الى إبراز الآلهة العزى التي تمثل الجانب الخصيب في الثالوث الأنثوي .

المثولوجيا النبطية المركبة

انفتح الأفق الروحي النبطي على عقائد كثيرة أحاطت به ، فأخذ الانباط منها وتفاعلوا معها بمرونة شديدة . فقد أخذوا من الآلهة المصرية والآرامية والبارثية والكنعانية كما أنهم تفاعلوا بشكل مدهش مع الآلهة اليونانية والرومانية وصاغوا من كل هذا الخليط وسطاً مثولوجياً ينفردون به حقاً وينعكس ذلك في تفاصيل آثار عاصمتهم البتراء .

لقد أصبح الإله ذو الشرى في هذه المرحلة (زيوس - حدد) وأصبح (ذو الشرى - باخوس) وأصبح يعبد في حوران تحت اسم (ذو الشرى - أعرى) ويبدو أن العامل الحاسم في هذا التطور هو دخول عبادة الإله (ديونيزيوس) اليوناني أو (باخوس) الروماني وأصبحت شجرة الكرم وعناقيدها وأوراقها تمثله ، وهكذا أعيدت صياغة ذي الشرى "وقوبل بالإله آريس وزيوس فارتبط بالتالي بالشمس وغدا إلها شمسياً واشتهر في الفترة الرومانية وعرف فيها باسم (دوزارس Dusares) الذي هو رومنة لاسمه العربي وقد قابلوا بآلهتهم مثل ديونيزيوس وباخوس ومارس وحتى بجوبتر ، ويعتبر إله الشمس لدى الأنباط بدلالة عيده الذي يوافق نهاية السنة الشمسية ٢٥ ديسمبر"[١٩] .

وحقيقة الأمر هو أن الإله (ذو الشرى) الذي أصبح الهاً زراعياً بالإضافة الى وظيفة الشمس انشطر في هذا المرحلة اليونانية الاغريقية فجانبه الشمسي ارتبط بالإله زيوس (ذو الشرى - زيوس)، أما جانبه الزراعي فارتبط بالإله ديونيزيوس (ذو الشرى - ديونيزيوس) أو (ذو الشرى - آعرى) .



شكل (٥٤) : الاله ذو الشرى - باخوس (البترا)

ويتطبق مثل هذا الأمر على الإله (حدد) الذي تمثل جانبه العاصف والمرعد بالاله زيوس وظهر لنا (حدد زيوس) أو (زيوس حدد) . لكننا لا نعرف على وجه الدقة مإذا كان هناك (ديونيزيوس حدد) رغم ان هناك تطابقاً أقوى بين ديونيزيوس وحدد الذي هو بعل السوري ، وقد عثر على تمثال في خربة التنور ميز له او لزيوس حدد "ويعتقد كذلك انه الاله الرئيسي بالمنطقة مع الالهة اتارجاتيس ، ولوحظ على تمثاله طوق يزين رقبته ، ربما كان أحد اشارات الالوهية او الملكية . وغالباً ما يرافق الثور حدداً في تماثيله وتصاويره ، ويبدو انه واتارجاتس كانا يمثلان ثنائياً كما في معبدهما بدورا - يوربوس"[٢٠] .

ويتميز هذا التمثال الذي يشبه التماثيل التقليدية لزيوس ولكنه مصنوع بطريقة شرقية نبطية فهو محاط بثورين يحفان بعرشه ويرمزان للفحولة وعلى نهاية الطوق أسدان يرمزان للقوة وشعره متموج مجعد واللحية مضفورة في خصلات ثلاث ولشاربيه نهايتان معقوفتان وجبهته منخفضة وحاجباه كثّان وأنفه مبسوط فهو اله شرقي صبغ بصبغة هيلينية [٢١] .

ان دخول ذي الشرى في مثل هذه الأشكال الخصيبة المغدقة في ترفها لا تمنع من احتفاظه بقوى قديمة شمسية الأصل ، لكنها تجعله اكثر تهذيباً وقوة ولذلك فإن اضافة زيوس لشخصية اضافت له القوة السماوية فيها بالإضافة الى قواه الخصيبة "ومثلما كان هناك توفيق بين يهوه وزيوس ، كان هناك توافق أصيل بين يهوه الملقب Sebaoth واله العواصف والرعد الآرامي حداد . فتصور زيوس ويهوه في إطار عبادة قضيبية على صورة عضو ذكورة مهول في السماء يقذف الخصوبة على الأرض في قمة هزة الجماع مع العناصر تصور عنه بدقة بالغة اسم حداد الذي استمده الآراميون من لفظة سومرية تعني الأب القوي"[٢٢] .

ان التحولات التي مرّ بها ذو الشرى من صورة (شيع القوم) الكارهة للخمر الشمسية الى الصورة البعلية البسيطة في (هبلو) الى الصورة البعلية الواضحة في (حدد) الى الصورة الجنسية الخمرية في (ديونيزيوس / باخوس) الى الصورة السماوية في (زيوس) . كل هذه الأشكال تعكس الطبيعة الكونية التي صار اليها هذا الان .

وكذلك مرت اللات بتحولات مشابه فدحول عشتار عليها بصورة (اترعتا) جعلها في مرحلتها المركبة تظهر بأشكال مختلفة جديدة ففي "معبد التنور تظهور في تسعة أدوار ،

فهي ربة الحياة النباتية ، وربة القمح ، وربة الدلافين ، وربة الحظ (تايكي) ، وربة البروج وغير ذلك ، وفي تجلياتها المختلفة تعكس معاني ومفهومات دينية مختلفة أيضاً ، ففي بعض تماثيلها تبدو الأوراق تغطي كثيراً من أجزاء جسمها : وجهها وعنقها وصدرها وأحياناً يظهر التنين والرمان مقترنين بها"[٢٢] .

وتظهر لنا الصورة المائية لأترعتا في شكل الإلهة (اترغاتيس) التي عبدت في عسقلان على شكل إلهة نصفها سمكة ، ومعروف ان هذه الإلهة ذات منشأ رافديني حيث يدل اسمها المركب (اتر-غات) على (عشتار-غات) أو (يد عشتار) التي تدل القوة أيضاً وهي في الأساطير أم الملكة البابلية الآشورية سمير أميس بعد أن حملت من رجل نسّاج جميل المنظر .

وتقودنا مثل هذه الصورة الى جعل (اترعتا) ربّة للدلافين وهي أسماك كبيرة فقد وجدت نماذج للدولفين في خربة براك وفي بترا وفي عبده وفي وادي رم . وتعكس صورة إلهة الدلافين هذه ظهور نشاط تجاري واسع للأنباط عن طريق البحار .



شكل (٥٥) : اتارغاتيس إلهة الخصب والثمار (متحف عمان) .



شكل (٥٦) : اترغاتس الهة السمك والدلافين تظهر سمكتان على رأسها

وتظهر صورتها الأخرى كربة للخيل والجمال وبأنها شفيعة المسافرين وناقلة الانسان الى عالم الموت .

ويبدو ان معبد الإلهة اتراغيتس في سوريا أيضاً جمع هذه الصفات فقد كانت "كبيرة إلهات شمال سوريا ، مقرها الرئيس « منبج » وكانت تدعى (Hierapolis) شمال شرق حلب ، حيث كانت تعبد برفقة زوجها الإله (حدد) وهي تقابل الإلهة الكنعانية عشتار ، وقدّسها الإغريق واعتبروها مقابلة للإلهة افروديت ، كما أنها تقابل الالهة الاناضولية (سيبيل) وهي الهة الخصب وتصور وعلى رأسها تاج وتحمل سنبلة قمح وبرفقة أسود يحمون عرشها . وقد عبدها الأنباط أيضاً إذ عثر على معبد مخصص لعبادتها في خربة تنور"[٢٤] .

من مناة الى تايكي ونايكي

عرفنا أن مناة أصبحت الإلهة الحارسة للبتراء عاصمة الأنباط ، لكنها في هذه المرحلة تتمثل صفات اترغتيس وتتحول الى الهة الحظ (تايكي) البتراء والهة النصر (نايكي) البتراء . وسنناقش في الفصل القادم ما تعنيه كل من التسميتين .

لقد كانت صفات مناة القدرية التي عرفناها في المرحلة الأولى من الثالوث الانثوي النبطي تمضي باتجاه تمثيل الحظ والنصر معاً ، فهي إلهة الموت والحرب ، أي انها الهة النصر في

حالة كسب الحرب ، ثم انها أساساً كانت توصف كالهة للحظ أو اهتبال الفرصة الضائعة . ولأن (تايكي) صفة للالهة الحارس للمدنية فقد كانت مناة كذلك ، ثم غاب اسمها خلف هذا اللقب . وقد اجتمعنا تايكي ونايكي في منحوتة رائعة في البتراء حيث نرى نايكي وهي تحمل أبراج الفلك الإثني عشر أي انها تحمل الكون على رأسها .. هي بذلك تحمل الأقدار والمصائر . وهذه المنحوتة وجدت في البتراء ، وهي محفوظة في متحف عمان ، الا أن كسرتها العليا التي توضح تايكي (الهة الحظ) وهي تتوسط الزودياك موجودة في متحف أميركي .



شكل (٥٧) : نايكي وهي تحمل الزودياك (ابراج الفلك)



شكل (٥٨) : تايكي وسط الزودياك

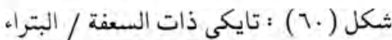
وبذلك تكتمل صورة عناة أو اتراغتيس وهي تشير الى الالهتين نايكي وتايكي بطريقة تدعو الى الدهشة .

لكن تايكي تتجلي في منحوتتين آخريين ، الأولى تايكي المجنحة حيث تظهر لها أجنحة تدل على الجزء الطائر فيها ، وهو يعاكس الجزء السمكي الأصل الذي كانت عليه . والأخرى (تايكي ذات السعفة) حيث تظهر تايكي حاملة سعفة تدل على الخضرة والبساتين .



شكل (٥٩) : تايكي المجنحة / البتراء





شكل (٦٠) : تايكي ذات السعفة / البتراء

إن هذه الصور المتعددة المركبة للإلهة الأم النبطية التي تمثلها اترغاتيس خير تمثيل تدل دلالة واضحة على أن هذه الإلهة تمثلت واحتوت صفات متعددة فهي الهة القمح ، والدلافين والأسماك ، والثمار ، والخصوبة ، والأبراج ، والحظ ، والنصر ، والسعف ، والطيور ....الخ

وقد عبد الأنباط أيضاً الهة الكتابة (الكتبى) واسموها (هكتبى) وتعني خادم الكاتب وقد انتقلت لهم من الأقوام المجاورة لهم ، وهي ذات صلة بالعزّى "وكان لها معبدان أو على الأقل معبد واحد في غرب سيناء بمنطقة الشقاقة ملتقى الطرق عند وادي طميلات ، وموقع قصر اويط قرب الشفافة" [٢٥] .

وعبدت هذه الإلهة عند العرب حتى القرن الثالث الميلادي ، وقام بعض الباحثين بربطها مع الاله المصري (تحوت) والاغريقي (هرمس) والبابلي (نبو) والروماني (مركوري) وكلهم آلهة مسؤولون عن الكتابة . ويرى الدكتور فوزي زيادين انها كانت الالهة التي تحمي القوافل والمتحكمة في مصائر البشر . وهناك جبل صخري في البتراء هو "جبل أو مرتفع الكتبى وهو جبل في الرقيم يواجه المسرح وبه مجموعة من المقابر غير المكتملة وبه أكبر خزان للمياه داخل الرقيم فهل يكون هذا الاسم تحريف لـ(الكتبى) وأن يكون في هذا المرتفع معبد أو هيكل لهذه الآلهة؟"[٢٦] . فالكتبى اذن صورة ثالثة للالهة العزى التي احتوت عناصر صحراوية سامية ويونانية ومصرية ورافدينية وبذلك هضمت مثل اترغاتيس التي هي صورتها الاخرى تراث المنطقة كله ، ومثلته .

وبذلك تكون المثولوجيا النبطية (في مرحلتها) الأخيرة خير معبر عن مستويات الحضارة التي مرّ بها الاردن ، حيث تعكس في طياتها اختلاط ثقافات شرقية وغربية في صورة محلية مليئة بالحيوية والجمال وتنبض فيها قوى الطبيعة بأكملها وتصبح مدلولاتها الرمزية أشد غوراً وعمقاً .



شكل (٦١) : الاله ميركوري (هرمس) رسول الآلهة

المرحلة	الآلهة الأنثوية	الآلهة الذكرية
الصحراوية	اللات ، العزى ، مناة	ذو الشرى ، هبلو ، شيع القوم
الزراعية	اترعتا	حدد ، قوس
المركبة	١) العزى تتحول الى ثلاث : ١. العزى ايزيس ٢. العزى افروديت ٣. العزى الكتبى ٢) مناة تتحول الى اثنتين ١. إلهة الحظ (تايكي) ٢. إلهة النصر (نايكي) ٣) أترغاتس الإلهة الأم الشاملة للأسماك والثمار والفلك والخصوبة	١) ذو الشرى يتحول الى ثلاث : ١. ذي الشرى ديونيزيوس ٢. ذي الشرى زيوس ٣. ذي الشرى اعرى ٢) حدد يتحول الى حدد / زيوس

جدول (١٨) : تحولات الآلهة النبطية

من العزى الى ايزيس وافروديت

أما الإلهة العزى التي ارتفع شأنها في المرحلة الزراعية فتتحد في هذه المرحلة مع إلهتين وافدتين . الأولى هي ايزيس المصرية التي تتطابق معها في الصفات (الخصوبة ، كوكب الزهرة ، الحب ، الجمال) ، والثانية هي أفروديت اليونانية التي تتطابق معها أيضاً في نفس الصفات السابقة ... ولكن اسم العزى يبقى مرتبطا بهما . وتظهر صورة (العزى - ايزيس) في منحوتة كتب عليها (الهة حيان بن بنط) وهي منحوتة فريدة من نوعها حيث يبدو وجه الالهة مستطيلاً بفم مميز الشفاه وأنف مستقيم وحواجب كثيفة ويزينها اكليل مستقيم مكوّن من أوراق صغيرة . أما (العزى - افروديت) فتظهر بطريقة اخرى بوجه طويل وتاج مكون من ثلاثة أغصان مشجوجة ولها ملامح يونانية .



العزى ايزيس (معبودة حيّان بن نبط)



العزى - الكتبى

رموز الآلهة النبطية

تمثل الرموز الدالة أو المرافقة للآلهة اختزالاً تشكيلياً لماهية أو معنى أو وظيفة هذه اللآلهة ، وقد لعبت دوراً كبيرا في تعميق وتنويع النسيج المثيولوجي وجعل دلالاته أشد وظوحاً ، ويرى دوركهايم مثلاً أن "العلاقة بين الأشياء المقدسة علاقة رمزية وليس علاقة طبيعية أو فطرية ، وانه بدون الرموز فإن المشاعر الدينية تكون عرضة للضعف والزوال ، وان الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها وفي كل لحظة من لحظات تاريخها تحتاج الى هذه الرمزية الواسعة العريضة حتى تستمر في الوجود"(٢٥) . وهكذا ساهمت الرموز بدور كبير في ترسيخ وانتشار المادة المثيولوجية التي يمكن أن نصف أهمها في المحاور التالية :

١. **الرموز النباتية :** وتشمل القمح ، وتحديداً سنبلة القمح والتين والرمان .. وهي رموز الإلهة اتارجاتيس . أما شجرة الكرم وعناقيد أوراقها فرموز للإله ذي الشرى في طور ديونيزيوس أو اعرى .

٢. **الرموز الحيوانية :** وتشمل النسر ليدل على الإله قوس أو قيس ، ويدل النسر إجمالاً على الشمس ، وتوحي منحوتات النسور في البتراء بذلك ، فهي تشير الى الشمس ، ويظهر النسر بهذا الصيغة من خلال معتقد مثيولوجي قديم رافديني آشوري (الشمس والنسر) أو مصري حيث يحمل النسر الشمس فجر كل يوم من البحر الهيولي ليطلع بها وهي بين قدميه الى السماء .

أما ظهور الشمس والحية معاً فلا شك بأنه يذكر بقصة اسطورية رافدينية قديمة حول صعود ايتانا الى السماء وبحثه عن نبتة الانجاب ، وايتانا هذا ملك اسطوري من أول سلالة بعد الطوفان .

أما الرمز الثاني المهم فهو رمز الأسد الذي يدل على الإلهة العزى ، وكذلك تظهر مجموعة من الأسود دائماً في خدمة الالهة اترجاتيس .

الرمز الثالث هو الثور الذي يرافق الإله زيوس حدد ويرمز الى الإخصاب .

٣. **الرموز المتنوعة :** وتشمل مانعة الصواعق التي تدل على زيوس حدد ، والكف المرفوعة وهو رمز نبطي قومي يميزهم عن غيرهم ، وقرنا الخصب المتقاطعان هو رمز هيلنستي يمثل اترجاتس ورمز البروج الذي يمثل اترجاتس وقدراتها الفلكية ومسكها بالمصائر .

مظاهر المثولوجيا النبطية : الطقوس والمعابد

ورث الأنباط ما استعمله الأدوميون عن الكنعانيين من اماكن للعبادة ، فبالاضافة الى المعابد التي ذكرناها كانت هناك انواع اخرى من أماكن العبادة وهي المعليات (High Places) "وهي عبارة عن مساحة منحوته في الجبل مكشوفة وأرضيتها واسعة وشكلها شبه بيضاوي يتوسطها المذبح حيث تقدم الأضاحي ، والمثال الذي وجدناه على حالته الأصلية هو معلية الرقيم ، ويطلق عليها هناك « المذبح »"[٢٦] .

وترى الباحثة هتون الفاسي ان المعليات وهي اماكن العبادة العالية وخصوصاً المعابد الموجودة على رؤوس الجبال (كجبل أثلب ، المناجاة ، غنيم ، خربة تنور ، خربة الضريح ، ومعبد بعل سمين) ماهي الا معليات متطورة ونرى ان المعليات هي الشكل الجبلي لهياكل العراء الكنعانية التي تطورت عن العبادة الميغاليثية . وكان الطريق من الأرض المستوية الى المعليات عبارة عن درج طقسي تزينه تماثيل للأسد (رمز العزى) والهلال (رمز الثور البعلي) وهناك مشكاوات ومذابح .

كانت المعليات ذات طابع طقسي مهيب ونعتقد انها كانت مسرحاً لطقوس مثيولوجية خاصة مرتبطة بتقديم الأضاحي في بعض المناسبات ، أما الانصاب فقد استمر ظهورها عند الأنباط كما كانت عند الكنعانيين تسمى (بيت ايل - Betyl) وفي النبطية تسمى (نصب) أو (مصبا) فإذا وضعت قرب مذبح سمي المكان كله بالنبطية (مسجدا) والمسجد كما ورد في الآرامية والبونية عبارة عن محراب ويقترب من المشكاوات النبطية .

إن الأنصاب النبطية "عبارة عن حجارة منصوبة يكون ارتفاعها ضعف عرضها ومن أشكالها ما يكون مستطيلاً ومنها ما يكون محدباً وغير ذلك وهي ترمز للآلهة .

وعادة ما تكون بدون أية ملامح وجهية عليها وهذا من خصائص الفن النبطي وهو كناية عن رفضهم لتصوير الآلهة بأشكال آدمية"[٢٧] وهذا أمر غير صحيح ونخالف به الباحثة هتون الفاسي لأن تصوير الآلهة تم عند الأنباط من خلال المنحوتات الالهية الكثيرة التي سبق أن ذكرناها .

قد تكون الأنصاب لأكثر من اله ، ثنائية ، أو ثلاثية وكانت الطقوس المرتبطة بها تتضمن الدوران حولها وإراقة الدماء أو الحليب ونحر الأضاحي عندها .

أما المسلات (Obelisks) فهي أنصاب أشد انتظاماً وربما احتوت على الكتابة . أما المشكاوات (Niches) فهي كوى بيضوية أو مستطيلة في الحائط تشبه المحراب وتوضع فيها تماثيل للآلهة وتتلى أمام هذه التماثيل الأدعية .

كانت الآلهة النبطية تعبد في معابد تسمى (محرمتا) أو (بيتا) والإثنتان تجمعان معنى المراد منه هو (البيت الحرام) أي (البيت المقدس) . وأهم المعابد النبطية هي :[٢٨]

١. **معابد الأسود المجنحة في البتراء :** وهي معابد استثمرت الصورة المثولوجية الآشورية أو المصرية (أبو الهول) فجنحت الأسود وكانت مخصصة لعبادة الآلهة اترجاتيس أو العزى في شكل ايزيس .

٢. **معبد أعرى الموجود في بصرى :** وقد تعني كلمة اعرى (الاله العاري) الذي هو ديونيزيوس اله الخمر والفجور في صورة حوارنية نبطية .

٣. **معبد اللات :** ولها معبدان واحد في (الحجر) والآخر في (صلخد) بحوران واسمها هنا (الهتهم) وتسمى في صلخد (ام الآلهة) .

٤. **معبد بعل سامين :** في سيع بحوران ، وهي نوع من (المعليات) .

٥. **جبل إثلب :** وهو من الجبال المقدسة لما يحتويه من أحجار مقدسة وآثار دينية كالنصب الذي يدور حوله المتعبدون .

٦. **جبل غنيم :** جبل مقدس للتيمائيين الذين كانوا جزءاً من المملكة النبطية ، لالههم الكبر (صلم) .

٧. **معبد جبل المنيجة :** جنوب وادي فيران بجنوب سيناء ، وهو جبل المناجاة ويرتبط مثيولوجياً بالنبي موسى ، وعلى رأسه مزار يشبه المعبد النبطي .

٨. **معبد خربة التنور** : كان أولاً مخصصاً للإلهة اتارجاتيس والإله حدد ، تظهر فيه الإلهة اتارجاتيس إلهة السمكة ، الحبوب ، الفواكه ، الخضار وتبدو كامرأة حسناء مغرية بملامحها وشعرها وملابسها ورموزها . أما الإله حدد فرمزه الثور الذي يرافقه .

٩. **معابد ذو الشرى (دوشرا)** : وهي متعددة منها في ام الجمال جنوب حوران وعند وادي (وغيث) غرب البتراء .

١٠. **معبد الديوان** : في الحجر محفور بجبل إثلب وهو نوع من مثولوجيا المكان ، وهناك من يقول إنه للإله أعرى .

١١. **معبد صلخد** : في حوران وهو مكرس للإلهة اللات .

١٢. **معبد العزى** : في البتراء وفي جبل رم .

١٣. **معبد قصر الضريح** : قرب خربة التنور وعثر في هذه المنطقة على عشرين معبد نبطي شعبي لخدمة الناس وعباداتهم .

أما مظاهر العبادة الأخرى عند الأنباط فكانت تتمثل في سياستهم المميزة للكاهن بـ(افكل) وهي تسمية ترجع بجذورها الى البابلية حيث كان يسمى الكاهن (افكلو) وهذه بدورها ترجع الى السومرية حيث يسمى (ايكلو) وهناك من درس هذه الكلمة ورأى فيها مصدراً لكلمتي (الأفك) و (الفلك) في اللغة العربية ومعناها يتطابق مع طبيعة الجذر .

وللكاهن أسماء نبطية اخري مثل (كمر) و (فتورا) التي تعني المتنبيء أو (العراف) أو (قاريء الفأل) وهو الكاهن الخاص بتقديم النصائح التنجيمية وتفسير الأحلام . وهناك الـ(مرزح) وهو كاهن الاحتفالات الدينية المصحوبة بالغناء والموسيقى والطعام . وهناك الـ(مبقر) وهو كان الاضحيات الذي كان يبقرها ويقرأ أكبادها وأحشاءها لأغراض تنبؤية . وهنا (اقطيرا) أي الكاهن الخاص بتقديم القرابين كالعسل أو الحيوانات أو حرقها أو حرق ما ينوب عنها من البخور . كذلك فقد كانت كلمة (كهن) و (كهنا) تستعمل للدلالة على الكاهن بصورة عامة .

أما عقائد ما بعد الموت فقد كانت تتضح في اهتمامهم بدفن موتاهم في مقابر مهيبة وإيداعهم الأغراض الشخصية كالحلى والأواني والأختام والنقود والطعام وغير ذلك ما يعكس اعتقادهم بعودة الميت الى الحياة وحاجته لاستخدام هذه الأدوات . وكانو يسجلون علي مقابرهم أسماءهم . والقبر عندهم هو الـ(كفر) و الـ(ضريح) .

كانت الصلاة تؤدى وبشكل خاص الأدعية ، وكان المصلي يرفع يديه الى الأعلى وهناك نصوص خاصة باللعن تسمى (أدعية اللعن) تذم فيها من ينبش القبور . وهناك نوع من التمائم والرقى كتبها الأنباط فقد "تم العثور مؤخراً على بردية نبطية تؤرخ بحوالي ١٠٠ ق.م ، قرب بئر سبع بصحراء النقب ، تتناول موضوعاً جديداً الا وهو التمائم . وهي عادة مألوفة لدى الآراميين واليهود والسريان ، لكن الكثير من المفردات غير محددة المعنى ومضمونها العام يدور حول عليل يطلب التخلص من سيطرة امرأة عليه ويستعين في ذلك بذكر عدد من الأرواح والملائكة الذين يصورون كبنات للآلهة ويدعون (فشرتا)"[٢٩] .

مثولوجيا المكان

لم ينفرد النبطيون في جعل المكان ، مدينة أو قرية أو مقاطعة ، مؤشراً لمثولوجيا الآلهة ولكنهم ربما فاقوا غيرهم من الأقوام التي سكنت الأردن في هذا الموضوع ، فقد ألّه الأنباط بعض مدنهم ، مثل تأليههم لأول مدينة نزلوا فيها وهي مدينة (جايا) وهكذا ظهر الإله (جايا) مكاناً . وليس دالاً على المكان . وألهو كذلك الجبل الذي تركوا فيه آثارهم على شكل اله وهو (قطبه) . وكذلك أله أهل حوران الإله (بصرى) وسمّو عاصمتهم باسمه . وقد تكون هذه الأماكن أسماء آلهة عبدت في تلك الأماكن ثم اطلقت أسماؤها عليها ولكن هذا الاحتمال ضعيف . فالآلهة غير موجودة كأسماء ورموز وتماثيل ومعابد في النظام المثولوجي للأنباط . ولذلك نرجّح عبادة الأماكن لذاتها وتصورها على شكل اله . وقد ورد في نقش من (صلخد) يوضح ان الآلهة الكبرى كانت تسمى (ذات الأثر) أو (ربة أتر) أي (سيدة المكان) وهذا يعطي لفكرة المكان الألوهية عمقاً أركولوجياً .

قد نستثني من هذه الفكرة ، رغم مجاورتها لها ، منطقة كانت تقع ضمن دولة الأنباط وهي قرية قرب جرش تسمى (رمّان) التي نرجح أن يكون اسمها قد جاء من اسم الاله

(حـدد) أو (هدد-رمّون) أو (رمـان) وهو الاله الزراعي الذي ورد في الآثار النبطيـة (وربما كان أقدم من وجود الأنباط) فقد ورد ذكره في التوراة . "وتوقفنا نصوص رأس شمرا على أن (حداد) أو (بعل حدّاد رامان) المرعد الذي دعاة الكهنة والنبـييم في (العهد القديم) بـ(هدد رمّون) أي رمان على نحو ما نجد في سفر زكريا ، ودعوه بـ(حداد) عند ذكر اسماء ملوك السوريين ، بات عندما دخل ضمن آلهة الكنعانيين والفينيقيين الهاً نشطاً رفيع المكان لكنه ظلّ في مكانة أدنى من مكانة (إيل) كبير آلهتهم"[٢٠] .

وتعتبر مدينة البتراء بتكوينها الصخري الفريد مدينة دالة على أقصى ما يمكن أن تجده المثولوجيا مكانياً ، فمنظهرها المهول الذي يبدو وكأن آلهة جبارة تدخلت في صياغة جباله الصخرية ومنحنياته وكواه واطلالاته ، يوحي بأشكال آدمية وحيوانية ونباتية وتشعر وأنت في قلب هذا المكان بأنك لا تحتاج الى مسميات إلهية أو معابد ، فكل إطلالة صخرة هي إله ومعبد في نفس الوقت ، لكن زخرف الأيادي النبطية ملأ المكان بالرموز والاشارات المثيولوجية التي تدل وتشير الى ارتفاع روحي هنا ، وثنية وجدانية هناك .. لقد خرجت البتراء من هيولى الحجر والماء ، هيولى ذي الشرى واللات في أقدم تشكلها الإلهي ، كان جسد ذي الشرى هو الصخر وكانت عروقه تمتلأ باللات حيث هي شمس تسطع داخله وخارجه ، شمس / ماء ولكنها دم في عروق الحجر أيضاً .

سواقي الماء وشهوات الحوريات المائية والدلافين التي تتقافز على الصخر وتلقي بها اترغاتيس على سطح هذا البحر الحجري .. ثم تلقي عليه خضابها وبذورها وأثمارها .. ثم تشهق عالياً وتدوّر قرص الفلك الدوّار بأبراجه الاثني عشر .. تدوّر القرص الأقدار والمصائر .

هذا المكان (البتراء) هو نموذج حيّ نابض سرمدي لـ(مثولوجيا المكان) وكم تبدو كل أمكنة العبادات والدين والطقوس مصنوعة بأيدٍ وأرواح بشرية إلاّ هذا المكان ، فقد صنعته الطبيعة وحشود الآلهة التي دبت فيه وتسربت في عروقه .

هوامش الفصل الخامس

١) انظر كتاب احسان عباس «تأريخ دولة الأنباط» دار الشروق للنشر ط١ عمان ١٩٨٧ . ص ٢٢ .

٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

٣) علي ، جواد : "تأريخ العرب قبل الاسلام" ج٣ . مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣ . ص ص ١٤ ، ١٥ .

٤) عباس . احسان : "تأريخ دولة الانباط" دار الشروق للنشر والتوزيع ط١ عمان ١٩٨٧ ص١٢٨ .

٥) الحوت ، محمد سليم : «في طريق المثولوجيا عند العرب» . ص ٦٩ .

٦) ابن الكلبي ؛ "كتابة الاصنام" تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٥ .

٧) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص ٢٤٤ .

٨) الحوت ، محمد سليم : «في طريق المثولوجيا عند العرب» . ص ٧١ .

٩) الفاس ، هتون اجواد : «الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية» . ص ٢٤٤

١٠) انظر كتاب الحوت "في طريق المثواوجيا عند العرب" ص ٦٥ .

١١) السواح ، فراس : "لغز عشتار" ص ٨٦ .

١٢) هاردنج ، لانكستر : "آثار الاردن" ترجمة سليمان موسى ، وزارة السياحة والآثار في الاردن ، عمـــان ، ط٢ ، ١٩٧١ ص ١٤١ .

١٣) الحوت ، محمد سليم "في طريق المثولوجيا عند العرب" ص٦٠ .

١٤) عجينة ، محمد : "موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية وولادتها" دار الفارابي . بيروت . ط١ ١٩٩٤ . ص ١٩٩ .

١٥) الحوت ، محمد سليم : "في طريق المثولوجيا عند العرب" ص٧٨ .

١٦) عباس ، احسان : "تأريخ دولة الانباط" ص٢٩ .

١٧) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" . ص٢٣٨ .

١٨) المرجع السابق ص٢٣٠ .

١٩) المرجع السابق ص٢٣٠ .

٢٠) المرجع السابق ص٢٢٧ .

٢١) انظر احسان عباس "تأريخ دولة الأنباط" ص١٣١ .

٢٢) مقار ، شفيق : "قراءة سياسة للتوارة" ص٢١٥ .

٢٣) عباس ، احسان : "تاريخ دولة الانباط" ص٣٢ .

٢٤) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص ص ٢٢٠, ٢٢١ .

٢٥) أبو زيد ، أحمد : "الرمز والاسطورة في البناء الاجتماعي" . مجلة عالم الفكر . المجلد ١٦ . العدد ٣ ، ١٩٨٥ ص ١٥ .

٢٦) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص٢٥٦ .

٢٧) المرجع السابق ص٢٥٧ .

٢٨) انظر المرجع السابق ص٢٥٠ وما يليها .

٢٩) المرجع السابق ص٢٨٨ .

٣٠) مقار ، شفيق : "قراءة سياسية للتوارة" ص٢١٦

الفصل السادس

المثولوجيا اليونانية الرومانية



تايكـي عمـون

مقدمة تاريخية

المرحلة الهيلنستية (٣٣٢-٦٤ ق.م)

بدأ العصر الهيلنستي في الشرق بالغزو اليوناني الذي قام به الاسكندر المقدوني مجتاحاً الشرق الأدنى من مصر غرباً حتى الهند شرقاً ، وعندما توفى الاسكندر خضعت مصر وفلسطين والأردن وسوريا الجنوبية الى حكم بطليموس أحد قادته ، الذي جعل من مصر عاصمة للملكة الهيلنستية البطليموسية .

كانت في جنوب الاردن في ذلك الوقت المملكة النبطية وعاصمتها (البتراء) ، وقد دفعت الحكايات الأسطورية عن ثراء الأنباط وملوكهم حاكم سوريا (انتيجونس) الى غزو الانباط عام ٣١١ والاستيلاء على العاصمة وحصد غنائمها . لكن الانباط استغلوا المكان غير المناسب الذي عسكر فيه ، فهاجمه الانباط وسحقوا جيشه ، فقام اليونانيون بتنظيم حملة ثانية بقيادة (ديتمريوس) الذي دخل البتراء فوجدها خالية من السكان الا من شيوخ طاعنين في السن ، ففاوضهم وقدموا له الأموال وحققوا سلاماً ناجزاً لمنطقتهم ، وكانت هذه بالطبع خطة نبطية لامتصاص الغضب اليوناني .

كان الجزء الشمالي من سوريا خاضعاً لسيطرة (سلوقس) القائد الكبير الثاني من قادة الاسكندر الذي قام بعد وقت بغزو الأردن دون مقاومة محلية أو بطليموسية منافسة آنذاك . لكن بطليموس الثاني غزا عمون وبعض مديان عام ٢٨٤ ق.م ولم يتعرض للأنباط .

هكذا نرى أنَ الوجود اليوناني في الاردن لم يكن همجياً أو قاسياً بل ان الأردن كان منطقة فراغ سياسي آنذاك ، ولذلك ظهرت معالم هذا الوجود في العمران والثقافة وبدأ بناء مدن هيلنستية ذات طابع يوناني ، وحتى الانباط الذين كانوا يتمتعون باستقلال نسبي تلقفوا عناصر العمران والثقافة الهيلنستية وتفاعلوا معها بشكل إيجابي تماماً .

تغيرت أسماء المدن من أسماء أردنية ونبطية الى أسماء يونانية فعمان التي هي عمون أصبح اسمها فيلادلفيا تكريساً لبطليموس فيلادلفيوس الثاني الذي حكم من (٢٨٥-٢٤٧) ق.م ومعنى فيلادلفيوس (الاخ العاشق والمحب) وهكذا اصبحت مدينة عمان

فيلادلفيا تعني (المدينة العاشقة) ، وشهد هذا العصر رخاءً حضارياً وثقافياً كبيراً وتبنت مدن الشرق الأدنى اللغة والكتابة اليونانية .

ان الصراع السلوقي البطلمي كان مثار فائدة سياسية واقليمية للأنباط الذين توسعوا الى الشمال ، ولما وقعت معاهدة ١٩٧ ق.م بين السلوقيون والبطالمة أظهر الأنباط ميلاً للسلوقيين الذين احتفظوا بفلسطين وسوريا والاردن .

وفي عصر السلوقي (انطيوخس الثالث) قام يهودي من فلسطين اسمه (هركانوس) بإنشاء دولةٍ مستقلة في اراضي عمون جعل مركزها في خربة (عراق الأمير) غرب عمان . ثم بدأ بتوسيعها خلال اثنتي عشر سنة ، لكن انطيخوس الثالث أرسل له حمله تأديبية فأنكسر جيشه وانتحر عام ١٧٥ ق.م.

ثم قامت ثورة يهوذا المكابي الذي استطاع خلال السنتين الحاق الهزيمة بأربعة جيوش أرسلها له أنطخيوس الثالث . وعندما توفي هذا قام يهوذا بغزو أراضي عمون ، لكن العمونيين قاوموه دون فائدة .

كانت الدولة المكابية هذه مثل فقاعة سريعة حيث سحقت نهائياً عام ١٦١ ق.م وهزمها السلوقيون نهائياً .

وبعد أقل من قرن قامت ثورة يهودية اخرى استطاع فيها قائدهم (جانيوس) أن يسيطر على الأردن كلها حتى وادي الحسا ، أما الأنباط فكانوا مستقلين تماماً ، بل انهم وسعوا مملكتهم حتى دمشق وسيطروا على هذه المنطقة حتى ١٠٦ م . وكان يحكم الأنباط الملك الحارث الثالث فلهلين (المحب للهيلنيين) عام (٨٧-٦٢) ق.م.

وخلاصة الأمر فأن المرحلة الهيلنستية كانت تشير الى وجود خمس قوى في الأردن (البطليموسية ، السلوقية ، الأردنية المحلية ، النبطية ، اليهودية) . وقد تفاعلت ثقافات هذه القوى بطريقة فذّة انتجت ولاشك ما أنتجته من ديانات وثقافات معروفة باستثناء القوة اليهودية .. فقد كانت عامل تدمير كبير للمدن الأردنية في هذه المرحلة .

المرحلة الرومانية (٦٤ ق.م - ٣٢٤ م)

توسعت الامبراطورية الرومانية . وكان الشرق عموماً واحداً من أهم مناطق نفوذها ، فقد قام بومبي حوالي سنة ٦٤ ق.م باحتلال بلاد الشام وإعمار المدن اليونانية التي خربها اليهود وأنشأ الطوق الدفاعي والتجاري ممثلاً بالمدن العشر (الديكابولس Decapolis) وأغلبها يقع شرق الأردن وهي :

١. بيسان (سكاثيو بولس Scytho polis) .

٢. فحل (بيلا Pella) .

٣. ديون Dion ؟

٤. جرش (Gerasa) .

٥. عمان (فيلادلفيا Philadelphia) .

٦. أم قيس (كَدارا Gadara) .

٧. رافنا (Raphana) .

٨. هيبوس أو خربة السوس وهي دمشق (Hippos) .

٩. قناتا (كناثا Kanatha) .

١٠.بصرى (Basra) .

واضيف لها (ابيلا ، بيت راس ، اربيل ، درعا) .

وكان النظام السياسي لهذه المدن هو أن تحتفظ باستقلالها التام شرط أن تدفع الظرائب للأمبراطورية ، وانسحب هذا على الأنباط فدفعوا المال ليستمروا في المحافظة على استقلالهم . وما أن توفي بومبي حتى عادت الاضطرابات في هذه المنطقة . وحوالي سنة ٤٠ ق.م أصبح هيرودس ملكاً على منطقة (اليهودية) وشرق الأردن ، ثم اختلف هيردوس مع الأنباط فهاجمهم وأخرجهم من شمال مملكتهم ثم استمرت هذه السيطرة متفاوتة وبعدها ظهر الاردن مقسماً الى ثلاث مناطق يخضع كل منها لسلطة مختلفة كما يلي :

١ . المنطقة الشمالية - الديكابولس الرومانية .

٢ . المنطقة الوسطى - من الزرقاء على الأرنون منطقة بيريا الخاضعة للملكة اليهودية في فلسطين .

٣ . المنطقة الجنوبية - مملكة الأنباط المستقلة .

بعد أن توفي (هيردوس الكبير) في ٤ ق.م خلفه (هيرودس تتراك) الذي تزوج من ابنة الحارث الرابع الملك النبطي ثم طلقها بعد من اجل هيروديا زوجة اخيه ، وقد دفعت هذه الحادثة الحارث لارسال جيش لمحاربة هيرودس والحاق الهزيمة به .

ولما أقام هيرودس في منطقة ماخيروس (مكاور جنوبي غربي مادبا) قام النبي يوحنا المعمدان (يحيى) بتأنيبه والحط من شأن هيروديا وابنتها سالومي التي انتقمت من يوحنا وحرضت هيرودس على قتله في ماخيروس .

وفي عام ١٠٦ م قام الامبراطور الروماني تراجان بالقضاء على استقلال مملكة الأنباط وخضعت الأردن بأجمعها في عصره لنفوذ الرومان ، ثم ظهرت منطقة (البتراء العربية) الخاضعة للنفوذ الروماني وكانت البتراء عاصمتها بصرى ، وسادت بعد هذه الفترة مرحلة من السلم والأمان فتعمرت المدن الأردنية وارتفع الفن المعماري الى ذروته في الاردن .

الميثولوجيا اليونانية الرومانية

تحتل المثولوجيا اليونانية أوسع مساحة من بين المساحات المخصصة لمثولوجيا الشعوب القديمة ، ولقد كانت حتى وقت قريب تشكل الأثرى والأعمق وربما الأقدم (حسب بعض المؤرخين) ، لكن ظهور المثولوجيا الرافدينية والمصرية والكنعانية قلل من أهميتها ووضعها في المكان المناسب لها .

ولاشك أن المثولوجيا اليونانية تمتلك كل عناصر الغنى والعمق ، وقد مثلت جوهر الديانة اليونانية وجوهر الأدب اليوناني كذلك .

ورث اليونان آداب وعلوم وفنون وديانة الشرق المتوسطي القديم وتأثروا بها ، وأعادوا صياغتها ، وظهروا بعدها بمعارف جديدة فتشكلت في اليونان خميرة جديدة استطاعت أن تقدم للتاريخ البشري أعظم المنجزات في العالم القديم .

لقد كان اتصال اليونان بالشرق واضحاً ومعروفاً فقد مرّ تراث الشرق المتوسطي اليها عبر ثلاث قنوات رئيسية : الأولى عن طريق آسيا الصغرى حيث انتقل تراث وادي الرافدين وفارس والشام عن طريق مباشر أو غير مباشر قام به الحيثيون والحوريون . والقناة الثانية عن طريق البحر الأبيض المتوسط حيث قام الفينيقيون بنقل التراث الكنعاني الى اليونان . والثالث عن طريق جزيرة كريت والبحر حيث انتقل التراث المصري اليهم . ثم قام الإغريق بإعادة تخليق لتراث هذه الشعوب ، وقدموا نسقاً جديداً من خلال تراثهم الخاص ، ثم بدأوا بتصديره الى الشرق الذي كان منبعاً لهم ذات يوم ، فنشأت من المزاوجة بين تراث اليونان والشرق ما سمي بالثقافة الهيلنستية اثر اجتياح الاسكند المقدوني للشرق ونشؤ كيانات سياسية وثقافية كبيرة فيه .

ولما ظهر الرومان على مسرح التاريخ ، أخذوا التراث اليوناني ولم يضيفوا له الا قليلاً ورافق هذا التراث فتوحاتهم فكان لهم ان استكملوا مسرى الثقافة الهيلينستية يوم سيطروا على اصقاع كبير في المشرق العربي تحديداً .

كانت المثولوجيا اليونانية الرومانية جوهر الديانة عندهم فانتشرت معابد الآلهة وهياكلها على أنقاض معابد وهياكل المثولوجيا المحلية ، وما أن مضى وقت حتى تفاعلت الواحدة مع الأخرى وأخذت المثولوجيا اليونانية والرومانية شكل الوعاء الذي وشعت فيه . لقد أعيدت صياغة هذه المثولوجيا وأصبحت امتداداً للآلهة المحلية (الأنباط نموذجاً) وتعامل الناس معها دون أن تقوم حواجز اللغة أو الدين بمنع ذلك ، لكن نكهة الشرق وماضي الشرق كانا ينبضان داخل هذا النسيج الجديد .

الأدب المثولوجي

لاشك أن الأغريق انتجوا أدباً دينياً (Hymnes) قبل ظهور ملحمة الالياذة لهوميروس ، وهناك من يرى أن ثمة أدباً وجدانياً (Lyric) وأدباً ملحمياً (Epic) ، ولكن ظهور هوميروس بملحمتيه الخالدتين (الالياذة) و (الأوديسة) ساهم في نقلة نوعية للأدب المثولوجي عموماً .. ولا خلاف بين مؤرخي الأدب في أن معظم ما اشتملت عليه هاتان الملحمتان قد ألف قبل القرن السادس ق.م.

بعد هوميروس تصاعد الأدب المثولوجي في اليونان ومرّ بعصره الذهبي (القرنان الخامس والرابع ق.م) ثم جاء عصر الاسكندر حيث انتقل هذا الأدب الى الشرق (القرنان الثالث والثاني ق.م) وظهرت المثولوجيا الهيلنستية ، ثم جاء العصر الأخير الروماني (القرن الأول ق.م حتى الخامس الميلادي) .

وبالإجمال ظهرت هناك ثلاثة أنماط شعرية صيغت فيها المثولوجيا اليونانية والرومانية وهي (الشعر الملحمي ، الشعر الغنائي ، الشعر الدرامي) :

الشعر الملحمي

تعد الالياذة العمل الملحمي الأكبر في الشعر الملحمي اليوناني ، ورغم أنها ملحمة شعرية أبطالها بشرٌ لكن الآلهة تأخذ دوراكبيراً وتسيّر أحداثها حيث تظهر الآلهة (هيرا وأثينا وأفروديت وزيوس وابولون) وراء الأحداث وتختلط هذه الآلهة مع البشر وتسلك سلوكه وتتضح قدرتها على مسك الأقدار وتدبير شؤون العالم .

وكذلك الأوديسة التي تروي رحلة البطل اليوناني اوديسيوس (عوليس) وما يصادفه من أهوال وآلهة وأنصاف آلهة وشياطين .

وتحفل الملحمتان بالكثير من مظاهر الحياة الدينية والروحية لدى اليونان إضافة الى مادتها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، لكن المثولوجيا التي تنضح منها كانت المادة الرئيسية لأساطير اليونان حيث نرى أن الأوديسة تعتمد على العقائد الدينية نفسها التي تعتمد عليها الالياذة "فأفراد الآلهة يظهرون في الأوديسا بنفس الوظائف والاتجاهات والصفات التي يظهرون بها في الإلياذة ، غير انهم يبدون في الأوديسيا في صورة أدنى الى الكمال من الصورة التي يبدون بها في الإلياذة ، وذلك انه لايوجد في الأوديسيا اثر لتلك الخصومات العنيفة التي تصور الالياذة انها قائمة بين الآلهة"[١] .

الشعر التعليمي

يتميز الشعر التعليمي عن الملحمي في أنه يتضمن حقائق وتواريخ يرمي فيها الى التعليم والعظة والدرس في حين يروي الشعر الملحمي القصص بأسلوب شعري وتظهر التعبيرات الخيالية والمجازية كأساس له وتكون الأخلاق والاجتماع والعلوم أموراً عارضة فيه .

ويكاد الشعر هسيود يمثل أفضل نموذج لهذا النمط من الشعر وله قصائد طويلة هي (الأعمال والأيام) التي تتناول مسائل الأخلاق والفنون الزراعية والصناعية وقصيدة (أنساب الألهة أو الثيوجوبيا) وهي ما يهمنا هنا فهذه القصيدة تعرض لتاريخ الآلهة وتتبع اصولهم وانسابهم وشعوبهم وتفصل اعمالهم ووظائفهم "وقد استمد المؤلف مادتها من الأساطير المنتشرة في عصره ، بعد أن جمع شتاتها ، وربط عناصرها بعضها ببعض ربطاً محكماً ووفق بين المتنافر منها وهذب ماكان يعوزه التهذيب من مسائلها ، ورتّب حوادثها ترتيباً منطقياً يسوده الانسجام ، ويتفق مع مناهج البحث التأريخي السليم . وحرص على أن لايضمنها الا العقائد العامة التي يعتنقها جميع اليونان ، فلم يكد يرد فيها ذكر للمعتقدات المحلية التي كانت مقصورة على بعض المناطق أو بعض الشعائر"[٢] . وقد ألفها هسيود حوالي النصف الأول من القرن الثامن ق.م وأصبحت دستوراً في معرفة الآلهة وتصنيفها ، واسلوبها يقترب من التأليف التأريخي وهي ترتب الآلهة حسب قدم ظهورهم

وتوزعهم في طبقات العليا منها أقرب الى الكمال ثم يتدرج نقص الكمال في الطبقات السفلى .

الشعر الغنائي

يمتاز الشعر الغنائي في انه شعر وجداني كان يؤدى غالباً على الآلات الموسيقية ، وكان يؤلفها بالأساس في أوزان خاصة وكانت موضوعاته متصلة ببث عاطفي وجداني فردي "فما كان يعرض لتمجيد أبطال اليونان الأوُل كما كان يفعل الشعر الحماسي ولا لتعليم الناس ما يهمهم من دينهم ودنياهم كما يفعل الشعرالتعليمي وانما كلن يتخذ وسيلة للترجمة عن العاطفة والتعبير عن الوجدان فمنه ما كان يستخدم للتضرع الى الآلهة واستدراد عطفهم ورحمته في أثناء اقامة عبادته أو تأدية نسك ، ومنه ما كان يستخدم للتعبير عت التحسس والحزن في بكاء فقيد أو ندب عزيز"(٢) . ومنه أنماط اخرى في الغزل والوطنية وغير ذلك .

ولايهمنا في حقيقة الأمر من هذا الشعر الا ذلك الشعر الذي خصّ الآلهة وذكرها وعدد صفاتها واسترحمها ، فهو يدخل ضمن الأدب المثيولوجي ويشكل واحداً من متكئات الأساطير .

والشعر الغنائي اليوناني يتضمن أربعة أنواع من القصائد (النومية والاليجية واليمبية والميليكية) وأقرب نوع منها الي المثيولوجيا هي القصائد النومية والضاربة في القدم والتي كانت تؤلف بأوزان خاصة لتمجيد ومديح الآلهة ، وأهم الشعراء الذين كانوا يؤدونها على القيثارة هو الشاعر (ترباندر) ، وعلى المزمار هو الشاعر (اوليمبوس) . كذلك فإن القصائد المليكية ابرزت الشاعر (أريون) الذي ابتكر ما يسمى بقصائد الديثرامب التي كانت تنشد في أعياد الاله ديونيزيوس وكانت هذه القصائد تغنى وتؤدى في طقوس جماعية ماجنة ويرتدي من يؤديها جلود الماعز تشبهاً بالساتير (الماعز) الذين كانوا يرافقون الاله ديونيزيوس ويرمزون له ، وشكلت أغاني الديثرامب نواة التراجيديا وساهمت في ظهور المسرح اليوناني لاحقاً .

الشعر الدرامي

نشأ الشعر الدرامي (الحواري) وسط الأعياد الدينية التي كانت المثيولوجيا مادتها الأساسية ، ومن أقدم هذه الأعياد عيد (السبتريون) الذي كان يقام في دلف تكريماً للاله (أبولون) الي الطب والموسيقى والشعر والنهار والشمس والتنبؤات وفي هذا العيد كانت آلاف الناس تنشد اساطير الاله ابولون وتروي قصته عندما قتل التنين وعاقبته الآلهة بالأعمال الشاقة وعودته فيما بعد الى احضان الآلهة .

أما العيد الثاني فهو عيد (الهرواس) الذي كان يقام للألهة (سيميليه) حبيبة الاله زيوس (جوبتر) وأم الاله ديونيزيوس (باخوس) وكانت تنشد اساطيرها وهيامها بزيوس وقصة ولادة ابنها باخوس وموتها مصعوقة .

العيد الثالث هو عيد (ديمتر) الهة الأرض وقوى الطبيعة المنتجة وهو عيدٌ زراعي طقسي كانت تنشد فيه اسطورة ديتمر ونزولها الى الجحيم بحثاً عن ابنتها ، وكان هذا العيد مؤثراً وعميق الصلة في نفوس الناس وكان بعده الديني يحمل روحاً شرقية تذكر بأعياد ديموزي وأنانا .

العيد الرابع هو عيد (ديونيزيوس) اله الخمر والذي أصبح اشارة واضحة وعميقة في الحياة اليونانية ومن ثم في الحياة الهيلنستية في الشرق وفي الشام تحديداً فهو يماثل الاله البعل الذي يمثل الخمر وقوى الخصب ، وكانت تروى أحداث أساطير ديونيزيوس بالكثير من التفاصيل والاضافات وتؤدى بالكثير من الحزن والفرح والعاطفة ، فإذا كانت لأعياد ديمتر الاثر في نشأة المسرح اليوناني "مع أن القصة التي كان يتغنى بها في هذه الأعياد لاتشمل الا على بضع حوادث ، فماذا عسى أن يكون اثر أعياد ديونيزيوس قد أمتلأت قصته بهذه الطائفة الكبيرة من الأحداث الغريبة والمؤثرات القوية العميقة التي لا تغادر قوة من قوى الادراك الا شغلتها ولا مظهر من مظاهر الوجدان الا اثارته"[٤] .

لقد نشأت التراجيديا المسرحية من هذا العيد تحديداً وسميت كذلك لأن التراجوس كانت تعني (المعز) وجلده الذي يلبسه ممثلو باخوس ورفاقه في هذا الاحتفال . وكانت

حفلات الساتير التي تقام منذ القرن السابع ق.م في اليونان والذي يقوم به منشد يروي قصة الاله ديونيزيوس ويمثل انفعالاته وكانت الفرقة الغنائية ترتدي جلود الماعز ، ونمط هذه الأغاني من الشعر الغنائي (الديثرامب) أما أشهر شعراء الدراما في اليونان فهم اسخيلوس وسفوكلس ويوربيدس التراجيدون ، واريستوفانس الكوميدي .

هكذا نجد أن الأدب المثولوجي الملحمي والتعليمي والغنائي والدرامي كان اساساً من اسس انتشار وحفظ شيوع الأساطير في اليونان وخارجها وكانت الأساطير اضافة الى تداولها التقليدي الحكائي بين الناس بؤرة دينية ودنيوية تعكس تماسكهم الروحي .

وقد حمل اليونان ثم الرومان آدابهم المثولوجية هذه مرافقة لدياناتهم وكهنتهم وبنوا معابدهم في الشرق وجعلوا من القصائد والأناشيد الاسطورية هذه مادة دينية في تعبدهم المجرد أو في اعيادهم واحتفالاتهم الدينية التي كانت تقام في ساحات المعابد أو في المسارح التي انشئت في الشرق .

عناصر المثولوجيا اليونانية

قبل أن تتعرف على أهم الأساطير اليونانية لابد من معرفة عناصر المثولوجيا اليونانية وماتحتويه في نسيجها ، والمظاهر العامة التي ظهرت فيها هذه العناصر .

أ) الآلهـــة

يمكننا أن نصنف آلهة اليونان والرومان الى خمس مجاميع أو أجيال سنذكرها تباعاً مع ملاحظة اننا سنذكر أولاً الاسم اليوناني للاله وسنضع بين قوسين الاسم الروماني له إن وجد .

١) **آلهة العماء :** وهم الآهة الهيوليه الأولى التي نشأ منها الكون وأجيال الآلهة اللاحقة (خاؤس) وهو الخواء وزوجته (نوكس) وهي الظلام اللذان أنجبا أربيوس ، وبونتس اله البحر وتيرا الهة الأرض الأولى ثم أنجب هذان عن طريق الحب يورانوس (اله السماء) وجيا (الهة الأرض) .

٢) **الآلهة القديمة (التيتان) :** وهم أول الآلهة الذين انجبتهم السماء والأرض ورئيسهم هو كرونوس (ساتورن) أي الزمان وهو أعظم الآلهة القديمة ويمثل كوكب زحل ومعه اخوانه (اوسيان) الاله المحيط أبو العذارى الحوريات (النمفيمات) وهنّ بنات المحيط وحفيداته والهات البحار والأنهار والعيون والغابات والجبال . والاله جابيت أبو الالهين (أطلس) و (برومثيوس) والانسان الاله (ابمثيوس) وأطلس أبو النجوم الثريات السبع ، أما برومثيوس فهو اله النار وخالق الانسان . الالهة التيتانية الرابعة هي ريا (سيبيل) وهي اخت وزوجة كرونوس .

٣) **آلهة الاولومب (زيوس وعائلته) . الاثنا عشر**

أنجب كرونوس زيوس الذي قتل أباه وتزوج اخته هيرا الهة الزواج ، زيوس (جوبتر) هو رب الأرباب وهو ملك الآلهة اليونانية والرومانية ويمثل له باله كوكب المشتري ، وله من الأبناء كثيرون ولكنه ضمّ ثمانية منهم فقط الى آلهة الأولومب ومعهم زوجته واخته هيرا (جونون) واخته الثانية ديمتير (سيرسه) الهة الخصب والزراعة والولادة واخوه بوزيدون

(نبتون) اله البحار أما اخوه الآخر هادس (بلوتون) اله الجحيم فقد أنزله الى الأسفل ليحكم العالم السفلي وزوده بحشد من كائنات الجحيم الشيطانية .

ويمثل كل اله من آلهة الأولومب الاثني عشر شهراً من أشهر السنة وبرجاً من الأبراج السماوية الفلكية .

أما بنات زيوس من الالهات الأولومبيات فهن :

١. **أفروديت (فينوس)** الهة الحب والجمال والتناسل والهة كوكب الزهرة .

٢. **أثينا (منيرفا)** الهة الحكمة والعقل والفنون .

٣. **ارتيمس (ديانا)** الهة الصيد ، العذراء .

٤. **هستيا (فستا)** الهة النار وقد حلّ محلها فيما بعد الاله ديونيزيوس .

٥. **الميوزيات** : وهن ربات الفنون التسعة ولايسكنّ جبال الأولومب وهن بنات زيوس من الهة الذاكرة (يوراني - علم الفلك ، كيليو علم التأريخ ، يوتيرب - الموسيقى ، تربسيكور - الرقص ، ثالي - الكوميديا ، ملپومين - التراجيديا ، اراتو - الشعر الرثائي ، پولمني - الشعر الغنائي ، كليوب - الشعر الملحمي) .

أما أبناء زيوس من الآلهة الذكور الساكنين جبال الأولومب فهم :

١. **هيفايستوس (فولكان)** اله الحرف .

٢. **اريس (مارس)** اله المريخ ويعتقد الرومان أنه أبو روميليوس جد الرومان .

٣. **هرمس (ميركوري)** رسول زيوس الى الآلهة والخلق ، إله الخطابة والبيان والتجارة واللصوص .

٤. **ديونيزيوس (باخوس)** اله الخمر .

٥. **ابولون (أبولو)** اله التنبؤات والأخبار بالغيب والطب والشعر والفنون والموسيقى والماشية والنهار والشمس .

٦. **هيراكليس (هيركول أو هرقل)** اله البطولة (ولايسكن جبال الأولومب)

وللاله زيوس كثير من العشيقات منهن (ميتس ، ثيميس ، يورينومي ، ديتمر ، منيموسيني ، ليتو ، مايا) وله مع كل واحدة منهن اسطورة أو اساطير .

٤) **الآلهة الثانويون :** وهم ما تبقى من الآلهة اليونانية والرومانية وأعدادهم كثيرة مثل اله النوم هنبوس (سومنوس) والهة قوس قزح (ايريس) واله الريح الشرقية (يوراس) والريح الشمالية (بورياس) والريح الغربية (زفيروس) والجنوبية (نوتوس) وبرسيوس واندروميدا ، واستريا الهة البراءة وثيمس الهة العدل وتايكي الهة الحظ ونايكي الهة النصر ... الخ .

٥) **الآلهة الرومانية :** وهم آلهة أضافهم الرومان على المثولوجيا اليونانية وليس هناك ما يقابلهم عند اليونان وهم :

١. **الالهة لاريس وبناتس** "وكان لهم في كل بيت معبد صغير . وبعد أن تقدم النحت عندهم اتخذوا لها تماثيل على هيئة شبان يلبسون القفاطين القصيرة ويحملون الأشربة بأونٍ أو بقرون للشرب . وكانت هذه التماثيل تصقل دائماً بالشمع وكان من الضروري أن تبقى دائماً في حالة ودية وكانت هذه الآلهة (بناتس) تهتم بأن لايقل الطعام في البيت ، ووظيفة (لار وجمعها لاريس) حفظ المزارع خارج البيت"[٥]

٢. **الإله ماينس (الظلال)** ويمثل أشباح الأجداد .

٣. **جينوس** اله البوابات والابتداءات وهو سبب تسمية شهر جنوري (كانون الثاني) .

٤. **فلورا** الهة الأزهار وهي تشبه الجنيات .

٥. **بومونا** الهة الفواكة .

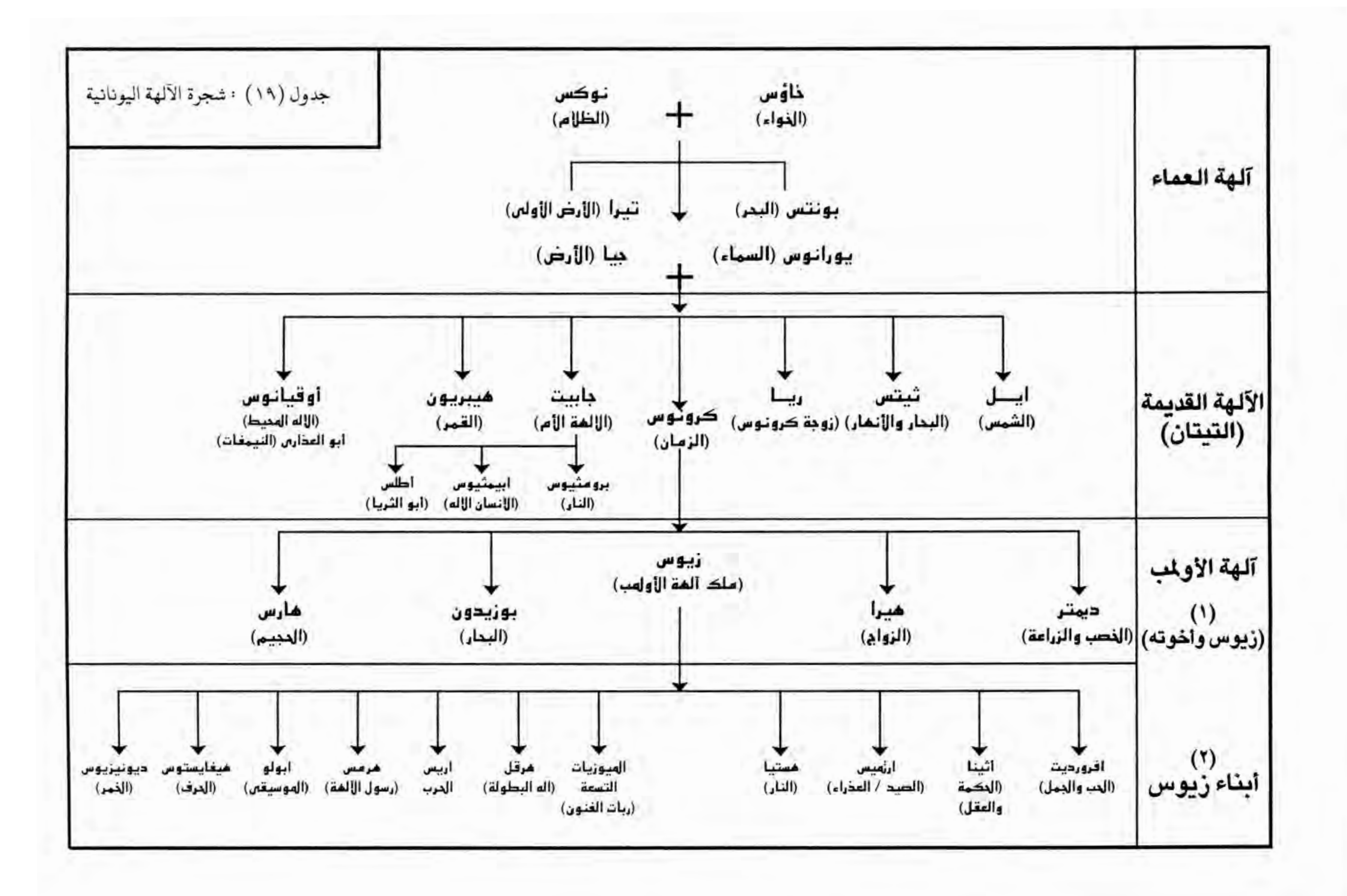
٦. **كويرنيوس** اله مدينة روما .

٧. **تيبرنيوس :** ملك اسطوري غرق في النهر فاتحد مع اله النهر (فولتيرنوس) وأصبحا شيئاً واحداً .

تمتاز آلهة اليونان بميزة معروفة وهي تشابههم مع الانسان شكلاً وسلوكاً فهم يأكلون ويشربون وينامون ويشتهون ويمشون في المدن والأسواق ويتعاملون مع البشر وقد يرتكبون الجرائم ويتزوجون وقد يتصلون جنسياً بالبشر ولا يختلف تكوينهم الجسدي عن تكوين الانسان الا انهم يختلفون عنه بصفتين : الأولى خلودهم وعدم موتهم والثانية قدرتهم الفائقة على القيام بما يعجز عنه الانسان ، ولذلك فهم أسياد الكون القائمون على أموره وتسييره وضبط موازينه .



شكل (٦٢) : ألهة الأولمب على جبل برناسوس حيث يظهر الإلهان افروديت وآريس على القمة ، وربات الفنون التسعة (الميوزيات) يستمعن الى قيثارة ابولو والى اليمين يبدو هرمس واقفاً قرب حصانه المجنح .


جدول (١٩) : شجرة الآلهة اليونانية
آلهة العماء
خاؤس (الخواء)
نوكس (الظلام)
بونتس (البحر)
تيرا (الأرض الأولى)
يورانوس (السماء)
جيا (الأرض)
الآلهة القديمة (التيتان)
ايـل (الشمس)
ثيتس (البحار والأنهار)
ريـا (زوجة كرونوس)
كرونوس (الزمان)
جابيت (الآلهة الأم)
هيبريون (القمر)
أوقيانوس (الاله المحيط) ابو العذارى (النيمفات)
برومثيوس (النار)
ابيمثيوس (الأنسان الاله)
أطلس (ابو الثريا)
آلهة الأولمب (١) (زيوس وأخوته)
زيوس (ملك آلهة الأولمب)
ديمتر (الخصب والزراعة)
هيرا (الزواج)
بوزيدون (البحار)
هارس (الحجيم)
(٢) أبناء زيوس
افروديت (الحب والجمل)
اثينا (الحكمة والعقل)
ارتميس (الصيد / العذراء)
هستيا (النار)
الميوزيات التسعة (ربات الفنون)
هرقل (اله البطولة)
اريس الحرب
هرمس (رسول الآلهة)
ابولو (الموسيقى)
هيفايستوس (الحرف)
ديونيزيوس (الخمر)

ب. أنصاف الآلهة

وهم مجموعة من أشباه الآلهة الذين لا يرقون في صفاتهم الى الآلهة ولذلك فهم يتبعون الآلهة وأبرزهم ما يلي :

١. **اتباع الاله هيفستيوس** (اله الحرف والحدادة) وهم السايكلوب اصحاب العين الواحدة وأجسامهم عملاقة يساعدونهم في أعماله الشاقة .

٢. **أتباع الاله أريس (مارس)** اله الحرب ويحيطون به كحاشية ملازمة منهم اريس (الفتنة والشقاق) وديموس (الذعر) وفوبوس (الرعب) وإينو وكيريس (القتل والموت العنيف) .

٣. **أتباع الالـه ديونيزيوس (باخوس)** اله الخمر ومنهم سيلين الذي علّم باخوس زراعة الكرم ، وكان مضحكاً للآلهة ، وحاشيته من الساتير ولكل منهم قرنان وساقان وبشرة تشبه قرون وسيقان وبشرة الماعز ووجوههم كوجوه الاناسي .

٤. **ارجوس (رمز اليقظة)** كان له مائة عين ، اذا نام أغمض منها خمسين فقط .

ج) الأبطال

ظهر في تأريخ اليونان والرومان عددٌ كبير من الأبطال الذين شادوا مدن اليونان وروما والذين قادوا الحروب الكبرى ولمعوا كأبطال قوميين وكانوا على صلة مباشرة بالآلهة ولذلك فقد عاملتهم شعوبهم معاملة الآلهة "فنصبوا لهم التماثيل والهياكل والمعابد ، وأقاموا لتكريمهم أعياداً دينية ، وتقربوا الى أرواحهم بتقديم القرابين ، وخصوصهم بنوف من العبادات ، وأنزلوهم منزلة من التقديس لاتقل كثيراً عن منزلة الآلهة وملأوا بذكرهم الأقاصيص والأساطير"[٦] . وقد ظهر في الأمبراطورية الرومانية الكثير منهم فارتقوا أعلى المقامات ، وذكرتهم ملاحم اليونان والرومان (الالياذة ، الأوديسة ، الانياذة) وسنذكر أهمهم :

١. **أخيل بطل الالياذة .**

٢. **أجاممنون أعظم ملوك اليونان ملك آرجوس .**

٣. **مينيلاس شقيق اجاممنون وزوج هيلين التي سبب خطفها حرب طروادة .**

٤. هيلين زوجة مينيلاس الخارقة الجمال وتوصف بسبب ذلك أنها ابنة زيوس .

٥. عوليس (اوديسيوس) بطل الأوديسة .

٦. تيلماك ابن عوليس .

د) الانسان

ويظهر الانسان في المثولوجيا اليونانية والرومانية منحدراً من نسل الرجل الأول (ابيميث) والمرأة الأولى (باندور) . خلق برومثيوس (اله النار) الرجل الأول من الصلصال وأعطاه الروح والعقل وهناك اسطورة اخرى تقول بأن الرجل الأول هو أخ برومثيوس نفسه ، ويمثل برومثيوس الفكر الأول وابيمثيوس الفكر الأخير . وخلق هفستيوس (اله الحدادة) المرأة الأولى من الطين والماء واعطتها أثينا الروح والجمال والعقل . وقد أعطاها زيوس علبة مليئة بالآلام والشرور ليكيد لبني الانسان ثم بعث بهذه المرأة الأولى الى الرجل الأول الذي اتصل بها وفتح العلبة فتطايرت منها الآلام وهذا أصل شقاء الانسان ، وأنجبا بعد ذلك أولاداً كثيرين غرقوا بالطوفان ما عدا (دوكاليون) وزوجته (بيرها) اللذان هداهما برومثيوس الى صنع سفينة عبرت الطوفان ورست على جبل برناس ثم انتشروا في الأرض ورمى كل منه الاحجار والحصى خلفه فظهر من احجار دوكاليون صنف الرجال ، وظهر من أحجار بيرها صنف النساء وعادت الحياة من جديد على الأرض وتكاثر الانسان .

هذه هي اسطورة خلق الانسان التي تشبه بعض الشيء مثيلاتها في الأساطير البابلية والمصرية والكنعانية .



شكل (٦٣) : خلق الانسان حيث يظهر الاله برومثيوس وهو ينهي صنعه بحضور آلهة الاولمب (زيوس ، بوزيدون ، هيرمس ، هيرا ، وابولو) .



شكل (٦٤) : بروميثيوس مقيداً ومعاقباً من قبل الآلهة لأنه سرق النار



شكل (٦٥) : باندور وهي تفتح العلبة وتخرج منها الشرور والآلام التي ستلاحق الجنس البشري

الأساطير اليونانية والرومانية في الأردن

يمكننا أن نضع لكل إله ذكرناه في الفقرات السابقة اسطورته الخاصة به ولكن ما يهمنا هنا حصرا أساطير الآله اليونانية الرومانية المهمة والتي انتقلت الى الشرق والى ارض الاردن على وجه الخصوص وكانت تمارس عبادتها وطقوسها في معابد ومزارات خاصة وأصبحت على مدى ستة قرون جزء من التراث المثولوجي الاردني واستطاعت ان تتلاقح مع الآلهة والمثولوجيا الاردنية التي سبقت وجودها ونتج عن ذلك تفاعل خصيب ادى الى اثراء المثولوجيا الاردنية اجمالا وتفتحت قوى جديدة فيها .

وسنعتمد في إحصاء ما وصل الى الاردن من آلهة يونانية رومانية على ثلاثة أمور أولها المعابد اليونانية والرومانية التي خصصت لآلهة محددة بذاتها والتي تكشف عن سيادة هذه الآلهة وممارسة أساطيرها . والثاني المسكوكات النقدية اليونانية والرومانية التي عثر عليها في الاردن وكانت تشير الى آلهة معينين دون غيرهم .. وهذا بحد ذاته يعني شيوع عبادة هذه الآلهة وشيوع أساطيرها برغم اننا لانملك اساطير يونانية ورومانية مدونة في الاردن حتى نستطيع ان نلمس طابع التحول أو الصيغة الجديدة لحضورها في الحياة الروحية والمثولوجية لمدن الاردن ولكننا سنحاول توصيف هذا التحول من خلال امور اخرى سنأتي على ذكرها .

أما الأمر الثالث فهو عثورنا على تماثيل ولقى ورموز يونانية ورومانية تشير لنا الى حضور عبادة هذا الاله دون غيره . وستجتمع هذه العناصر مع بعضها في استحضار صورة العبادات اليونانية والرومانية في الأردن .. وقد اتضح لنا من خلال دراسة الامور الثلاثة السابقة ان الالهة اليونانية الرومانية التي عبدت في الاردن هي ما يلي :

الآلهة الذكرية : زيوس ، ديونيزيوس ، ابولو ، هرمس ، هرقل ، نبتون ، اسكلابيوس ، ديداليوس وايكاروس .

الآلهة الانثوية : ارتميس ، افروديت ، منيرفا ، ديمتر ، تايكي ، نايكي ، والحوريات (النمفيمات) .

١ . أسطورة زيوس

زيوس ملك الآلهة وهو أعظم آلهة الاغريق والرومان واشارته (النسر) وهو دالة القوة ويظهر في يديه الصواعق والصولجان وله خدم من الآلهة أهمهم (تايكي ، نايكي ، فاما ، هيبي ...الخ) . ولزيوس عدة أساطير لعلّ أشهرها صراعه مع أبيه كرونوس الذي كان يلتهم كل أبنائه الذين يلدون خوفاً من نبوّة تقول بأن أحدهم سيقتله ذات يوم . ولما كبر زيوس اصطدم بأبيه عدة مرات حتى قتله ووزع شؤون الكون بين أخوته وأبنائه من هيرا ثم اسطورته مع فيلمون وبوسيس اللذين تحولا الى شجرة وسط بحيرة لأنهما أكرما الاله زيوس وابنه هرمس . واسطورته مع (اوربا) ابنة الملك اجنور حيث تحول الى عجل واغرى اوربا بمداعبته ثم ركوبه حتى اختطفها وأسكنها في كريت وأنجبت له ثلاثة صبيان هم (مينوس ورادامنتاس وساربيدون) وترافق هذه الأسطورة اسطورة (قدموس) أخ (اوربا) الذي بحث عنها وخاض مغامرات شتى حتى كرمه زيوس بزواجه من آلهة جميلة هي (آريس) وينسب لقدموس انه بنى مدينة طيبة واخترع الحروف الهجائية ونشرها بين الاغريق .

ان هذه الاسطورة الفينيقية اليونانية توضح العلاقة بين التأثر والتأثير بين الأمتين . وهناك أساطير عديدة اخرى لزيوس مع عشيقاته . وكانت عبادة زيوس وأساطيره أعظم ما احتفى به اليونان ثم الرومان وكان يوم انتصاره على (التيتان) يوماً عظيماً اقيمت فيه فكرة الأحتفالات والألعاب الأولمبية .

وفي الاردن عبد زيوس في عمان وجرش وكَدارا (ام قيس) وسميَ بأسماء مختلفة مثل زيوس ابيكاروس وزيوس هليوس سرابيس وعند الانباط زيوس حدد وله هياكل ومعابد كثيرة أهمها معبد زيوس في جرش .



شكل (٦٦) : رأس زيوس في متحف روما



شكل (٦٧) : رأس زيوس في متحف عمّان



شكل (٦٨) : زواج هيرا وزيوس



شكل (٦٩) : زيوس على عرشه في جدارا (ام قيس)



شكل (٧٠) : معبد الاله زيوس في جرش

عثر في الأردن على سراج برونزي في الكرك يصور زيوس على شكل أوزة تضع تحت جناحيها ولدين صغيرين ويجسد هذا السراج واحداً من أساطير زيوس التي تقول بأن زيوس عندما شاهد (ليدي) ابنة (ثيستوس) وزوجة (تنداروس) ملك اسبارطة تستحم في مياه نهر أورتاس وقع في غرامها ، وقلب نفسه الى أوزة لكي يستطيع الوصول اليها .. وقد فعل ذلك وأغواها ثم هرب بها وتزوجها ومن زواجه بها أنجب ولدين أحدهما (كاستور) والثاني (بولكس) وابنة تدعى هيلين .



زيوس الأوزة ويظهر ولداه في الجناحين
سراج برونزي من الكرك / روماني من القرن ٢ - ٣ .

٢. أسطورة ديونيزيوس (باخوس)

عشق زيوس الآلهة الرائعة سيميلي ابنة (قدموس وهرميون) فقامت زوجة زيوس هيرا بالتخفي والتأكد من هذا العشق وطلبت من سيميلي أن تطلب من زيوس الظهور على حقيقته الالهية الجبارة اذا كان هو فعلاً زيوس ففعلت فظهر زيوس كما هو واحترقت سيميلي وبيتها وانقذ زيوس ابنهما ديونيزيوس بصعوبة . الذي قدر له فيما بعد أن يكون اله الخمر وحامي بساتين الكروم ومقطري الخمر وارتبط بالخصب والخضرة . ولما كبر ديونيزيوس اصبح له اتباع وناصبه العداء ملك طيبة القاسي اكيتيس الذي قتل في النهاية في احد الاعياد الباخوسية واصبحت عبادة ديونيزيوس شعبية جداً وطغت على عبادة جميع الآلهة اليونانية بضمهم زيوس ، فقد كان ديونيزيوس اله الحبوب وحامي المسرات والأفراح وهو الذي تحول لحمه الى حبوب ودمه الى خمر كل عام ، من أجل أن يأكل الناس ويشربوا (وفي هذا ما يشابهه في المسيحية حيث الخبز والنبيذ هما لحم ودم السيد المسيح) .

وله أسطورة مع ميداس الملك الذي أراد تحويل كل شيء الى ذهب حتى فُجع عندما تحول الخبز والطعام الى ذهب ولم يستطع أكل شيء ومات جوعاً .

أما أسطورته مع اريادني فخلاصها أنه رأى أريادني الأميرة الكريتية تبكي فقرر أن يرفه عنها بعد أن أحبها وجلب لها تاجا مرصعا بسبع نجوم فتحول الى برج من النجوم عرفت بعد ذلك بـ(تاج اريادني) .

وكان ديونيزيوس رمزا للخلاعة والتهتك والمجون ، ونرى بأنه يقابل الاله (بعل) وقد امتزج معه عند وفوده الى الشام والاردن وبنيت له معابد وسكت صورته على نقود .

وقد عثر في كدارا (أم قيس) على تمثال لأريادني تمثل اسطورة ديونيزيوس معها . وانتشرت عبادته في كل أصقاع الاردن .



شكل (٧١) : أحد الساتيرات المرافقة لديونيزيوس ويظهر عليه جلد الماعز/ (ام قيس) القرن الثاني الميلادي



شكل (٧٢) : أريادني/ (ام قيس) القرن الثاني الميلادي



شكل (٧٣) : عنقود عنب وهو رمز الاله ديونيزيوس عثر عليه في جرش

٣. أسطورة أبولو

أبولو هو ابن زيوس من (لاثونا) وهو أخ أرتميس (ديانا) وكان ابولو يرمز الى الشمس وأرتميس الى القمر لأن امهما (لاتونا) هي الضوء وقد أحبها زيوس لكن هيرا زوجته طاردتها ولكنها عبدت فيما بعد .

وأكثر أساطير ابولو شهرة هي اسطورته مع (دافني) التي حاول التقرب منها الا انها هربت فركض وراءها حتى وصلت الى حافة جدول أبيها فتحولت الى هيئة جامدة ونبتت الأوراق الخضر من شعرها ويدها . وكانت مثل شجرة غار ولما رآها كذلك ابولو ضمها وقرر أن تكون جوائز الشعراء والموسيقيين أكليل غار ، ودافيني هي الندى التي أسرت الشمس (ابولو) حيث يهرب الندى بعيداً وعندما يمس الندى أنفاس حبيبه الشمس يزول تاركا خضرة مكانه .

ويحظى أبولو بعدد كبير من الأساطير مثل ابولو واورورا الهة الفجر ، ومع كوماتاس راعي الماعز ، ومع ابنه فيتون وعربة الشمس ، ومع الموسيقار أمفيون والموسيقار آريون ومع اورفيوس أعظم موسيقار يوناني وابن ابولو ، الذي كان له قيثار بسبعة أوتار ولموسيقاه قوة عظيمة تفتح الأزهار وتروض الوحوش وقصته مع عروس البحر يوريدس التي ماتت ومع الباخوسيين الذين قطعوا جسده ولكنه مات وهو يتمتم باسم عروسه ثم دفنت الميوزيات اشلاءه وبقي مذكوراً م خلال قيثاره . واسطورته مع ميداس ومع كليتي التي احبت ابولو دون ان ينتبه لها فحولتها الآلهه الى زهرة عباد الشمس التي تراقب الشمس أينما ذهبت وغيرها من القصص اضافة لعلاقته الوطيدة بربات الفنون التسعة اللائي كنّ تحت امرته .

وكان لابولو الكثير من المعابد وتنحت تماثيله وصوره على المسارح والملاهي وقد وجد في المسرح الجنوبي لجرش مجموعة منحوتات جدارية لأبولو مع آلاته الموسيقية .



شكل (٧٤) : رأس أبولو / روما



شكل (٧٥) : أبولو يعزف على قيثارته / روما



شكل (٧٦) : ابولو يعزف على قيثارته/ المسرح الجنوبي / جرش



شكل (٧٧) : ابولو يعزف على دف/ المسرح الجنوبي / جرش



شكل (٧٨) : أبولو وديفني



شكل (٧٩) : بوزيدون ، ابولو ، أرتيمس في الأولمب

٤. أسطورة هرمس

هو ابن زيوس ويسميه الرومان الزئبق (ميركوري) وارتبطت الأجنحة به فحذائه مجنح وطاقيته مجنحة وعصاه مجنحة تلتف عليها الأفاعي الذهبية ، وهو رسول الآلهة . واكتشف هرمس القيثار والشباب ، فقد وجد القيثار في صدفة سلحفاة فارغة فمط أوتارها صدفة ولعب عليها . ثم أعطاها لأبولو وأعطاه ابولو العصا . ثم أهدته الآلهة نعلاً مجنحا وطاقية مجنحة .

واسطورته مع الاله ابولو شهيرة عندما سرق تيرانه وأخفاها في الكهف وأنكر أنه سرقها أمام ابولو والآلهة فحوكم من قبل الألهة وسوي الأمر بينهما . وسنجد هرمس في أساطير الآلهة الأخرى واضحا لانه رسولها .

وكانت أهم صفات هرمس حمايته للمسافرين والتجار واللصوص ، ومن وظائفه انه يرافق الموتى الى الجحيم ، فهو اله باطني ، كما انه الأحلام والرؤى .

وقد ظهر هرمس في الشرق بصورة واضحة جداً وكان قريباً من السحر والكيمياء القديمة والأفكار السرية ، وقد وجدت آثار عديدة له في الأردن منها نحت حجري يصور وجه هرمس وعلى رأسه يظهر جناحان صغيران يدلان عليه .

وكذلك فقد وجدت على نقود فيلادلفيا (عمان) صورة هرمس العريان وهو مائل نحو الشمال وعلى كتفه قضيب طويل تتلاعب عليه حيتان مشتبكتان ورأس الواحدة يقابل رأس الاخرى .



شكل (٨٠) : تمثال هرمس / اليونان



شكل (٨١) : هرمس يحمل الطفل ديونيزيوس



شكل (٨٢) : هرمس على منحوتة حجرية / متحف عمان وتظهر على رأسه الأجنحة التي هي رمزه الرئيسي

٥. اسطورة آريس

أريس أو مارس اليوناني هو اله الحرب ، وقد انتشرت عبادته وارتقى ارفع المناصب عند الرومان باعتبارهم أمة محاربة تقدس الحروب والتوسع . وآريس لا يمل من اراقة الدماء .. وموسيقاه الحقيقية هي جعجعة القتال ولذلك لم ترفع له صلوات محبة ولم يحبه القدماء . والعجيب انه تزوج افروديت وولد منها ولداً اسمه كيوبيد (ايروس) وهو روح الحب الجنسي . وله اتباع مثيرون هم (الشقاق والخطر والخوف والرعب والذعر) وتتبعه دائماً الالهة بالونا (اينو) وتحرس عربته وتقودها وهي الهة الحرب . وعبد الرومان مارس واينو في معبد واحد وقدموا لهما الضحايا البشرية . أما أشهر اساطير أريس فهي مع العملاقين اوتوس وافيالتيس .

ولعل الاسطورة التي شاعت في عصر الرومان عنه هي اسطورة (روميولوس وريموس) وهما ابناء آريس من ابنة ملك ألبا (ريا سيلفيا) اللذان ولدا ووضعا في سلة وتركا في ماء النهر حيث رست السلة قرب شجرة واسقت ذئبة من ضروعها الطفلين ثم كبرا وأصبحا رئيسا عصابة وطرد الملك المغتصب اميلوس وأعادا جدهما الى عرشه . ثم قتل رومولوس اخاه . وسمي المدينة ، سبب الخلاف بينهما ، باسم روما . ثم اختفى رومولوس فاعتبره الناس انه رفع الى الأعالي وانه صار مع الخالدين واعتبرت الذئبة التي أرضعته مقدسة وأقاموا لها عيداً سموه (لوبركاليا) يحتفلون به كل عام .

وقد ورد ذكر هذا الاله في الاردن خصوصاً مع مجيء الرومان واعتبر الهاً مقدسة وربما كانت له معابد في الأردن .



شكل (٨٣) : أبناء آريس ، روميلوس وريموس يرضعان من الذئبة وروميليوس هو الأب الاسطوري للرومان



شكل (٨٤) : آريس جالساً وايروس يلعب بين اقدامه



شكل (٨٥) : آريس مع افروديت

٦. أسطورة هرقل

هرقل شبه اله أمه انسان ولكنه نسب الى زيوس وارتفع الى مصاف الآلهة واصبح رمزاً للبطولة والقوة ولكل امة هرقلها الخاص بها ، وعندما ولد كان هدفاً لهيرا زوجة زيوس فارسلت له الثعابين ليقتلاه في مهده ولكنه خنقهما بيديه القويتين فاضطربت هيرا . ولما كبر تعلم الموسيقى والرياضة وضرب معلمه ضربة قاتلة فعوقب بالجبال وهناك أصبح أقوى وقتل أسداً كان يعدو على قطعان الماشية .

والأساطير التي دارت حول هرقل لا حصر لها فهي كثيرة ولكن يمكن تلخيصها بالعنوانات الرئيسية التالية (مشتقات هرقل : قتله لأسد نيما ، صراعه مع الأفعى المتعددة الرؤوس هيدرا ، مطاردته لوعل سيرينيا ، قبضه على خنزير اريمنثوس ، تنظيف حظائر اوجيوس ، صراعه مع الطيور المرعبة ، مطارته لعجل كريت ، سوقه لخيول ديوميدس ، جلبه لحزام هيبوليتا ، صراعه مع ثيران جيريون ، حصوله على تفاح هسبريدس ، قبضه على الكلب سربوس ، صراعه مع انتيوس ، ثم مغامرته الأخيرة .

وكان هرقل موضوع مسرحيات وأعمال احتفالية وأطبقت شهرته على الآفاق وكان رمز القوة الجسدية .

وقد عثر في الاردن على هياكل ومعابد لهرقل وعثر على نقود في عمان تصوره مكللاً بورق الغار بصورة شاب حول رقبته جلد أسد ، ونقود اخرى تصوره مع ولديه وقد جاءت هذه النقود من العصر الروماني البيزنطي .

شكل (٨٦) هرقل يتكيء على عصاه



شكل (٨٧) : هرقل وهبريديس



شكل (٨٨) : هرقل وولداه
دينار بيزنطي في عمان

٧. اسطورة بوزيدون

بوزيدون (نبتون) هو اخ زيوس اله المحيطات والمياه كلها وهو يحرك الأرض ويروض الخيول ويحفظ القوات البحرية وشعره الأخضر يلفّ الأرض وعقله شفاف ويده ترحم الجميع ، وقد حاول اكثر من مرة أن يحلّ بديلاً عن زيوس ويخلعه وفي كل مرة كان يكشفه ويعاقبه .

وزوجة بوزيدون هي امفتيريتي وهي الهة البحار وتنتمي لالهين هما تجسيد لفكرة هدوء البحر الذي تضيئه الشمس وقد كانت تتمنع على بوزيدون وتريه خفتها ورشاقتها فقط فاقنع الدولفين أن يغويها فلما فعل حوّل الدلفين الى برج النجوم مكافأةً له ، ثم تزوجا وأنجبا أطفالا كثيرين ومنهم تريتون الشهير بأنه نصف آدمي ونصفه الثاني سمكة ، وله اساطير اخرى مع ايداس وأبولو وغيرهم .

وأهم عبّاده هم البحارة ومدربو الخيول ومروضوها وأهم الألعاب التي اقيمت له (العاب البرزخ) في كل اربع سنوات .

وان واحداً من رموزه الدلافين واداة صيد السمك ذات الأنياب الثلاثة وقد عثر في جرش على لوح رخامي مزخرف عبارة عن عصا بوزيدون هذه يحيط بها اثنان من الدلافين .



شكل (٨٩) : تمثال الإله بوزيدون



شكل (٩٠) : لوح رخامي عثر عليه في جرش وعليه نقش فيه عصا بوزيدون (نبتون) واثنان من الدلافين يحيطانها

٨. إسكلابيوس

إسكلابيوس هو اله الطب والشفاء في اليونان وهو ابن ابولو من الفتاة كورينس فحين ولد تولاه شيرون بالتعليم وهو اعظم علماء السنتور وهم شعب غريب ، وهكذا شب اسكلابيوس طبيباً ذا مقدرة فائقة فقصده الناس من كل انحاء الدنيا ويقال بانه ارجع مرة رجلاً الى الحياة فأغاظ بفعلته هذه زيوس ، ثم اشتدّ أمر اسكلابيوس وحب الناس له فأغاظ هذا زيوس وأمر بلوتو بأن ينزل عليه صاعقة تقتله ففعل ، ولما عرف ابولو بما جرى لابنه رمى صنّاع الصاعقة بسهامه الفضية انتقاماً لابنه ولكن زيوس حماهم ونفى ابولو الى عالم الناس وفرض عليه أن يخدم أحد الفنانين فيها .

وقد عثر في جرش على رأس تمثال من الرخام لاله الشفاء في حدود القرن الثاني بعد الميلاد .



شكل (٩١) : اسكلابيوس مع ابنته هيجيا / روما



شكل (٩٢) : رأس تمثال رخامي لاسكلبيوس في جرش ٢ ق.م

٩. ديداليوس وإيكاروس

ديداليوس معماري عظيم عاش في كَريت وبنى قصراً كبيراً رائع الجمال لملك كَريت مينوس وقد كان له ولد اسمه (ايكاروس) نمت في داخله رغبات التطلع والفضول في الصعود الى السماء .. فقرر ان يحاول ذلك عندما انتبه للطيور وكيف ان بامكانها الطيران بواسطة الأجنحة ، فقضى وقتاً طويلاً في صناعة أجنحة له من الريش ولمّا أتمّ صنعها ، ذهب الى مرتفع عال وقفز منه وطار .. ثم ارتفع نحو الشمس وعندذاك ذاب الشمع الذي كان يربط الريش مع بعضه فتساقط الريش وبدأت كارثة ايكاروس الذي سقط في البحر وهذه القصة تذكر بقصة عربية حول عباس ابن فرناس .

وقد عثر في جبل القلعة في عمان على تمثالين كبيرين الأول لديداليوس وهو ينظر الى اله الشمس هيليوس بغضب ولوم وحسرة على ما فعله بابنه والثاني لابنه ايكاروس .



شكل (٩٣) ديداليوس / متحف عمان



شكل (٩٤) : ايكاروس / متحف عمان

١٠. أرتميس

ديانا أو ارتميس شقيقة ابولو التوأم من زيوس والهة القمر والصيد وتمثلها المنحوتات والرسوم كانها الهة فتية جميلة تلبس ثياب الصيد القصيرة ومسلحة بقوس وجعبة على جانبها مملؤة بالسهام وعلى رأسها هلال .

ولها أربع أساطير مهمة الأولى مع نيوبي التي كان لها سبعة أبناء وسبع بنات فاخرت بهم لاتونا ام ارتميس فقام ابولو وارتميس بقتل أبنائها وهي اسطورة رمزية ترمز لانقضاء شهور الشتاء السبعة .

والثانية مع انديبيمون وهو الشاب الجميل الذي طبعت على شفته قبل وهي عابرة في السماء والثالثة مع اوريون الذي فقد بصره بسببها والرابعة مع اكتيون الذي تجرأ وتطلع الى جسد ارتميس وعرائسها وهن يسبحن في النهر فمسخته الى وعلٍ هارب .

وتمتاز ارتميس بانها (العذراء) التي طالبت من الآلهة عدم التقدم لها ورجت من زيوس أن يمنحها هذا الحق فقبل ، وفي كل يوم وبعد أن ينتهي دور اخيها ابولو وعند غروب الشمس تمتطي ارتميس عربة القمر وتسوق جيادها البيض وتجتاز السماء حيث النجوم التي لاتحصى تراقبها وتحبها .

وارتبطت ارتميس بالخصوبة أيضاً فقد صورت افسوس وفي كَدارا (ام قيس) في الاردن بتماثيل تشير الى شدة الخصوبة فيها من خلال الاثداء الكثيرة المعلقة على صدرها . وهناك تمثال رخامي لرأس ارتميس في متحف عمان .

وقد كانت ارتميس الالهة الحامية لمدينة جرش بشكل خاص فبالاضافة لوجود هيكلها أو معبدها المعروف فقد عثر على تماثيل ولقى تشير لها ومنها خاتم صغير من الفضة مطعم بحجر من العقيق . حيث تلبس الالهة ارتميس ثوباً قصيراً يشده الى وسطها زنار وتتقدم الى اليسار حاملة القوس بيدها وعلى كتفها جبة السها ويربط شعرها شريط يبرز وراء الرأس[٧]



شكل (٩٥) : ارتميس الهة الخصوبة



شكل (٩٦) : ارتميس الصيّادة



شكل (٩٧) : جسد ارتميس كثير الاثداء (ام قيس)



شكل (٩٨) : رأس رخامي لارتميس الهة الصيد والشباب / متحف عمان



شكل (٩٩) : مدخل معبد ارتميس في جرش



شكل (١٠٠) خاتم روماني عليه صورة الالهة ارتميس / جرش

١١ . افروديت

افروديت (فينوس) الهة الحب والجمال وهي مولودة من البحر واسمها اليوناني يدل على انها مولودة من الزبد . وهي الهة رقيقة تحمي العشاق والبساتين والزهور والحمام والدلافين والأوز .

ان افروديت هي عشتار اليونان ولها عدد كبير من أساطير الحب والجمال لعل أهمها اسطورتها مع أدونيس وهي اسطورة ذات منشأ شرقي وتحكي كيف وجدت افروديت ساق شجرة في غابة خرج منها طفل أودعته الى ملكة الظلام (بيرسفوني) ثم اصبح الطفل من امهر الصيادين في العالم ، وظلت الآلهة محتفظة بشبابها حتى كبر الطفل وأصبح صياداً وهو أدونيس فعشقته كلٌ منهما ثم قتل أدونيس خنزير بري فحزنت افروديت عليه وأعلنت الحداد . وواضح ان هذه القصة تذكر باسطورة تموز وعشتار والبعل وعناة .

وهناك الكثير من الأساطير الاخرى مثل ايروس وسايكي (الرغبة والنفس) فقد علمت افروديت بأهمية سايكي الجميلة فأمرت ايروس خادمها أن يغريها الذي وضع على شفاهها قطرات من الماء المر ومسّ جنبها برأس سهمه القاتل لكن ايروس وقع في حبها . وهذه الأسطورة واحدة من أجمل اساطير افروديت التي نتمنى أن يرجع اليها القارىء (كما هي الأساطير الاخرى) في مصادرها الأصلية ليستمتع بها .

وفي الاردن كان هنا حضور كبير لالهة الحب والجمال ، فقد عثر على الكثير من تماثيلها الفخارية والبرونزية في عمان وجرش والبتراء . وكانت ترتبط عبادتها بالاله زيوس .



شكل (١٠١) : افروديت / متحف عمان



شكل (١٠٢) : تمثال فخاري مكسور لافروديت / متحف جرش



شكل (١٠٣) : افروديت / متحف عمان



شكل (١٠٤) : افروديت وايروس / متحف عمان

١٢. أثينـــا

اثينا (منيرفا) ابنة زيوس التي لم تنجبها امرأة بل خرجت من رأسه ، فقد أصيب زيوس بوجع شديد في رأسه ولم يطقه فأمر هيفاستوس ابنه الحداد بأن يفلق رأسه بالفأس ولما فعل قفزت منيرفا تامة التكوين ولها درع ذهبي ورمح مشهر وهي تغني اغنية النصر . وأصبحت أثينا الهة السلم والحرب الدفاعية وأصبحت رمزاً للحكمة وهزمت الهة الغباء وورثت صولجانها وحكمت العالم وأساطير أثينا كلها تدل على الحكمة والقوة معاً وأعطت اسمها لمدينة اليونان الخالدة .

وكانت عبادتها واسعة وشائعة واقيم لها معابد في كل العالم وأشهرها معبد البارثنون في اثينا ، وكان الاغريق يحتفلو بها مرة كل أربع سنوات أما الرومان فمرة كل عام ، وكان الناس يحملون تمثالها ويطوفون به المدينة منشدين ومهللين .

وقد عثر في الاردن على نقود في عمان (فيلادلفيا) تحتوي على صورة لأثينا وعلى رأسها بيضة حربية أما الوجه الآخر للعملة فعليه غصن دالية ممتدة وعليها عنقود عنب سنة ١١٦م .



شكل (١٠٥) : أثينا ترتدي خوذتها المميزة



شكل (١٠٦) أثينا – تمثل برونزي / روما



شكل (١٠٧) : أثينا – تمثال برونزي / روما

١٣ . ديمتــــر

ديمتر (ساريس) الهة الزراعة والمدنية وهي عشيقة زيوس واختهُ ولها بنت كانت تحكم العالم الاسفل هي بيرسفوني (بروزربين) الهة الخضرة . وهناك اسطورة حول بيرسفوني وبلوتو وخطفها للعالم الأسفل فبحثت عنها ديتمر بلهفة وجنون ولكنها لم تجدها فجلست على الطريق وأخذت تبكي . فحنت لها قلوب بنات الملك سيليوس واعطنّ لها اخوهن ليكون بديلاً وخطر لديمتر ان تمنحه الخلود فدهنته بالخمر الالهي والتعزيمات ووضعته على النار حتى تنتهي كل العناصر الفانية الباقية في جسده . لكن امه اخذته منها .

وهناك اساطير اخرى لديمتر التي توصف بانها راعية الحنطة والسنابل ويبدو أن بعض النقود التي وجدت في عمان تشير الى هذه الالهة حيث صورت وفي يدها اليمنى السنابل والخشخاش وعليها كتابة ، ويظهر الخشخاش وفقاً لاسطورتها التي تقول بانها تحمل دائماً مصباحاً وتفتش عن ابنتها بيرسفوني التي خطفها بلوتو اله الجحيم ولم تكن تنام ابداً فارسل اليها جوبتر خشخاشاً لينومها فارتبط رمز الخشخاش بها وتأريخ هذه النقود يعود الى سنة ١٦٣ م .



شكل (١٠٨) : الالهة ديمتر وهي تحمل سنابل الحنطة وفي يديها والافاعي حولها والتاج المصنوع من ورق الأشجار على رأسها

١٤. تايكي Tyche

ليست تايكي من بنات زيوس ومن آلهات الاولمب الا ان زيوس كان له خدم من الآلهة يقومون له بواجبات محددة ومن أهم هؤلاء الخدم له هما الالهتان تايكي (الهة الحظ) وتايكي (الهة النصر) .

لقد أحب زيوس خادمته تايكي حبا شديدا وكانت عشيقته وتحمل معها دائما دولاب الاقدار او الابراج الذي اصبحت مسؤولة عنه باعتبار ان الحظ يرتبط ببرج الشخص الذي يولد فيه .

وصارت تايكي تمثل "مفهوم الحظ العابر وتظهر في وقت مناسب لتحقق السعادة المنشودة . وهكذا جسّد الفكر الانساني التأثير الفجائي القصدي الملائم في صورة انسانية آمن الانسان بها . وتفنن خياله في ابتكار صفاتها وخلق خصائصها ، وتصور معجزاتها"[٨] .

ويبدو ان تايكي تعبر تحديدا عن الحظ وتايكي ليست بلقب يدل على الهة له اسم بل هي الهة قائمة بذاتها كانت ذات يوم ضمن حاشية فينوس لكنها في الفترة الهيلنستية تحديدا أخذت مقاما راقيا فاصبحت تدل على الالهة الحارسة للمدينة وتدل كذلك على الحظ واسمها بالاغريقية يعني بالضبط كلمة (الحظ) "وكذلك تدعى دايكي Dike أو مويرا Moera الهة القدر الكونية او الخاصة بروح فردي . وكانت تايكي باسيليوس Tyche Basi-leos عنوان (الروح الانثوي) او الهة الحظ للملك ، وليس هناك أيّ من حاكم يمتلك القوة دون ان تنظر له الآلهة تاكي بين الرعاية"[٩] .

وأصبح اسم تايكي عد الرومان (فورتونا Fortuna) التي تعني الحظ وهي كلمة تذكر بالكلمة العربية (فرتنا أو فرطنة) وتعني السعادة والبحبوحة وتسمى الهة الحظ الثلاثية الرومانية "وكان القياصرة دائما يحملون تمثال ذهب لهذه الآلهة حتى في نومهم ورحلاتهم ، وكانت تنتقل بعد موتهم الى تابعيهم الذين كانوا يتضرعون لها تحت اسم (فورتنا ريجا Fortuna Regia) والتي تترجم الى تايكي باسيليوس أي (قدر الحكم)"[١٠] .

ان تايكي بالقدر الذي تعبر فيه عن حظ المدينة وحظ الملك فانها تعبر عن حظ الشخص أيضاً وترتبط "كملاك حارس وهي النفس (سايكي) أو الروح (انيما) . واسمها الروماني فورتنا وربما يكون قد انحدر من فورتمنا Vortumna (التي تبدل السنة) ، الام الكبرى التي تدير العجلة السماوية للنجوم وكذلك العجلة القدرية للمصير"[١١] .

وسنتوسع في دراسة تايكي لأسباب كثيرة أهمها انها صارت أكبر الهة في الرحلة الهيلنستية الرومانية وطغت على كل الالهات ، وثانيها انتشارها الواسع والكبير في الشرق وفي الاردن (في جميع مدنه وقصباته) ثم ان ما هو معروف عنها يسير جداً ولا يعطي اي معلومات واضحة .

اختلاطها مع آلهة اخرى

تختلط تايكي مع مفاهيم ووظائف ربات اخريات مثل فاتوم أو فاطم Fatum ربة القدر والحتمية ومنمسيس ربة العدالة والانتقام ، و (فونوس Fonus) حامي القطعان والرعاة وخصب النوع الانساني وجونون حامية العذراء والنساء المتزوجات و (هركول) رب القوة الانسانية والأعمال الخيرة و(مركور) حامي المهن وصغار التجار والمسافرين ، و (مارس) رب الحروب ، ومنيرفا ربة النصر والحكمة ، وارتميس الهة الصيد والشباب وحامية النساء الأمازون وبلوتس رب الغنى وأثينا وروما .

ارتباط الالهة فورتنا مع الهات اخريات

يرد اسم تايكي أو فورتنا مع الهات اخريات ليعطي وظيفتهن مثل [١٢] :

١ . فورتنا فيريليس (F. Viriles) وهي الهة النساء بمقدار النظر الى حظهن من الرجال .

٢ . فورتنا موليبرس (F. Muliebris) وهي الهة النساء الشريفات اللواتي لم يكن يتزوجن سوى مرة واحدة . وهذا يعطيهن .

٣ . فورتنا ريدوكس (F. Redux) الالهة التي يبتهل اليها من اجل عودة المسافر .

٤ . فورتنا باربارا (F. Barbara) الهة الجنس المذكر التي تشرف على انتقال الرجل من فترة الطفولة الى سن البلوغ ومرحلة الرجولة .

٥. فورتنا ڤيركو (F. Virgo) الهة الفتيات اللواتي ينذرن لها ثيابهن اما في سن البلوغ أو في أيام الزواج .

٦. فورتنا مّوسا (F. Mammosa) الالهة ذات الثديين الليّنتين المتهدلتين وكانت تعتبر سيدة نساء عامة الشعب .

٧. فورتنا الجمعيات : الهة نقابية تشرف على الرابطات المهنية والتجارية وتحميها .

٨. فورتنا فيلكس (F. Felix) الهة الخصب السعيد .

٩. فورتنا ايكويستريز (F. Equestris) ربة الفرسان .

١٠. فورتنا اوبسيكونز (F. Obsequens) التي تنقذ المرء من الخطوات السيئة وهي ايضاً الهة السلام والصحة .

١١. فورتنا مالا (F. Mala) تمثل أمراض الحميات وتجسد معني الخصم .

١٢. فورتنا دوتيوس (F. Douteuse) احدى مظاهر الحظ المعاكس .

وظائف تايكي

هناك مجموعة من الوظائف اختصت تايكي بتقديمها وهي :

١. **تأسيس المدن وحمايتها** فهي الربة المؤسسة للمدن وحاميتها ومن اجل ذلك تضع على رأسها تاجا على شكل أسوار ذات البرج (انظر جيداً الى تمثال تايكي عمون) وكان ينشد لها تمجيداً لكي تحمي المدن . ويتضرع لها الأبطال لتعينهم في النصر .

٢. **تجسيد خصب المدينة وازدهارها** وهي ربة المياه التي تحمل في يدها السنابل والخشخاش كرمز للخصب (وهي تدل على ديمتر في هذه الوظيفة) ويحتفل بعيدها مع فترة الحصاد فهي ربة الأرياف والفلاحين الذين يحملون لها النذور .

٣. **تجسيد الحظ الملائم والصدفة المناسبة** في التجارة والحروب والمباريات ، فهي سيدة المقامرين واللاعبين ولانها تجسيد الحظ المتغير باستمرار والمتبدلُ على الدوام . فهي



تجسيد للحظ السعيد والحظ المعاكس والفردي والجماعي وكانت تصور أحياناً في صورة أمرأة عمياء لكي ترمز لقيامها بمنح السعادة بشكل اعتباطي وفجائي .

٤. **تقرير الاقدار والحتميات :** فهي تساهم في وضع اقدار الناس الهالكين ، فهي الهة هامة لان كل انسان يحلم بأن يحظى برضاها لدعم موقفه من التحديات الخارجية وكان الناس يشربون نخبها ونخب الحظ الذي تمثله .

شكل (١٠٩) : الالهة فورتنا الرومانية (تقابل تايكي اليونانية) وهي تحمل على يدها اليسرى قرن الخصب الذي سيلازم ظهورها ، وهي الهة الحظ ومؤسسة وحامية المدن .



شكل (١١٠) : تايكي عمّون أو تايكي فيلادلفيا وهي تحمل على رأسها تاجاً على شكل أسوار المدينة وأبراجها



شكل (١١١) : تايكي جدارا (ام قيس) وهي تحمل على يدها اليسرى قرن الخصب



شكل (١١٢) : تايكي المجنحة



شكل (١١٣) : تايكي المجنحة وهي تحمل اكليل السعف



شكل (١١٤) : تايكي حامية المدينة على مسكوك نقدي من عمان وهي تحمل قرن الخصب في يدها اليسرى وسنابل القمح أو الصولجان في يدها اليمنى وتحتها عجلة أو دفة أو مقود سفينة دلالة قيادتها لحياة البشر وهذه الصورة تحمل ثلاثة رموز من رموزها .

٥. **قيادة المراكب والملاحة عبر الأخطار** حيث كان المصير المحتوم يسير أمامها وهي التي تتولى اعادة المسافرين الى أوطانهم .

٦. **ربة الولادة والزواج السعيد وربة الوفاء** وهي الملاك الحارس لكل انسان وهذا يفسر وجودها منقوشة على قبور الناس وهي ربة الحياء بالنسبة للمرأة وهي التي تحول دون ان يمس الانسان حشرة ما أو تصيبه الحشرات بأذاها .

رموز تايكي

١ . تاج على شكل اسوار مدينة مع ابراجها للدلالة على حماية المدينة وسكانها (تايكي عمون) .

٢ . قرن الخصب الذي يبدو في يدها اليسرى دائماً ورأسه المنفرج مملوء بالأزهار والفواكه والثمار المحلية (تايكي كدارا) (ام قيس) .

٣ . دفة السفينة أو مقودها للدلالة على انها تقود البشر في مصائرهم .

٤ . الكرة وترمز الى العمومية والشمول .

٥ . الدولاب ويرمز الى الحركة وعدم الثبات على حال والتبدل والتقلب في الوجد .

٦ . غصن النخيل كشارة فوز وعلاقة نصر ، واكليل الغار من النخيل يقدم للفائزين .

٧ . سنابل القمح وتدل على الخصب والثروة .

٨ . الاجنحة حيث كان الرومان يعتقدون بانها بعد ان طافت الكون قطعت جناحها واستقرت في المدن .

٩ . الكأس : ويبدو في يدها اليمنى دلالة الارتواء والخمر .

١٠ . الصولجان : الذي تمسكه بيدها اليمنى دلالة الحكم والسلطان .

١١ . الاكليل : في يدها اليمنى .

١٢ . رمز السلام والتجارة في يدها اليمنى .

وقد عثر في الاردن على تايكي وهي تحمل تاج المدينة واسوارها وقرن الخصب واكليل السعف والاجنحة وسنابل القمح .

لقد اندمجت تايكي مع الالهة اترجاتيس وظهر ذلك عند الانباط واضحاً فقد توّحدت وظيفة (تايكي المدينة Tyche Ploleos) مع وظيفة حماية المدينة عند اترجاتيس . وظهر مثل هذا عندما توحدت تايكي مع الالهة التدمرية (جاد) ومع الالهة العراقية (عشتار) ومع الالهة المصرية ايزيس (ايزيس تايكي) او (ايزيس فورتنا) التي عبدت في روما .

١٥. نايكي Nyche

الالهة نايكي الهة مرافقة لتايكي ولكنها تتخص تحديداً بالنصر فهي الإلهة المنتصرة .

لقد كانت الالهة نايكي وصيفة او خادمة عند الاله زيوس ، ولكن زيوس أحبها حباً شديداً وكان يحمل صورتها في يده .

كـانت هي وتايكي في بلاط زيوس .. ولكن الربتين أخذتا مكانة كبيرة في المرحلة الهيلنستية في الشرق ثم عند الرومان .

وفي الاردن عثر في البتراء على صورة الالهة نايكي وهي تحمل دولاب الفلك الدوّار الذي تتوسطه تايكي وقد اشرنا لهذه المنحوتة في حديثنا عن آلهة الأنباط ، ونرى ان نايكي وتايكي امتزجتا عند الانباط مع الالهة الكبرى في مرحلتهم المركبة اترغاتيس واصبحت تدل عليها .



شكل (١١٥) : الالهة نايكي وهي تحمل ابراج الفلك وتبدو مجنحة وهي الهة النصر في الاردن في المرحلة الهيلينية الرومانية

٥. الحوريات Nymphs

الحوريات مجموعة من الالهات المائيات اللتي ارتبطن بالينابيع ومنابط المياه ولذلك حمل اسم (سبيل الحوريات) دلالة على وجودهن فيه . وهن بنات الاله المحيط اوقيانوس وهو اخ كرونوس ، وقد ولد الاله المحيط بنات المحيط وحفيداته آلهات البحار والانهار والعيون والغابات والجبال . الطائفة الأولى منهن هن حوريات البحار ويطلق عليهن اسم الاوسيانيد Oceanides اي البحريات أو المحيطيات ويدخلن في اساطير ديونيزيوس وارتميس . والبعض منهن عشيقات للاله زيوس مثل (الكمين) التي جاء منها هرقل و (ديوني) التي جاءت منها افروديت ومنهن (ثيتس) التي جاء منها أخيل بطل الالياذة ومنهن (يو) التي انجب منها زيوس ايبافوس الذي انحدر من نسله ايجبتوس وداناؤوس وايجبتوس هو أبو المصريين الاسطوري في نظر اليونان .

و (سبيل الحوريات) في الاردن موجود في اغلب المدن القديمة فهناك في وسط عمان وهناك في جرش وفي البتراء وارتبط ظهوره مع الماء الذي هو وسط النيمفات او الحوريات العذراوات .



شكل (١١٦) : الحورية اريثوسا وتظهر سمكتان أمام وجهها دلالة على الماء .



شكل (١١٧) : الاله اوقيانوس (OCEANUS) أب الحوريات والاله المحيط الأعظم



شكل (١١٨) : سبيل الحوريات في جرش

دخلت المثولوجيا اليونانية والرومانية الى الاردن في وقت كانت تعاني فيه البلاد من فراغ سياسي وروحي كبير فقد كانت الممالك الأردنية المحلية قد انتهت تماماً وذابت دياناتها معها .. ولم يبق سوى الأنباط في المناطق الجنوبية من الاردن .. ولذلك سرعان ما حلت هذه المثولوجيا بقوة وأصبحت جزءً من عقائد الغزاة ثم المواطنين .. وعلى مدى ستة قرون وهي الفترة اليونانية الرومانية هضمت هذه العقائد وأصبح لها آثارها المادية من المعابد والتماثيل والطقوس والشعائر والمسكوكات النقدية .

لقد مثلت المجموعة الالهية الذكورية آلهة متشابهين مع ماكان سائداً في الاردن من آلهة .. فالاله زيوس يقابل الاله الكنعاني ايل ، والاله ديونيزيوس يقابل الاله بعل ومشتقاته . والاله اريس له صدى في آلهة عمونية ومؤابية وادومية آفلة والاله هرقل كان منتشرا في المنطقة قبل مجيء هركلوس اليوناني فقد كان اله مدينة صور اسمه (هركول) والاله ابولو اله الشمس والموسيقى . هؤلاء الآلهة كانوا يمثلون عدة وجوه لآلهة اردنية

عبدت وكانت أساطيرها متداولة . لكن القطب الأخصب في هذه العقائد كان يمثله زيوس وديونيزيوس الاله السماوي والاله الأرضي ، اله الفكرة واللوغوس واله الحس والايروس . وهو ماسيظهر لنا واضحاً في الهين نبطيين هما ذو الشرى بوجهين الزيوسي والباخوسي والاله حدد بوجهين هذين أيضاً .

أما الآلهة الاناث فتعكس كل واحدة منهن وظيفة معينة كانت تمثلها محلياً . الالهة تايكي والالهة اترغاتيس اللتان اتحدتا في البتراء . فالحب والجمال والحكمة والخصب والحظ والنصر والشباب والصيد كانت تمثل صفات لالهة واحدة رأينا كيف انها انحدرت من اللات حتى اترغاتيس عند الانباط وكانت تمثل عشتار سابقاً .

هكذا اذن دخل أسطول المثولوجيا اليونانية عبر شحنتين اساستين الأولى ذكرية مثّلها زيوس / ديونيزيوس الذي يماثل ايل / بعل والثانية انثوية تايكي / ارتميس التي تماثل عشتار الحب والحرب ، ويقع هذا كله في نفس خط الاستنتاج الذي توصلنا له سابقاً حول القطبين الذكري والانثوي الجامع للنقائض في المثولوجيا الاردنية . وانه لمما يثير الاستغراب حقاً ان الآثار الرومانية في الاردن (وهي كثيرة) لم تحمل الا فيما ندر أسماء الآلهة الرومانية واستمر احياء المثولوجيا اليونانية وهذا واضح من اسماء المعابد الهياكل والمزارات ذات المعمار الروماني والمضمون اليوناني وكانت المعابد تسمى مثلاً ارتميس اليونانية وليس ديانا الرومانية ولا فينوس بل افروديت ولا باخوس بل ديونيزيوس ولا جوبتر بل زيوس . وهذه مفارقة جديرة بالدرس والتحليل . ثم ان ديونيزيوس ظهر بصورة الطفل وارتميس ظهرت بصورة العذراء وهذا ما كانت تنبض به المثولوجيا والعقائد الشامية والاردنية تمهيداً لظهور يسوع الطفل ومريم العذراء .

هوامش الفصل السادس

١ . وافي ، علي عبد الواحد : الادب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٠ ص٨٦ .

٢ . المرجع السابق ص٩٩ .

٣ . المرجع السابق ص ١٠٤ .

٤ . المرجع السابق ص ١٣٦ .

٥ . غيربر ، هـ.أ : "أساطير الاغربق والرومان" ترجمة حسين فريز . منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٧٦ ص ٣٥٤ .

٦ . وافي ، علي عبد الوحد : "الادب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي" ص٢٣ .

٧ . انظر بحث السيدة ايمان عويس (مدفن بيزنطي في جرش) حولية دائرة الآثار العامة المجلد ٢٩ ، عمان ١٩٨٠ .

٨ . زهدي ، بشير : "تيكه وتماثيلها في المتحف الوطني بدمشق" . مجلة الحوليات الأثرية السورية . مجلد ١٦ ، ١٩٦٦ ص١٦ .

٩. Walker , Barbara G "The Women's encyclo pedia of myths and secrets , Harper. Sanfrancisco 1983 p. 1023

١٠. Ibid P. 321

١١. Ibid P. 321

١٢. انظر بحث "تيكة وتماثيلها في المتحف الوطني بدمشق" لبشير زهدي ص ص ١٧، ١٨ .

الفصل السابع

المثولوجيا المسيحية



آلهات المدن المسيحية (روما ، غريغوريا ، مادبا) تحمل كل واحدة منهن صليباً ، وعلى رأس كل من غريغوريا ومادبا تاج يشير الى الاسوار والقلعة وهو ذات التاج الذي كانت تحمله تايكي على رأسها وقرن الخصب الذي كانت تحمله تايكي على اليد اليسرى لكل من مادبا وروما .

من فسيفساء ردهة هيبولتيس في كنيسة العذراء في مادبا

مقدمة تاريخية

ظهر السيد المسيح في أرض فلسطين واسمه (يسوع) عبري الأصل معناه (يهواهو الخلاص) ولقبه (المسيح) مشتق من لفظة آرامية معناها الممسوح بالزيت المقدس وهي علامة على النبوة او الملوكية .. وعمده في الاردن يحيى (يوحنا المعمدان) ، وهناك من يرى انه نشأ بين جماعة من الاسينين والقمرانيين وأخذ بتعاليمهم .

لقد سطعت تعاليم السيد المسيح أولاً في فلسطين والاردن وجاءت الديانة التي بشر بها لتكون ذروة الديانات السامية السابقة والكنعانية منها بشكل خاص ، وقد مهدت الثقافة الهيلينة الرومانية في أرض الشام لأن تنصهر في هذه الديانة عوامل حضارية جديدة فقام الرسول (بولس) الذي اعتنق الهيلينية مذهباً فكرياً بفك اسار المسيحية من محليتها ونشرها غرباً لتصبح ديانة عالمية اكتسحت الديانات الوثنية في اوربا .. وعاشت المسيحية صراعاً حاداً مع ديانة الاله (مثرا) ثم انتصرت عليها في القرن الرابع ، وكان الشرق العربي الذي ظهرت فيه الديانة المسيحية يُنبت ويشيع هذه الديانة بصبر وعناد وينشر عقيدتها وشهداءها وكنائسها بصعوبة بالغة . ولما اعتنق الامبراطور البيزنطي قسطنطين الديانة المسيحية عام (٣٣٣م) اصبحت المسيحية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية البيزنطية وشمل هذا التغيير المستعمرات الرومانية .

في عام ٣٦٣م ضرب زلزال مدمر جنوب الاردن وهدّم جزءً كبيراً من البتراء . وفي عام ٣٩٥م قام الامبراطور ثيودوسيوس بانشاء عدد كبير من الكنائس في الاردن ومع نهاية القرن الرابع الميلادي اعيد تقسيم المقاطعات الرومانية وقسمت منطقة شرق الاردن ووادي عربة الى اربع مقاطعات :

١. **فلسطين الأولى :** غرب وسط الأردن وعاصمتها قيسارية .

٢. **فلسطين الثانية :** شمال غرب الاردن وعاصمتا بيسان .

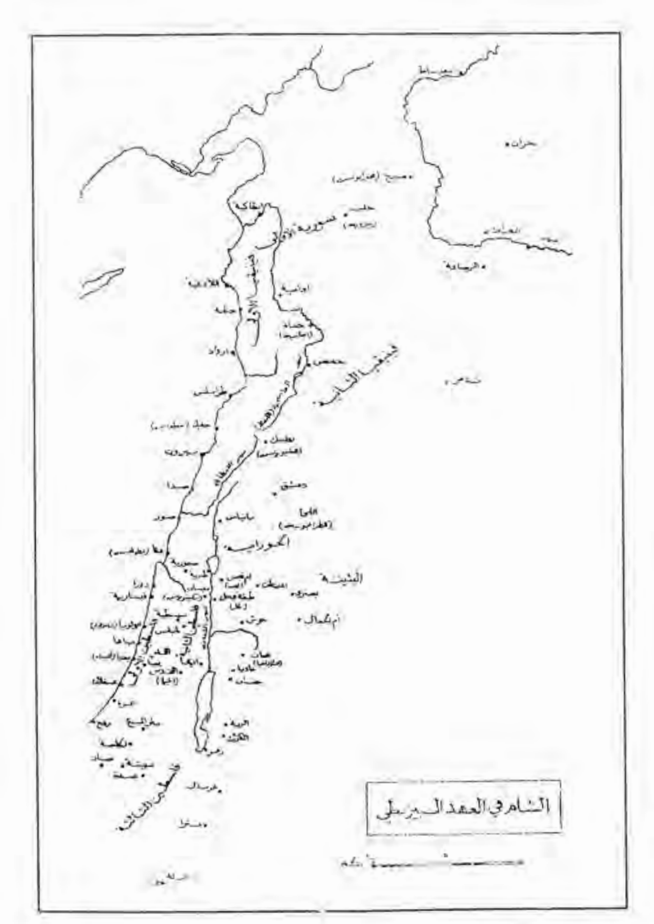
٣. **فلسطين الثالثة :** جنوب الاردن وعاصمتها البتراء .

٤. **فلسطين الرابعة :** شمال شرقي الاردن وعاصمتها بصرى .

وفي عام ٥٤٢م ساد طاعون عظيم مدن الاردن ومع نهاية القرن السادس سيطر الغساسنة المسيحيون على شرق الاردن وسوريا واعتُبروا خلفاء الأنباط في مناطق الشام .

وبين الأعوام (٦١١ - ٦١٤) اجتاح الفرس بقيادة كسرى الثاني المنطقة فهاجموا المدن ونهبوا مدينة القدس ، لكن الامبراطور البيزنطي هرقل دحرهم واعاد المدن الى نفوذه .

وفي عام ٦٣٦م زحفت جيوش المسلمين الى الاردن واصطدمت بالجيش البيزنطي في مؤتة قرب القرب فتراجع المسلمون قليلاً وقتل منهم ثلاثة قادة كبار هم (زيد بن حارثة ، جعفر بن ابي طالب ، عبد الله بن رواحة) ودفنوا هناك ثم تقدم جيش اسلامي كبير في الاردن وحسمت معركة اليرموك في وادي اليرموك سنة ٦٣٦ وكان النصر للمسلمين وزحف المسلمون منها الى دمشق التي صارت عاصمة لخلافتهم .



خريطة (٧) الشام في العهد البيزنطي

المثولوجيا المسيحية

السؤال الأول الذي يتبادر الى الذهن هو : هل هناك مثولوجيا مسيحية ؟

فأقول مباشرة : نعم هناك مثولوجيا يهودية ومسيحية واسلامية . وطالما كان هناك دين كانت معه مثولوجياته ، لأننا وكما ذكرنا في الفصل نرى المثولوجيا مرتبطة بالمقدّس ، والمقدّس الديني هو من اكثر المقدسات التي تستدعي حولها الأساطير .

ومن المؤكد اننا لن نخوض في هذا الفصل بجميع أوجه المثولوجيا المسيحية ، ولكننا سنؤكد على آثارها في الاردن فقط وما يتعلق بها في تأريخه .

لقد كانت أرض الشام نسيجاً عقائدياً صالحاً لظهور الاقنوم المسيحي (الأب والابن والروح القدس) . فقد حفرت الديانات السابقة ثالوثاً معروفاً هو (ايل والبعل وعشتار) ، وهناك من يؤكد ان الثالوث المسيحي كان في البداية مشتملاً على العذراء مريم لكنه استبدل لاحقاً بالروح القدس .

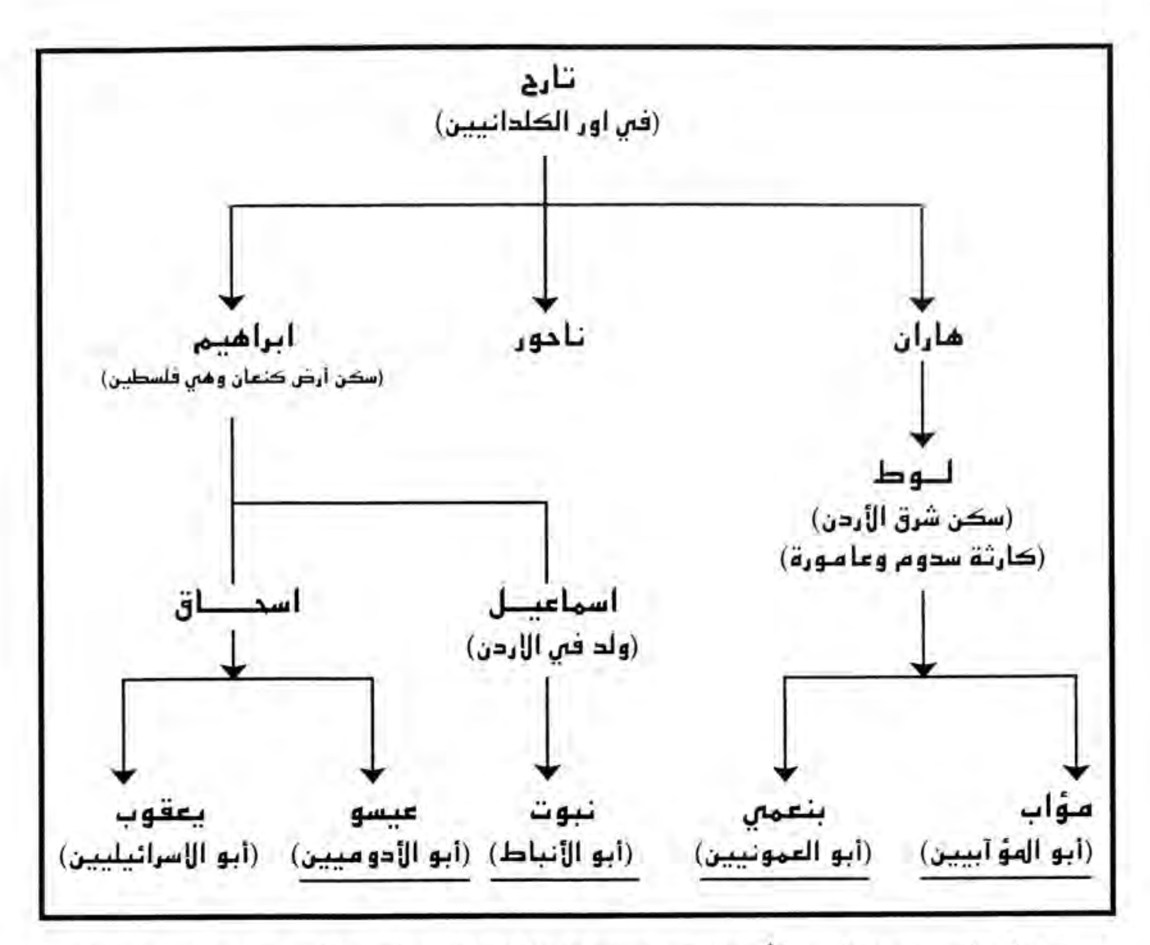
لقد حمل الصراع بين (ايل وبعل) أوجهاً مختلفة متناقضة ومتحدة في آن واحد وجاءت قصة المسيح وصلبه وتضحيته من اجل البشر صورة مكملة لعلاقة (الأب بالأبن) أو (الله والانسان) وطفحت بعد ذلك رموز كثيرة لها علاقة بعقائد الخصب القديمة : مريم وعشتار ، قيامة المسيح وبعث تموز أو البعل ، صلب المسيح ومقتل البعل ، الخبز والنبيذ جسد ودم المسيح الحنطة والعنب علامات باخوس وغيرها كثير .. حتى الصليب كان رمزاً للخصب في اقدم الحضارات الاولى وكانت تحمله آلهات مثل عشتار وبارات وايزيس ... وغيرها .

وسنبدأ أولاً بنظرة سريعة الى المثولوجيا التأريخية التي نضحت من التوراة (العهد القديم) والتي خصت الاردن تحديداً باعتبار ان العهد القديم شكل الخلفية الروحية والتأريخية للمرحلة اللاحقة التي ظهر فيها (العهد الجديد) .

١. المثولوجيا التاريخية للتوراة

ان رحلة النبي ابراهيم من اور الكلدانيين في وادي الرافدين الى أرض كنعان رحلة غامضة اسطورية تحفها الكثير من الأحداث التي تحتاج الى تفسير وتحليل . ومعروف ان ابراهيم بحسب رواية التوراة "ينتمي الى القبائل الآرامية وهي قبائل عربية نزحت من وطنها الاصلي في جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية ، ثم نزلت بعض اسرها الى العراق ومن جملتهم اسرة ابراهيم الخليل ، واذا أخذنا بما توصل اليه العلماء حول تعيين تاريخ هجرة الآراميين فتكون اسرة ابراهيم الخليل قد جاءت الى منطقة بابل في حوالي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد"[١] . ولانريد ان نقرر أصل عائلة ابراهيم وطبيعة الهجرات السامية وأماكن وجودها الأول ، فهذا الأمر محط مناقشة جديدة لا تتفق في نتائجها مع ماكنا نعرفه من معلومات حول الهجرات السامية التي جاءت من جزيرة العرب !؟. ان قراءة النص التوراتي يؤكد أن ابراهيم لم يقم بهذه الرحلة بل قام بها أبوه تارح الذي أخذ معه ابنه ابراهيم وابن اخيه لوط وساراي وكنته وزوجة ابرام ، اذن كانت الهجرة مكونة من أربعة فقط (تارح ، ابرام ، لوط ، ساراي) الذين خرجوا من اور الكلدانيين (ليذهبوا الى أرض كنعان فجاؤوا الى حاران وأقاموا هناك) . ونرى أنهم لم يذهبوا الى (حاران) التي في اعالي الفرات بل الى (حاران التي تقرب من أرض كنعان) كما تقول التوراة ، ولذلك لانرجح احتمال ذهابهم الى (حرّان) المدينة المعروفة شمال سوريا ، بل ذهبوا الى أرض (حوران) التي تقع شمال الاردن وجنوب سوريا .

لقد كانت (حوران) هي المكان المنطقي بين اور الكلدانيين وأرض كنعان وتكاد تقع بينهما على خط شبه مستقيم ، أما (حرّان) فمنطقة بعيدة لاعلاقة لها بمسيرةٍ من هذا النوع . وما يهمنا هنا هو ان عبور ابراهيم نهر الاردن فيما بعد الى أرض كنعان كان انعطافة توراتية تدل على تبدله من آرامي الى عبري .



جدول (٢٠) : يوضح المثولوجيا التأريخية للتوراة . حيث نرى كيفية انحدار شعوب الاردن من نسل مغضوب عليه أو ملعون في رأي كتبة التوراة والأقوام الأربعة المؤشر عليها هي أكبر الأقوام الأردنية

ان هناك من يرى ان ابراهيم قبل عبوره نهر الاردن بقي في حوران "فقد دخل مدينة حران فسكنها مدة وتزوج بنت ملكها سارة ثم هبط بلاد الاردن وهناك قدمت له ساره جاريتها هاجر لعله يأتي منها بولد ، اذا انها كبرت ولم ترزق البنين ، فلما حملت هاجر ووضعت اسماعيل ، اغتنمت سارة ودخلتها الغيرة وطلبت من زوجها ان يحوّل هاجر الي حيث يشاء ، فاوحي اليه ان احمل هاجر واسماعيل الى أرض الحرم . فسار ابراهيم بزوجته وولده الى الحجاز"[٢] .

وما يهمنا هنا ولادة اسماعيل في الاردن ثم رحيله الى الجزيرة ومعروف ان اسماعيل هو أب العرب وهو الذي أنجب عدة أبناء أحدهم كان اسمه نبوت ويقال بأنه (أب الأنباط)

وهنا نشير الى أن الوصمة الأولى هي تهميش اسماعيل ومن ثم ابنائه لانهم أتوا من (جارية سارة) التي ستنجب لاحقاً (اسحاق) .

الوصمة الثانية هي ما يخص النبي لوط ، حيث نشاهد ان اسمه يرتبط بخطيئة اللواط وكارثة سادوم وعامورة ثم بخطيئة مضاجعة ابنتيه له .

سدوم وعمورة

لم يكن البحر الميت في العصر البرونزي كما هو عليه اليوم فقد كان يصل الى شبه جزيرة اللسان فقط أما المنطقة الواقعة جنوب شبه الجزيرة فقد كانت أرضاً خصبة اسمها وادي سديم وكانت بالاضافة الى خصوبتها ومزارعها مليئة بالوحول وفيها عيون اسفلتية كثيرة وكانت تضم خمس مدن عامرة هي (سدوم ، عمورة ، ادمة ، صوبييم ، صوغر) وربما اجتمعت من هذه المدن في مملكة سديم وعاصمتها مدينة سدوم .

خارطة (٨) : البحر الميت قبل كارثة سدوم وعاموره حيث تظهر أهم ثلاث مدن من مملكة سديم

وفي حدود ١٩٠٠ ق.م حدثت كارثة كبرى في هذا الوادي فقد ظهر ما يشبه الزلزال في هذه المنطقة ساعد على أن تنفجر البطن الغازية والبترولية والكبريتية لتربة هذه المنطقة لتحترق المدن الخمس وتتحطم ويحترق سكانها في افجع كارثة حدثت في العصور القديمة ، وقد بقيت ذكرى هذا الحادث الرهيب في نفوس الأجيال اللاحقة حتى صاغ الناس حولها الأساطير والحكايات ولاشك ان السبب الديني كان جاهزاً ليكون علّة هذه الكارثة الجيولوجية .. وهكذا صاغت مخيلة كتبة التوراة اسطورة هلاك سدوم وعاموره وربطوها بالنبي لوط .

ويبدو ان المنطقة بعد الكارثة أصبحت خاوية ومهجورة ، ثم امتد البحر الميت ليغطيها فقد أصبح في مستوى أعلى من هذه المنطقة ولكن هذا الزحف لمياه البحر الميت كان تدريجياً حتى ابتلع المنطقة كلها وقدرت المدن المحطمة تحت هذا البحر ودفن تاريخها ولكن رائحة الاساطير ما زالت تفوح منها .

خارطة (٩) : البحر الميت بعد كارثة سدوم وعامورة حيث تظهر مملكة سديم بأكملها في البحر الميت .

ونرى من أجل الاطلاع الدقيق على اسطورة سدوم وعاموره اننا لابد من ان نذكر النص التوراتي الخاص بها[٢] .

(٢٠) فقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً (٢١) أنزل وأرَى هل فعلوا طِبْقَ صراخها البالغ إلي وإلا فأعلم (٢٢) وانصرف الرجال من هناك ومضوا نحوَ سدوم وبقي ابراهيم واقفاً أمام الرب (٢٣) فتقدم إبراهيم وقال أتهلك البارَّ مع الأثيم . (٢٤) إن وجد خمسون باراً في المدينة أفتهلكها ولاتصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذين فيها . (٢٥) حاش لك أن تصنع مثل هذا أن تهلك البارَّ مع الأثيم فيكون البارُّ كالأثيم . حاش لك . أَدَيَّانُ كُلِّ الأرض لا يدين بالعدل . (٢٦) فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفح عن المكان كُله من أجلهم . (٢٧) فأجاب إبراهيم وقال هآءنَذَا قدْ طَفِقْتُ أتكلَّمُ أمام سيدي وأنا تُرَابٌ وَرَمَادٌ . (٢٨) إن نقص الخمسون باراً خَمسةً أفَتُهْلِكَ جميع المدينة بالخمسة . فقال لا أُهلكُها إن وجدت ثم خمسة وأربعين . (٢٩) ثم عاد أيضاً وكلَّمَهُ فقال إن وُجِدَ هُنَاكَ أَرْبَعون . فقال لا أفعلُ من أجل الأربعينَ . (٣٠) قالَ لا يَثْقُلْ أمامَ سيدي أَن أتكلَّم إن وُجِدَ ثمَّ ثلاثين . (٣١) قال قد استرسلتُ في الكلام أمامَ سيدي . إن وُجِدَ ثمَّ عشرونَ . قالَ لاأُهلكُهُم من أجل العشرينَ . (٣٢) فقالَ لَايَثْقُلْ لدى سيدي أنَ أتكلَّم هذه المرَّةَ فقطْ . إنَ وُجِدَ ثمَّ عشرةٌ . قالَ لاأُهلكُهُم من أجل العشرة (٣٣) ومضى الرَّبُّ عندما فَرَغَ منَ الكلامِ مع إبراهيم ورَجع إبراهيمَ إلى موضعه .

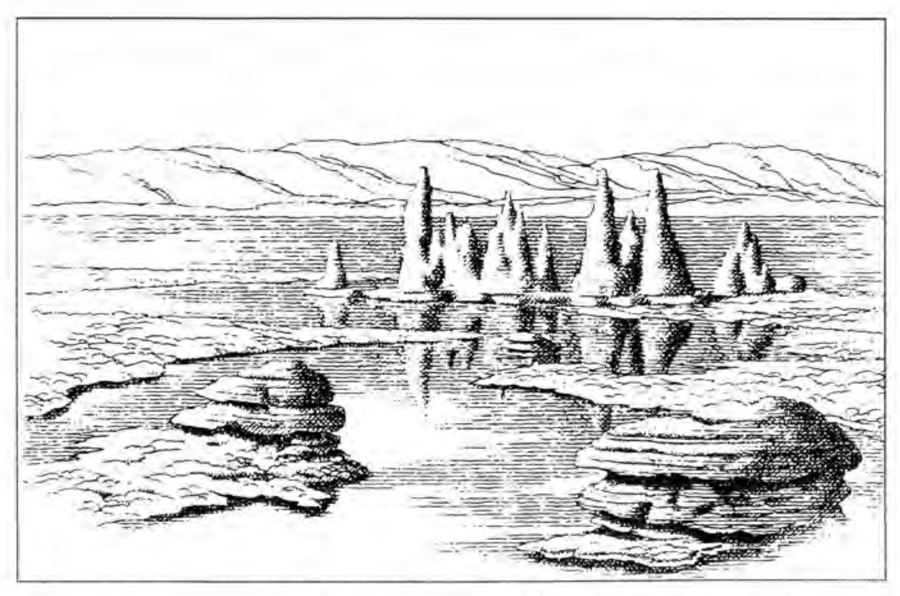
(الفصل التاسع عشر)

(١) فجـآء الملاكان إلى سدومَ عشـآءً وكان لوطٌ جالـساً بباب سـدوم . فلمّا رآهما لوطٌ قامَ للـقآئهما وسـجدَ بوجَهـه إلى الأرض (٢) وقال ياسَـيدَيَّ ميـلا إلى بيت عبدكما وبيتا وَاَغسلا أرجلكمـا . ثمَ تبكران وتَمضيان في سبيلكما . فقالا لا بل فيَ الساحة نبيتُ . (٣) فألـحّ عليهما جداً فمالاَ إليه ودخلاَ منزلهُ . فـصنعَ لهما مأدبةً وخبزاً فَطيـراً فأكلا . (٤) وقَبْلَ أن يضْطَجعا إذا أهلُ المدينة أهلُ سـدوم قد أحاطوا بالبيت من الصبي الى الشيخ جميع القوم إلى آخرهمْ . (٥) فنادَوْا لوطاً وقالوا له أين الرَجلات اللذان قَدمَا إليك في هذه اللـيلة أخرَجَهمـا إلينا حتى نعرفهـما . (٦) فخرجَ إليهم لَوط الَى اَلباب وأغلقَ البـابَ ورآءهُ (٧) وقالَ لاتفعلوا شراً يا إخوتي . (٨) هآءَنَذَا لي ابنتان ما عَرفتا رجلاً أخرجهما إليكم فاصنعوا بهما حسن عندكم وأمّا هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لأنهما دخلا تحت ظلِّ سقفي . (٩) فقالوا تنحَّ من هَنا . ثم قالَوا أيأتي رجلٌ ينزلُ بنا ويحكم عـلينا ، الآن نفعل بكَ أسوأ مما نفعلُ بهـما وألحـوا على لوط جداً وتقـدموا ليكسروا البـاب (١٠) فمدَّ الرجلان أيديهما وأدخـلا لوطاً اليهما الَى البيت وأغلقـا البابَ . (١١) وأمّا القومُ الذينَ علىَ باب البيت فـضرباهم بالعمى من صـغيرهم إلى كبـيرهم فعجـزوا عن أن يجدوا البـاب . (١٢) وقـال الرجـلان للوط من لك أيضـاً ههنا أصـهـارك وبنيك وبناتك وجمـيع من لك في المدينة أخرجهم مَن هذا الموضع (١٣) فـإنا مهلكان هذا الموضعَ إذ قد عَظُمَ صراخـهم أمام الرب وقد بعثنا الرب لنهلك المـدينة . (١٤) فخرج لوطٌ وكلّم أصهاره مـتخذي بناته وقال لهم قومـوا واخرجوا من هذا الموضع لأن الرب مهلك المدينة . فكان كمازح في أعين أصهـاره . (١٥) فلما كان عند طلوع الفجر ألحَّ الملاكان على لوط قائلين قم فخُذ امرأتك وابنتيك الموجودين لئلا تهلك بإثم المدينة . (١٦) فتوانى لوطٌ فأمسك الرجلان بيده وبيد امـرأته وابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجـاه وصيـراه خارج المدينة . (١٧) فلـما أخرجـاهم إلى خارج قـالا له انج بنفسك لا تلتفت الى ورآئك ولا تقف في البُقْة كلهـا وتخلص الى الجبل لئلا تهلك . (١٨) فقال لهما لوطٌ لا ياسيـدي (١٩) إن عبدك قد نال حُظْوَةً في عينيك وعظمت رحمتك التي صنعتها إلي بإحيـاء نفسي إني لا أستطيع التخلصَ إلى الجبل فربما أدركني شر فـأموتُ . (٢٠) ها إن هذه المدينـةَ قريبةٌ للهـرب إليهـا وهي صَغـيرةٌ دعني أتخلصُ إليـها إنما هي صـغيرة فـتحـيا نفـسي . (٢١) فقال له هـآءنذا قدْ

شفعتك في هذا الأمر أيضـاً بأن لا أقلب المدينة التي ذكرتَ . (٢٢) أسرع بالتخلص إلى هناك فإني لا أستطيع أن أصنع شيئاً إلى أن تصـيرَ إليها . لذلك سميت المدينةُ صُوعرَ . (٢٣) وإذا إشرقت الشـمس على الأرض دخل لوطٌ صُوعرَ . (٢٤) وأمطرَ الربُّ على سدوم وعمـورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السـمآء (٢٥) وقلب تلك المدن وكل البُقْعَة وجـميع سكان المـدن وَنَبْتَ الأرض . (٢٦) فالتـفتت امـرأته الى ورآئها فـصارتَ نصب ملح . (٢٧) فبكّر إبراهيم فـي الغد الى الموضع الذي وقفَ فيه أمـامَ الربّ (٢٨) وتطلّع إلى جهة سدوم وعـمورة وسائر أرض البُقْعَة ونظر فإذا دخان الأرض صاعدٌ كدخان الأتونِ .



شكل (١١٩) : قوم سدوم وعامورة يتظاهرون امام بيت لوط



شكل (١٢٠) : البحر الميت حيث تظهر أعمدة الملح المنتصبة والتي تذكر بزوجة لوط في هذه الاسطورة

ونرى أن في هذه الصياغة التوراتية المثولوجية ما يشابه الصياغة الخاصة بالطوفان وما حدث مع نوح . فقد خرج نوح ولوط ومن معهما من كارثة طبيعية زلزالية ، واذا كان نوح قد خرج ليستمر نسله المقدس في سام وليحذف حام ويافث ومعهما كنعان من المشهد القدسي عن طريق وصمهما بخطيئة النظر الى عورة نوح بعد سكره ، فان لوط قد وصم نسله كله بالخطيئة مع ابنتيه لأن في بقاء نسل لوط منافسةً مع نسل ابراهيم الذي كان النسل المقدس يجري منه الى ابنائه ، وليس جميع ابناء ابراهيم بل ما اختاره التوارتيون عن طريق يعقوب (اسرائيل) .

اما النسل المدنس الذي الصقوه بلوط فقد جرّ مثولوجياً كارثتين متتاليتين الأولى دمار مدنه بسبب انحرافهم الجنسي والثانية تشويه نسله بسبب انحراف لوط الجنسي هذه المرة مع ابنتيه .

ويستمر مشهد الحريق والرماد الذي شهدته مدن سدوم في رواية (سترابو) المؤرخ اليوناني الذي عاش في القرن الأول وبعد الميلاد ، ويستمر في رواية (يوسيفوس) في نهاية القرن الأول الميلادي حيث يرى أن مدنهم "أُحرقت بالصواعق نتيجة لفجور أهلها وشرهم وما تزال آثار النيران الالهية الى اليوم مع بقايا خمس مدن مخربة ، والى اليوم ترى الرمال في فواكهها التي يظهر من منظرها الخارجي انها صالحة للأكل . ولكن حين قطفها ومسكها باليد تذوب وتصبح دخاناً ورماداً وهذه القصص عن ارض سدوم قد حققناها باعيننا"(٤) ويرى المؤرخون المسلمون ومنهم ابن كثير ان الآلهة التوراتية الثلاثة الذين قدموا الى لوط هم ملائكة الله (جبرائيل واسرافيل وميكائيل) وهنا تزداد الطبقات المثولوجية على هذه الحكاية .

ونرى فيما نراه ان الباعث اللاواعي لسرد هذه الملحمة الميثوبية عند كتبة التوراة محاولة تدمير نسل لوط الذي سيفوز بأرض كنعان بدليل انه مستمر ، فلوط منجب وامرأته منجبة ، اما ابراهيم الذي مع ساره فكان الى حين رواية هذه القصة مازال في عقمٍ لايعرف سببه (منه أم من زوجته) وكان انقطاع نسل ابراهيم الى ذلك الحين سبباً دفيناً لتشويه نسل لوط ودمغ سيرته بالخطايا والتمهيد لطرده كلياً من المشهد المقدّس لابراهيم ونسله .

بنتا لوط وأصل المؤابيين والعمونيين

يذكر العهد القديم في سفر التكوين ان مؤاب وعمون من أصل واحد من ابيهما فقد ولدت الكبرى ابناً وسمته مؤاب وهو أب المؤابيين ، وولدت الصغرى ابناً وسمته بنعمي وهو ابو بني عمون وسنذكر ما ورد في سفر التكوين حرفياً :(٥)

(٢٩) ولما دمّر الله مدن البُقْعة ذكر الله ابراهيم لوطاً من وسط الانقلاب حين قلب المدن التي كان لوطٌ مقيماً بهاَ . (٣٠) وصعد لوط من صُوعرَ وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه . (٣١) فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجلٌ يدخل علينا على عادة الأرض كلها . (٣٢) تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً . (٣٣) فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة وجآءت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . (٣٤) فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى هآءَنذا ضاجعت أمس أبي فلنسقه خمراً تلك الليلة أيضاًوتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً . (٣٥) فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . (٣٦) فحملت ابنتا لوط من أبيهما (٣٧) وولدت الكبرى ابناً وسمته موآب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم . (٢٨) والصغرى أيضاً ولدت أبناً وسمته بنعمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم .

ويمكننا أن نعدّ هذا التأريخ الميثوبي الذي ذكرته التوراة بمثابة اصلٍ اسطوري لشعبي مؤاب وعمون اللذين قدما من نسل النبي لوط بعد ان ضاجعته ابنتاه .

لقد هرب لوط من خطيئة اقوام سدوم وعاموره بعد ان نزلت فيها كارثة العقاب ، ولكنه دخل مجبراً في خطيئة اخرى ذات طابع جنسي محرّم ، ويبدو هذا الوصم الجنسي الذي تعمده كتبة التوراة لأقوامٍ سكنت وادي الاردن (لوط ، سدوم ، عاموره ، مؤاب ، عمون) بمثابة التهيئة لصراع طويل بين العبرانيين والأقوام الاردنية بعامة . وقد يفسر هذا حقد التوارتيين ومن ثمّ تشويههم المتعمد لهذه الأقوام ولكن هذا لا يمنعنا من النظر الى هذه النبرة الميثوبية (الاسطورية) لأصل شعوب الاردن فقد انطلق هذا التأصيل من أعماق جنسية مشاعية حيث لا تابوهات ولا تحريم وهو ما تحفل به الأقوام البدائية ، وفي ظني ان في مثل هذا ترميزاً لا واعياً لقدم الاستيطان البشري في وادي الاردن ولذاكرة مترسبة عتيقة عن ممارسات جنسية بائدة كانت ذات يوم .

عيسو (آدوم المغتصب حقه)

أما الشعب الاردني الرابع الذي طردته المثولوجيا التأريخية للتوراة الى الهامش فهو عيسو الابن الأكبر لاسحاق : الذي تذكره التوراة كما يلي [٦] :

(٢٠) وكان إسحق ابن أربعين سنة حين تزوج برفقة بنت بتوئيل الأرامي من فدان أرام أخت لابان الأرامي . (٢١) قم دعا إسحق الى الرب لأجل امرأته إذ كانت عاقراً فاستجابه الرب وحملت رفقةُ امرأته . (٢٢) وازدحم الولدان في جوفها فقالت إن كان الأمر هكذا فما لي والحمل ومضت لتسأل الرب . (٢٣) فقال لها الرب إن في جوفك أمّتين ومن أحضائك يتفرع شعبان . شعبٌ يقوى على شعب وكبيرٌ يستعبد لصغير . (٢٤) فلما كملت أيام حملها إذا في جوفها توأمان . (٢٥) فخرج الأول أكلف اللونِ كله كفروة شعر فسموه عيسو . (٢٦) ثم خرج أخوه ويده قابضة على عقب عيسو فَدُعيَ يعقُوب . وكان إسحق ابن ستين سنة حين وُلدا . (٢٧) وكبر الغلامان فكان عيسو رجلاً عارفاً بالصيد برياً ويعقوب رجلاً سلَيماً مقيماً بالخيام . (٢٨) فأحب إسحق عيسو لأنه كان يأكل من صيده ورفقة أحبت يعقوب . (٢٩) وطبخ يعقوب طبيخاً وقدم عيسو من الصحرآء وهو قد أعيا (٣٠) فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمرِ فإني قد أعييت . ولذلك قيل له أدوم .

(٣١) فقال يعقوب بعني اليوم بكريتك . (٣٢) فقال عيسو إنما أنا صائرٌ الى الموت فما لي والبكرية . (٣٣) فقال يعقوب احلف لي اليوم . فحلف له وباع بكريته ليعقوب . (٣٤) فأعطى سعقوب لعيسو خبزاً وطبيخاً من العدس فأكل وشرب وقام ومضى واستخف عيسو بالبكرية .

هكذ وصمّ عيسو بلون أحمر (هذا يذكرنا باللون الأسود لحام) ، وشعر غزير وضخامة في الجسد ، وقد رحل عيسو بعد ذلك الى جبل سعير وتكون منه شعب الادوميين .

وهكذا .. اذا كان المنافسُ ليس من نسل ابراهيم وصم بالخطايا (لوط وابنتاه) واذا كان من نسله ظهر انه (ابن خادمة : اسماعيل ثم أولاده ومنهم نبوت) واذا كان من نسله ومن ساره ظهر انه مشوه اللون والجسم ولايستحق وراثة ابراهيم رغم انه الاكبر (مثل عيسو) .

ويتصادف ان يكون كل هؤلاء أقواماً مجاورة لبني اسرائيل التي تشن عليهم حرب لاهوادة يها لاحقاً . هؤلاء الأقوام هم مادة الاردن القديم وارومته .

موت موسى في جبل نبو

بقي قوم موسى في برية فاران مدة طويلة وكانت آخر محطة لهم قبل دخول الاردن في جوار جبل هور في طرف ارض ادوم حيث مات هارون في السنة الأربعين بعد خروجهم من مصر . ولم يكن بالامكان ان يدخل موسى لأرض فلسطين عن طريق الجهة الغربية ، فقرر دخولها عن طريق شرق الاردن "وكانت في هذه الجبهة خمس ممالك : الأولى مملكة عوج في باشان وهي تبدأ في أقصى الشمال عند حدود جبل حرمون (جبل الشيخ حالياً) وهي بيد الرفائيين والثانية مملكة سيحون في جلعاد وهي بيد العموريين ، والثالثة مملكة عمون وقد استولى عليها العموريون من العمونيين ، والرابعة مملكة مؤاب بيد المؤابيين والخامسة مملكة ادوم بيد بني عيسو ، وقد تم للموسويين الاستيلاء على ثلاث من هذه الممالك ولم يتحرشوا بمملكتي مؤاب وادوم لمناعة تحصيناتهما ، وقد عزت التوراة ذلك الى ما أمر به الرب"[٧] . واذا كانت سيرة موسى تحفل بالالتماعات المثولوجية بدءً من انخراطه في ديانة اخناتون في مصر (عبادة الاله اتون) ومروراً بعصاه السحرية التي ابتلعت الحيات وشقت

النهر ، وذهاباً معه الى عبادة العجل ثم تبنيه لديانة مدين وظهور (يهوا) في رسالته الدينية . وأخيراً في أرض الاردن ورفعه لراية الحيّة للملدوغين ، وعلى جبل (نبو) ميتته الغامضة التي لم تحل اسرارها الى الآن ، وقد حفت بعض الاتهامات بكهنته الذين قاوموا تعاليمه أو بيوشع بن نون الذي يقال بأنه استصحبه الى اعلى الجبل ثم عاد بدونه ليقول بأن الرب قضى بموت موسى .

ان هذه السيرة الاسطورية لموسى والتي تكرسها التوراة وضوحاً أو غموضاً لتشير أيضا الى استمرار التأريخ المثولوجي الذي سيظهر في انحيازاته الواضحة لبني اسرائيل وهم يحتربون مع الشعوب الاردنية القديمة من مؤابيين وعمونيين وادوميين ونبطيين .

بلعام نبي مؤآب

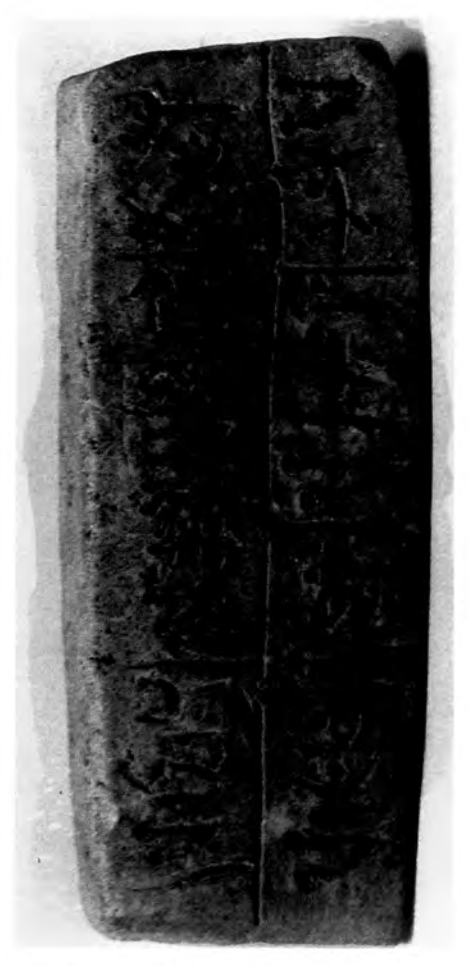
سبق لنا وان ذكرنا النبي بلعام في اكثر من مناسبة وقصته الموجودة في التوراة تشير له بوضوح ولاعماله التقية .

وارتبطت ببلعام مخطوطة آثارية اسمها (مخطوطة دير علا) المصنوعة من الجبس والمكتوبة بالحبر الأحمر والأسود ، وقد كانت على الأرجح مثبتة على جدار المعبد ولغتها ذات صلة بالكنعانية الجنوبية القديمة والآرامية ، والمخطوطة مكتوبة بنموذج النصوص المميزة لشرقي الاردن وتعود الى القرن السابع ق.م . تحكي المخطوطة عن رؤيا ليلية للعراف (بلعام بن بيور) الذي كان يوحى اليه من قبل الآلهة ، والرؤيا تخبر عن اجتماع لمجلس الكهنوت ، حيث عبرت الآلهة بشكل ظاهر وواضح عن عدم رضاها عن الأعمال غير الطبيعية على الأرض ، ويرد ذكر الآلهة في المجلس شاداي والاسم معروف من توراة العهد القديم . أما آلهة روايا بلعام التي بلغت الى شعبه ونقلها المجلس الكهنوتي بامتعاض اليه اسمها مفقود بسبب الكسر في المخطوطة (واخبرت الآلهة لكي تعاقب الأرض) . أما النصف الثاني من المخطوطة غير واضح من المحتمل ان يكون مجموعة من الطقوس والشعائر الدينية التي كانت تقام لاسترضاء الآلهة .

وقد عثر أيضاً في دير عَلاّ على كتابات قديمة لم تحل رموزها من العصر البرونزي المتأخر .



شكل (١٢١) : مخطوطة دير علا للنبي بلعام



شكل (١٢٢) : كتابات قديمة في دير علا غير مقروءة الى الآن

٢ . الاسينيون ومخطوطات البحر الميت

كان الفريسيون يمثلون معتزلة اليهود ، وقد اختاروا طريقاً آخر غير الطريق اليهودي المعروف فاعتزلوا الناس جميعاً في محاولة للحفاظ على التوراة والتلمود وشددوا في نمط خاص من الحياة فيما يخص الطهارة والأطعمة والزواج وغير ذلك .

ويسمى غلاة الفريسيين بـ(الاسينيين) وقد سلك هؤلاء مسلكاً خاصاً وتركوا مخطوطاتهم في مجموعة من كهوف تقع على البحر الميت وسميت (مخطوطات البحر الميت) التي بدأ اكتشافها منذ عام ١٩٤٧ في الاردن وتعد المخطوطات المتعلقة بالعهد القديم أقدم مخطوطات عبرية للتوراة وقد ألقت ضوءاً ساطعاً على تأريخ التوراة وعلى المسيحية في نفس الوقت ، وهذه المخطوطات هي :

١ . مخطوط سفر اشيعا .

٢ . شرح حبقوق الذي يتضمن كلاماً عن (معلم الحق) .

٣ . كتاب النظام وهو مجموعة التوجيهات والطقوس والأنظمة والقوانين المتبعة في اجتماعات الجمعية والسلوك الشخصي للأعضاء .

٤ . سفر لامك وهو ابن ادريس واب نوح .

٥ . حرب ابناء النور على ابناء الظلام : أي الحرب بين اسباط لاوي ويهوذا وبنيامين (ابناء النور) والأدوميم والمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والاغريق (ابناء الظلام) .

٦ . المزامير : عشرون مزمور .

٧ . الملفات النحاسية

٨ . أجزاء من سفر اللاوين والمزامير والترجوم (الترجمة الآرامية لسفر ايوب) والوصايا العشر واجزاء وجذاذات كثيرة من العهد القديم .

٩ . مخطوطات تأريخية .

١٠ . رسائل وعقود وأحجية وسندات وكتابات .

١١ . اجزاء من العهد الجديد واعمال الرسل وغيرها .



خارطة (١٠) : موقع خربة قمران التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت



شكل (١٢٣) : المخطوطات النحاسية

اما المثولوجيا الاسينية أو القمرانية (حسب اسماء الكهوف التي وجدت فيها المخطوطات) فيمكن أن تتلخص بأربعة فروع هي :

أساطير الملف النحاسي

اكتشف هذا الملف في كهوف قمران ، وهو مخطوطة نحاسية في ثلاث صفحات طول كل منها ٨٠ سم وعرضها ٣٠ سم وسمكها (١) سم بالخط العبري المربع "وقد كتبت عليها اغرب مجموعة من الأساطير التي تدل على وجود دفائن قديمة بلغت ستين دفينة مكونة من الذهب والفضة تزيد في وزنها على مئتي طن" [٨] . واسطورة مدافن الذهب والفضة هذه ناقشها الكثير من الباحثين وبعضهم تساءلوا عن معنى اهتمام معتزلة كالاسينيين بها وما هي اسبابه ؛ ورأى البعض الآخر "ان المخطوطة جمعت الأقاصيص الشعبية التي كانت تدور حول الكنوز الدفينة في القرن الاول بعد الميلاد ، وبعبارة اخرى ظهر ان هذه المخطوطة الفريدة العجيبة ما هي الا مجموعة من القصص والنقولات التي تناقلها الناس فجاء الكاتب وجمع خلاصتها"[٩] . وهناك آراء اخرى .

اسطورة حرب النور والظلام

يحتوي هذا النص على تعليمات لادارة الحرب بين أسباط لاوي ويهوذا وبنيامين ، المدعوين بأبناء النور ، وبين الأدوميين والمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والاغريق المدعوين بأبناء الظلام . وهي لا تشير الى حرب حقيقية وقعت بل تشير الى العاقبة ، والى قصة ستظل تدور كذلك فهي "تشير الى الحقيقة القائلة ان الأشرار في الأيام الغابرة تجاهلوا تحذير الاله ولذلك هلكوا ، ويعد النشيد بنصر مؤكد للنور على الظلام وبسحق الملائكة الأشرار ثم يشرق العدل كالشمس ويمتلىء العالم بالمعرفة بينما يهلك الأشرار الى الابد"[١٠]
ان اساطير حرب النور والظلام ذات منشأ فارسي زرادشتي ويحتمل انها جاءت مع الغزو الفارسي للمنطقة وتسربت الى الثقافة اليهودية الاسينية .

أسطورة معلم الحق

ترد في شرح حبقوق اشارة واضحة الى معلم الحق Teacher of Righteoisness وهو يدل على "رئيس الجماعة أو مؤسسها الذي كان على حد زعم أتباعه يملك القدرة على

تفسير النبؤات وكان في الواقع يفسر ماكان غامضا حتى على الأنبياء أنفسهم وقد كان يقاومه ويضطهده بعنف رجل عرف في التفسير بلقب «الكاهن الشرير» وقد بلغ الاضطهاد غايته في حادث جرى يوم عيد الغفران"[11] . وقد نجد صدى تاريخياً لاسطورة معلم الحق لكنها في حقيقة الأمر جوهر روحي يدل على الصراع بين قوة خير منتظرة وقوة فاسدة قاهرة ، وهو أمر درجت الاساطير على تناولها بأشكال مختلفة .

ويبدو ان الاسطورة عرضت بطريقة سردية ودرامية واضيفت لبطليها السابقين (رجل الكذب) و (الواعظ بالكذب) ومجموعة من الناس الحياديين (بيت ابشالوم) و (شعب يهوذا) و (صانعوا الشريعة) واشخاص من الكتيم والكهنة .... الخ

ومعروف ان شخصية (معلم الحق) هذه ذات صلة كبيرة بشخصية السيد المسيح الذي كانت تسميه طائفة الابيونيين اليهودية المسيحية القديمة بـ(نبي الحق) .

الأساطير الغنوصية

دخلت الأساطير والمفاهيم الغنوصية الى مخطوطات البحر الميت عن طريق فكرتين هما (الخلاص عن طريق المعرفة) و (صراع النور والظلام) . وتشدد بعض المزامير القمرانية على الخلاص بالمعرفة حيث نقرأ ما يلي :[12]

بالمشورة الحكيمة سأحجب المعرفة
وبالفطنة العارفة ، سأضع سياجاً حول الحكمة

* * * *

لأفتح بصيرتي من منابع معرفته
عيني رنت الى الحكمة الصحيحة

* * * *

والتي حجبت عن رجل المعرفة
والفطنة الحكيمة عن أبناء البشر

* * * *

مبارك أنت يا الهي
الذي فتحت الى المعرفة قلب خادمك
انت علمت كل المعرفة

أما ثنائية الخير والشر فمرادفه لثنائية النور والظلام والصراع بينهما ، وهي ذات منشأ زرادشتي ، وتظهر كذلك أفكار عن (الأسرار العجيبة) و (اسرار الفهم الالهي) و (اسرار المعرفة) و (اسرار الحكمة) واسماء الملائكة رفائيل وميخائيل وجبرائيل وعبارات عديدة تذكّر بالمثولوجيا الغنوصية .

٣. يوحنا المعمدان (يحيى)

ظهر يوحنا المعمدان في الاردن وكان سبيله الى التعميد ماء الاردن ، وهناك من يرى بأن يوحنا المعمدان هو أسيني قمراني ولكنه اتخذ طريق الجهر والعلن بدلاً من اخفاء التعاليم وتداولها سراً .. وكان يبشر بالمسيح المنتظر ، وقد تمثل هذا النبي شخصية (معلم الحق) ومضى في طريقه الى النهاية .. وقد عمّد المسيح في نهر الاردن وبشره بأنه سيكون صاحب شأن عظيم . وقد عاش المعمدان وبشّر بدياناته في أرض الاردن ومات فيها أيضاً ميتة تراجيدية على أيدي الحاكم الروماني وبتحريض من سالومي وامها .

٤. السيد المسيح

يطول الحديث عن المثولوجيا المرتبطة بظهور السيد المسيح وبسيرته وقد ناقشتها بشكل مباشر او غير مباشر كتب كثيرة وبحوث كثيره لانريد أن نتفصل فيها هذه العجالة . ولكننا نشير الى ان السيد المسيح صعد من بحر الجليل الى مدينة الجرجاسيين (ام قيس) وفيها شفى احد المجانين الذي كان يحمل أربعة شياطين فطرد الشياطين منه وسحبهم ووضعهم في سرب من الخنازير البرية فهاجت الخنازير وولت شاردة وشفي المجنون وخرج ينادي في المدن العشر بما صنعه يسوع اليه وكان الجميع لايصدقون ما حصل .



شكل (١٢٤) : تخطيط لوجه السيد المسيح على طبق فخاري / جرش



شكل (١٢٥) : صليب على طبق فخاري / جرش



شكل (١٢٦) السمكة : رمز مسيحي تداوله المسيحيون الأوائل ليستدلوا به على بعضهم / متحف عمان

هذه المعجزة للسيد المسيح حصلت في واحدة من مدن الاردن لكن المدن العشر التي كان اغلبها في الاردن صارت فيما بعد مهداً لانتشار المسيحية الى العالم ولاختلاطها الصميم بالثقافة الهيلينية واكتسابها صفة عالمية وكان عماد الثقافة اليونانية آنذاك الأساطير والفلسفة .

٥. أهل الكهف

هناك مدرستان في تفسير اسطورة أهل الكهف ، الاولى ترى ان مكان أهل الكهف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم هو مدينة افسوس في غربي آسيا الصغرى في جبل أحمر في القسطنطينية . وهذه المدرسة في أساسها مسيحية وقد ايدها مجموعة من المؤرخين المسلمين كالطبري أما المدرسة الثانية الاسلامية فقد رأت ان مكان أهل الكهف في شرقي الاردن بالقرب من عمان . وقد طرح ابو عبد الله البشاري المقدسي هذا الرأي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وذهب معه كثيرون الى هذا الرأي .

نقرأ في القرآن الكريم ما يلي :[١٢]

«أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانو من آياتنا عجبا * اذا آوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم في الكهف سنيناً عدداً * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا * نحنُ نقصُ عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » .

وفي صدد البحث عن مكان أهل الكهف تذكر دائرة المعارف الاسلامية ان الغرب يسميهم (نوام افسوس السبعة) ويورد الطبري قصتهم على انها جرت في مدينة من مدن الروم (اليونان أو آسيا الصغرى) . في عهد الملك دافيوس أو دقيانوس وخلاصتها ان عددا من الفتية في هذه المدينة اعتنقوا المسيحية ونبذوا عبادة الأوثان فلما كشف امرهم فروا من هذه المدينة الى كهف وكان معهم كلب عجزوا عن ابعاده وناموا في هذا الكهف وتبعهم جنود الملك فلما لم يستطيعوا دخول الكهف بنى عليهم الملك باب الكهف ليموتوا جوعا وعطشا ونسي الناس امرهم ، وذات يوم حاول الرعاة فتح باب الكهف ليجعلوه حظيرة لغنمهم ، فلما دخلوا اليه وجدوا الفتيان نائمين فاستيقظوا مرعوبين من خطر ملاحقة الجنود لهم ، ثم بعثوا أحدهم الى المدينة ليشتري لهم طعاما ولم يعرف البائع النقود التي معه فقاده الى الملك فعرف انه وأصحابه ناموا ثلاثمائة سنة وتسعاً وان الوثنية انقرضت خلالها وحلّت المسيحية ففرح الملك بأصحاب الكهف ولم يكد الفتى يعود الى الكهف ثانية حتى ضرب الله على آذانهم مرة اخرى فشيدوا في ذلك المكان كنيسة [١٢] .

وفي رواية اخرى تنسب الى وهب بن منبه ذكرها الطبري ايضاً تتحدث عن بداية مختلفة وهي ان احد حواريي السيد المسيح جاء الى مدينة فوجد على بابها صنماً لا بد ان يسجد له فلم يدخلها لكي لا يسجد ، ولجأ الى حمام قريب من المدينة فعمل فيه وبشر بالمسيحية فتبعه فتية ، وذات يوم جاء ابن الملك مع امرأة الى الحمام وغيرهما الحواري لمرتين .. وحصل أن ماتا في الحمام فعرف الملك وطلب صاحب الحمام فلما لم يجده قال من كان يصحبه ؟ فذكر له الفتية فطلبهم الى الكهف مع صاحب لهم وتبعهم كلبهم أيضاً ثم تأتي بقية القصة .

وقد حاول جون كوخ أن يرجع هذه القصة الى أساطير قديمة ، وتحيّر كثيرون في كلمة (الرقيم) المرافقة لكلمة (الكهف) فرأى بعضهم ان الرقيم اسم الكلب ، وذهب آخرون الى ان الرقيم هو اللوح الذي نقشت عليه قصة أصحاب الكهف اما جغرافيو العرب فيرون ان الرقيم اسم مكان ، فابن خرداذبه مثلاً يقول ان الكهف الذي كانت فيه الجثث اسمه الرقيم وان قصة اصحاب الكهف حدثت في افسوس ، اما المقدسي فيرى ان الثلاثة عشر رجلاً الذين وجدت جثثهم في الكهف كانوا أصحاب الكهف ويروي ان الرقيم هي جهة في شرقي الأردن قريبة من عمان ، ويقال ان هذه الجهة كانت مسرحاً لحادث شاذ حدث لثلاثة من الرجال ، وقد زار الكهف الذي كان فيها كليرمون جانو Clermon Gannean وهو يرى ان هذه الجهة هي التي جاء ذكرها في القرآن .

ونرى ان ذكر (الرقيم) هو دليلنا على أن سكان أهل الكهف هو كهف في شرقي الاردن لأن الاسم العربي لمدينة البتراء هو (الرقيم) وفي ذلك يقول الدكتور احسان عباس "بترا هو الاسم الذي يطلقه الكتاب الكلاسيكيون على عاصمة الانباط ومعناه الصخرة ويربط بعضهم بينه وبين لفظة (سلع) وتعني الصخرة ايضاً ، ولكن ورد في النقوش وغيرها ما يدل على ان الرقيم هو الاسم العربي لتلك المدينة"[١٤] . ويرى الكثيرون ومنهم جانو ومحمود العابدي ان الكهف في عمان "بعد القويسمة بكيلومتر واحد وقبل ان تقطع خط سكة الحديد في منطقة ام الحيران تتجه نحو الشرق حتى تصل الى قرية أبو علندة وبينهما وبين قرية الرجيب سفح صخري تكثر فيه الكهوف الاصطناعية ، والكهف مقبرة من أوائل العصر المسيحي .. يوصل اليه بطريق روماني قادم من عمان ، وقريب الرجيب للشرق منه ، وتشبه آثارها أثار مادبا ولو على مقياس أضيق"[١٥] .

ويرى البعض ان كلمة (الرجيب) هي تصحيف لكلمة (الرقيم) .. وقد احترم المسلمون كهف الرجيب ودفنوا فيه موتاهم .

وتظهر على واجهة الكهف الشرقي زخارف منها النجمة الثمانية التي تذكر بنجمة تليلات الغسول الضاربة في القدم .



شكل (١٢٧) : واجهة الكهف بعد ترميمه وتظهر في الصورة انقاض المسجد القديم فوق الكهف وهو المسجد الوارد ذكره في القرآن الكريم



شكل (١٢٨) : اللوحة المعلقة على الكهف

٦. مثولوجيا الكنائس الأردنية القديمة
(مثولوجيا الفسيفساء)

تسربت الى اللوحات الجدارية وفسيفساء الكنائس مجموعة كبيرة من الرموز والصور والاشارات المثولوجية اليونانية الرومانية ، وبذلك اشرت تلاحم الأساطير والمثولوجيات المتتالية على المنطقة . ويمكننا حسب هذا الوصف التقاط أهم عناصر هذه المثولوجيات الكنائسية وكما يلي :

١) **كنيسة القديس ثودورس الشهيد في مادبا** ، حيث نلاحظ في الفرشة الكبرى والوسطى من الفسيفساء حيث تمثل مثمنات الزاوية المشتلكة تشخيصات لأنهار الفردوس الأربعة المذكورة في سفر التكوين وهي جيحون وفيشون والفرات ودجلة .

٢) **كنيسة العذراء وردهة هيبوليتس في مادبا** ، حيث نشاهد في فسيفساء الأرضية في ردهة هيبوليتس حيث نشاهد مجموعة من اللوخات المثولوجية وهي كما يلي :[١٦]

١. **اسطورة الفصول الأربعة :** حيث صورت الفصول الأربعة على شكل الهات الخصب والحظ تايكي وعلى رأس كل منهن الاكليل المسنن على شكل برج وتحمل الهة الربيع في يدها اليسرى قرن الخصب الذي اشتهرت به تايكي تخرج منه الأزهار والخريف قرن خصب مليء بالفواكة ، والصيف حزمة سنابل والشتاء قرن خصب ينسكب منه الماء وواضح ما لهذه النباتات والمياه من دلالات فالربيع هو فصل الزهور والخريف فصل الفاكهة والصيف فصل سنابل القمح والشتاء فصل المطر .

٢. **اسطورة فيدرا وهيبوليتس :** وهي من أشهر الأساطير اليونانية التي اخذت فيما بعد طابع الحكاية والدراما . فقد كتبها يوربيدس مسرحية يونانية وكتبها سنيكا مسرحية رومانية ، وفي الصورة الفسيفسائية نشاهد الجواري وهي تساعد فيدرا بينما ترنو المربية الى هيبوليتس بين حاشيته وامامه خادم ممسك برسن الفرس ، وترتدي الجاريتان رداء وملاءة من غير اكمام وشعرهما مصفف في شبكة وأما فيدرا فقد تحلت بالحلى : حلق وسلسلة وعقد من ايقونة وفي اليد اليسرى سوار وعلى رأسها تاج مرصع بحجر كريم .

وترتدي الملكة رداءً وملاءة من غير أكمام ، أما الصياد ذو اللحية فيحمل في يده اليسرى صقراً على أهبة الانطلاق . ولم يبق من المربية سوى الاسم والشعر المسدول اما السائس فشعره مصفف ويقرأ اسم هيبولينس في أعلى اللوحة ، يتوسطه رمح ومن الفرس بقي الرسن في يد السائس .



شكل (١٢٩) : فسيفساء أرضية هيبوليتس في كنيسة العذراء في مادبا وتظهر في الأعلى الهات المدن الثلاثة وفي الوسط اسطورة ادونيس وافروديت وفي الاسفل اسطورة هيبوليتس وفيدرا

وتعبر هذه اللوحة عن قلق فيدرا العليلة بالحب والمحاطة بجواريها حيث تستمع الى المهمة التي قامت بها المربية الجريئة لدي هيبوليتس حبيبها لاقناعه بالعودة الى حبيبها . وستبدو لنا الاسطورة القادمة ذات علاقة بهذه اللوحة من خلال اسماء الهات النعم وتشير الوحوش البحرية في حزام اللوحة الى النهاية المأسوية لاسطورة هيبوليت بعد ان لعنه أبوه وقتل بالخيل التي جفلت امام ظهور (نبتون) اله البحر المفاجىء .

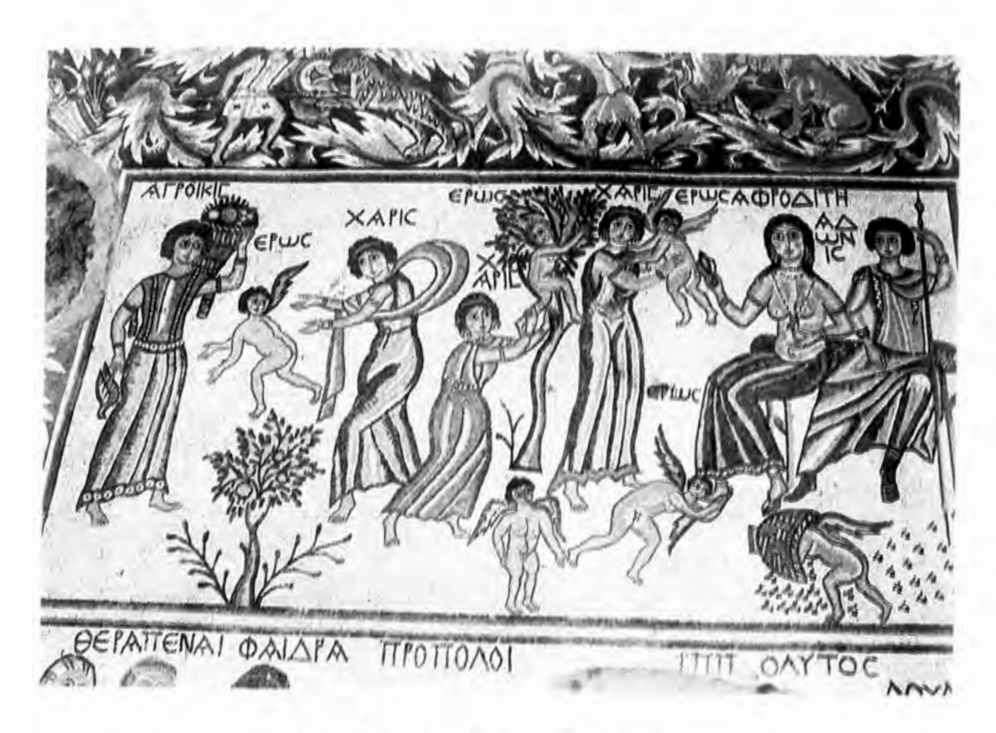


شكل (١٣٠) : تفصيل الجزء الأيسر من لوحة هيبوليتس وفيدرا حيث يظهر من اليمين الصائد وفيدرا حيث يظهر من اليمين الصائد وفيدرا وثيرابيناي

٣. اسطورة ادونيس وافروديت : في اللوحة الوسطية تظهر افروديت جالسة على العرش وجنبها أدونيس وهي تهدد بصندلها اله الحب المجنح (ايروس) الذي تعرضه لها (نعمه) ، وهناك ايروس ثاني يمسك بقدمها الحافية بينما الثالث يراقب المشهد والرابع يهتم بتفريغ سلة من الزهور . أما (نعمه) الثانية فتمسك بقدمي (ايروس) الذي لجأ الى أغصان شجرة وهناك (نعمة) الثالثة تحاول اللحاق بـ(ايروس) رابع ، وتراقب المشهد احدى الفلاحات شعرها المجدل المسدول على الكتفين وفي يدها زهرة .

ويظهر ادونيس الجالس على العرش جنب افروديت وهو يمسك بيده اليسرى رمحاً ويرتدى ملاءة بأكمام طويلة مزينة بشبه بطرشيل ورداء مغلقاً عند الصدر بشاكلة وفي قدميه حذاء أنيق

أما اسماء الهات (النعم) الثلاث فهن اكلايا ، يوفروسين وتاليا ، ولاشك ان هذه الاسطورة تصور ماكان يستمتع به افروديت وأدونيس من حب ولذة ، ولنا ان نتساءل كيف قفزت هذه الاسطورة الكنعانية الاصل اليونانية الصياغة الى كنيسة مسيحية ، وهل كان دورها تزيينياً فقط ..؟



شكل (١٣١) : اسطورة ادونيس وافروديت



شكل (١٣٢) : أدونيس وافروديت تهدد بصندلها ايروس

٤. آلهات المدن الثلاثة : القسم العلوي من هذه الفسيفساء الأرضية يضمّ صور الهات المدن الثلاثة (روما وغريغوريا ومادبا) اللائي يرتدين ملاءة مزينة بشبه بطرشيلات ومغطاة برداء مربوط بشاكله على الصدر وعلى رأس كل من مادبا وغريغوريا تاج تايكي ذي الابراج . اما روما فعلى رأسها قبعة تشبه الخوذة وتحمل غريغوريا في يسراها سلة زهور ، وروما قرنَ الخصب وفيه ثمار من اجاص ورمان ، واضيفت الى جانب ثمار قرن خصب مادبا سنبلتان ناضجتان من القمح . (انظر لوحة الفصل السابع) .

٣) كنيسة الرسل : يظهر في وسط صحن الكنيسة رسم فسيفسائي ملفت للنظر فهو يشخص الهة البحر (ثالاسا Thalasa) وهي الالهة اليونانية (ثيتس) على شكل امرأة خارجة من الأمواج وصدرها غير مغطى وهي ترفع يدها اليمنى وتحيط بها اسماك سابحة وسمكتان من القرش ذي الفكين المنشاريين ، ويحيط بها حزام كتابي كتبت عليه العبارة التالية (ايها الرب الاله ، الذي صنع السماء والأرض ، هب الحياة لانستاس وتوما وثيودورس وسلمانيوس رب الفن) .



شكل (١٢٣) : الهة البحر ثيتس خارجه من الأمواج

وتعكس هذه الأسطورة استمرار تداول وظهور الاساطير اليونانية في الفترة المسيحية او الاستفادة من عناصره لاغراض مسيحية تبين عظمة الخالق وقدرته .

٤) فسيفساء بيت فريد المصري وتحتوي على مشهدين اسطوريين :

١- **المشهد الباخوسي** : الذي يتضمن مشهداً اباحياً لثلاثة من الاشخاص هم (اردياتة ، بانخيه ، ساتيروس) ولم يبق منه سوى بانخيه وساتيروس وهما راقصتان وعلى الأرجح ان تكون ساتيروس ممثلة للساتير الباخوسي (الماعز) الذين كانوا يرافقون باخوس . حيث يظهر لها عضو ذكري وهي ترقص بغنج .

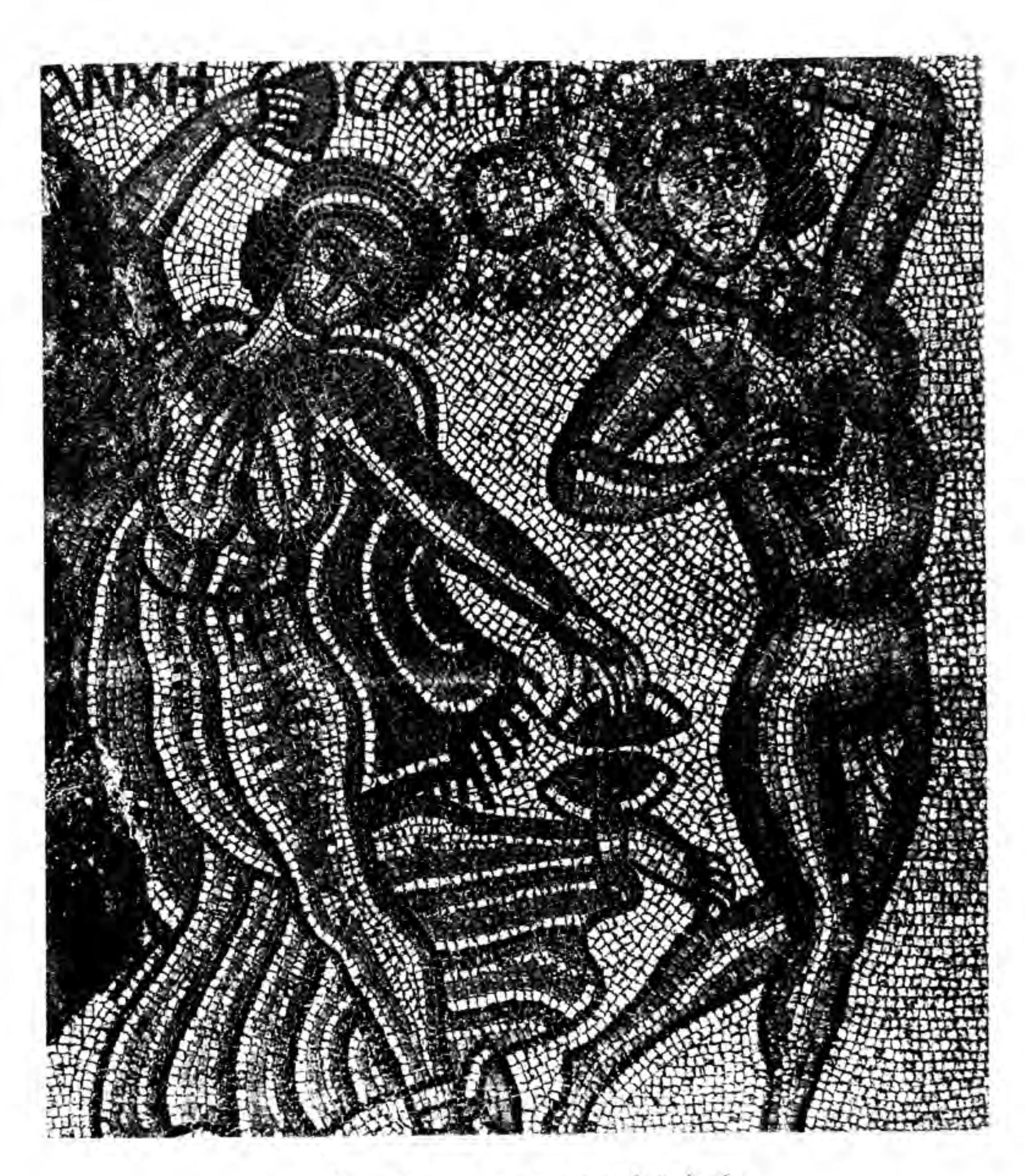
٢- **اخيل وايرا** : وهو مشهد لشابين عاريين واقفين وعلى كتفهما رداء ومحتذيين حذاء تشير كتابة فوقهما الى انهما أخيل (Achilles) وهو بطل الالياذة و باطروقليس) الذي يتكيء يساراً على حربة يمسكها بيده اليمنى اسمها اوبرا Eubre وهي رافعة يدها اليمنى تقدم بها زهرة وبيدها اليسرى ترفع خجلة طرف ردائها الطويل وطفلان صغيران مجنحان وهما تشخيص للحب (ايروس) يصنعان اكليلاً على رأسها وبين اخيلس واوبرا ادمجت شجرة محملة ثماراً .

٣- **ساتيروس يضرب على المزمار** : ويلحقه شخص يرتدي رداءً طويلاً وبقي منه الذراع اليسرى مع جرس صغير في يده ثم تتراءى ساقان عاريتان لشخص ثالث (ساتيروس) وبين الجدولين على مستوى الايروسيين كان قد صور وحش يتجه نحو اليمين ، بقي منه القائمتان الأماميتان ، لعله النمرة التي ترافق عادة صورة ديونيزيوس .

٤- **هرقل وهو يصارع الأسد نيموس** : ونرى فيها شاباً شبه عاري يخنق شبلاً فوقه عن اليسار مطرقه وعن اليمين اسم هرقل .

(وهذه اللوحة محفوظة الآن في كنيسة الرسل) .

٥- **المرأة المستلقية والاله (قوموس** Comus) **شيطان او اله المآدب** : وهي لوحة ممحوة الآن نشر لها صورة فوتوغرافية عام ١٨٩٢ الأب سيجورني التقطت في الزاوية الشمالية الغربية من مدينة مادبا . وهي صورة امرأة مستلقية عارية الصدر يغطي سائر جسمها ثوب ضاف وقد اتكأت على ذراعيها اليسرى ورفعت يدها اليمنى الى جبينها .



شكل (١٣٤) : انخية وساتريوس في مشهد باخوسي

هوامش الفصل السابع

١ . سوسه ، أحمد : "مفصل العرب واليهود في التأريخ" العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ط٤ . دمشق ١٩٧٥ ص ٤٣٦ .

٢ . الحوت ، محمد سليم : "في طريق المثولوجيا عند العرب" ص ٢٤ .

٣ . العهد القديم سفر التكوين - فصل ١٨ (٢٠ - ٣٢) فصل ١٩ (١ - ٢٩)

٤ . زهران ، ياسمين : "اصداء من تاريخ الاردن" الناشر يوسف بحوث وشركاه . دار الكتب . المطبعة الوطنية - عمان بلا تأريخ ص ١٩ .

٥ . العهد القديم سفر التكوين - فصل ١٩ (٢٩ - ٣٨) .

٦ . المرجع السابق . فصل ٢٥ (٢٠ - ٣٤) .

٧ . سوسة ، أحمد : "مفصل العرب واليهود في التأريخ" ص ٤٩٠ .

٨ . العبادي ، محمود : "مخطوطات البحر الميت" منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان ١٩٦٧ . ص ١٥١ .

٩ . المرجع السابق ص ١٥٣ .

١٠ . المرجع السابق ص ٢٦٦ .

١١ . المرجع السابق ص ٧٧

١٢ . ارجع لسورة الكهف في القرآن الكريم الآية (٨ - ٢٦) .

١٣ . ڤنسنك ، أ.ج : "أصحاب الكهف" دائرة المعارف الاسلامية . حـ٣ . دار الشعب ، القاهرة ص٤٥٥ .

١٤ . عباس ، احسان : "تأريخ دولة الأنباط" دار الشروق للنشر والتوزيع ط١ . عمان ١٩٨٧ ص١٧ .

١٥ . العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" ص٦١ .

١٦ . انظر كتاب الاب ميشيل بيشريللو :

Piccirillo, Michele : "The Mosaics of Jordan"
American center of oriental research, Amman, Jordan. 1993

وترجمته العربية :

بيشريللو ، ميشيل "مادبا كنائس وفسيفساء"

ترجمة ميشيل صباح ، جورج سابا ، انطوان عيسى .

معهد الفرنسيسكان للأثار . المجموعة الكبرى . الرقم ٣٤ ، القدس ، ١٩٩٣ .

المصادر والمراجع

المصادر

١ . القرآن الكريم .

٢ . الكتاب المقدس - العهد القديم والعهد الجديد -

المراجع العربية

١ . ابراهيم ، زكريا : "مشكلة البنية" . منشورات مكتبة مصر ، القاهرة ب.ت .

٢ . ابو دية ، عبد السميع علي أحمد : "دراسة في فن النحت بعمون ما بن ٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م" رسالة ماجستير باشراف د . محمد خير ياسين و ا.د عدنان الحديد ، كلية الآداب قسم الآثار الجامعة الاردنية . ١٩٧٨ (مخطوطة) .

٣ . ابو طالب ، محمود : "آثار الاردن وفلسطين في العصور القديمة" منشورات وزارة الثقافة والشباب . ط١ عمان ١٩٨٥ .

٤ . بدج ، والس : "الديانة الفرعونية" ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف . منشورات دار منارات . عمان ١٩٨٥ .

٥ . بشور ، وديع : "المثولوجيا السورية اساطير آرام" ط٢ ١٩٨٩ .

٦ . بيشريللو ، ميشيل : "مادبا كنائس وفسيفساء" ترجمة ميشيل صباح ، جورج سابا ، انطوان عيسى . معهد الفرنسيسكان للآثار . المجموعة الكبرى الرقم ٣٤ ، القدس ، ١٩٩٣ .

٧ . تيزيني ، الطيب : "الفكر العرب في بواكيره الاولى" ج٢ . دار دمشق ط١ ١٩٨٢ .

٨ . حسن ، حسين الحاج : "الاسطورة عند العرب في الجاهلية" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ط١ ١٩٨٨ .

٩ . الحوت ، محمد سليم : "في طريق المثولوجيا عند العرب" مطبعة دار الكتب . ط١ بيروت ١٩٥٥ .

١٠ . خان ، عبد المعيد : "الأساطير والخرافات عند العرب" دار الحداثة ط٣ بيروت ١٩٨٧ .

١١ . الجابري ، محمد عابد : "بنية العقل العربي" مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ بيروت ١٩٨٧ .

١٢ . الياد ، مرسيا : "المقدس والنيوي" ترجمة نهاد خياطة ، العربي للطباعة والنشر ط١ دمشق ١٩٨٧ .

١٣ . الدباغ ، تقي . الجادر ، وليد : "عصور ما قبل التاريخ" وزارة التعليم العالي . جامعة بغداد . بغداد ١٩٨٣ .

١٤ . دريوتون ، اتيين : "المسرح المصري القديم" ترجمة وتقديم الدكتور ثروت عكاشه . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ . القاهرة ١٩٨٨ .

١٥ . زهدي ، بشير : "تيكه وتماثيلها في المتحف الوطني بدمشق" . مجلة الحوليات الاثرية السورية . مجلد ١٦ , ١٩٦٦ .

١٦ . أبو زيد ، حامد : "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي" مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام . الكويت العدد (٣) المجلد (١٦) ، ١٩٨٥ .

١٧ . زيل ، أ.هـ . فان : "المؤابيون" تعريب واعداد د . خير ياسين . نشر الجامعة الاردنية سلسلة تأريخ الاردن . عمان ١٩٩٠ .

١٨ . السواح ، فراس : "دين الانسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني" منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ .

: "لغز عشتار" – سومر للدراسات والنشر . قبرص نيقوسيا – دار غربال ، دمشق ط٢ ١٩٨٦ .

: "مغامرة العقل الاولى" سومر للدراسات والنشر ، قبرص – نيقوسيا – ط٦ ١٩٨٦ .

١٩ . سوسه ، أحمد : "مفصل العرب واليهود في التاريخ" العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة – ط٤ دمشق ١٩٧٥ .

٢٠ . صالح ، عبد المحسن : "التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان" . منشورات عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨١ .

٢١ . طوقان ، فواز : "دراسة عن اللغة المؤابية وترجمة نقش الملك ميشع" حولية الاثار الاردنية . رقم (١٥) ١٩٧٠ .

٢٢ . العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" منشورات أمانة عمان . ط١ ١٩٧١

: مخطوطات البحر الميت" منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان ١٩٦٧ .

٢٣ . عباس ، احسان : "تأريخ دولة الأنباط" دار الشروق للنشر والتوزيع ط١ . عمان ١٩٨٧ .

٢٤ . عجينة ، محمد : "موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها" دار الفارابي . بيروت ط١ ١٩٩٤ .

٢٥ . علي ، جواد : "تأريخ العرب قبل الاسلام" ج٣ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣ .

٢٦ . عويس ، ايمان : "مدفن بيزنطي في جرش" حولية دائرة الآثار العامة. المجلد ٢٩ ، عمان ١٩٨٥ .

٢٧ . غارودي ، روجيه : "فلسطين أرض الرسالات السماوية" ترجمة قصي أتاسي ، وميشيل واكيم . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . ط١ ١٩٨٨ .

٢٨ . غيربر ، هـ.أ : "أساطير الاغريق والرومان" ترجمة حسني فريز . منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٧٦ .

٢٩ . الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمل غرب الجزيرة العربية" ط١ . الرياض ١٩٩٤ .

٣٠ . فرانكفورت ، هـ . فرانكفورت هـ.أ وآخرون : "ماقبل الفلسفة" ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٣ . بيروت ١٩٨٢ .

٣١ . القمني ، سيد محمود : "الاسطورة والتراث" دار سينا للنشر ط٢ القاهرة ١٩٩٣ .

٣٢ . فروم ، أريك : "اللغة المنسية" ترجمة د . حسن قبيسي ، منشورات المركز الثقافي العربي ط١ ، بيروت ١٩٩٢ .

٣٣ . ڤنسنك ، أ.جـ : "أصحاب الكهف" دائرة المعارف الاسلامية . ط٣ . دار الشعب . القاهرة

٣٤ . كريمر ، صموئيل نوح : "طقوس الجنس المقدس عند السومريين" ترجمة نهاد خياطة دار الغربال ط١ . دمشق ١٩٨٦ .

٣٥ . كفافي ، زيدان : "الاردن في العصور الحجرية" مؤسسة آل البيت ، عمان ١٩٩٠ .

٣٦ . ابن الكلبي : "كتاب الأصنام" . تحقيق أحمد زكي . القاهرة ١٩٦٠ .

٣٧ . كوفان ، جاك : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" ترجمة د . سلطان محيسن . دار دمشق للطباعة ، ط١ ١٩٨٨ .

٣٨ . الماجدي ، خزعل : "بيان أول للحداثة ميتاجماليا الشعر" مجلة المهد . دار المهد للنشر والتوزيع . عمان ، العدد (٩ ، ١٠) السنة ٣ ، ١٩٨٦ .

٣٩ . مقار ، شفيق : "قراءة سياسية للتوارة" منشورات رياض الريس للكتب والنشر ١٩٨٧ .

٤٠ . ميلارت ، جيمس : "أقدم الحضارات في الشرق الادنى" . ترجمة محمد طالب تدقيق وتقديم الدكتور طالب محيسن . دار دمشق للطباعة والنشر ط١ ، دمشق ١٩٩٠ .

٤١ . هاردنج . لانكستر : "آثار الاردن" . ترجمة سليمان موسى ، وزارة السياحة والآثار في الاردن ، عمان ، ط٢ ، ١٩٧١ .

٤٢ . وافي . علي عبد الواحد : "الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي" . دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٠.

٤٣ . اليازجي . ندره : "مدخل الى المبدأ الكلي" . منشورات دار الغربال دمشق . المنشورات الجامعة . طرابلس ١٩٨٤ .

٤٤ . ياسين ، خير نمر : "الادوميون" . الجامعة الاردنية . عمان ١٩٩٤ .

٤٥ . يونس ، عبد المجيد : "الفولكلور والمثولوجيا" مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام . الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ .

المراجع الأجنبية

1. Bienkowski, piotr : "The Art of Jordan" . Alan Sutton pubishing Ltd, 1991 .

2. Landes, George Miller : "A History of the Ammonites" Betimore, Maryland, 1956

3. Larousse Encyclopedia of mythology, premetheus press. New York 1995

4. Larringtn, Carolyne : "The Feminist Companion to Mythology" pandera press, London 1992 .

5. Pircirillo, Michele : "The Mosaics of Jordan" American center of oriental reserach Center, Amman, Jordan, 1993

6. Stern, Ephraim, Ayelet lewinson-gilbu , Joseph Aviram "The new encyclepedia of archeological excavations in the Holy land . Vol. 2 the Isreal exploration society, Carta, Jerusalem 1993 .

7. Walker, Barbara G : "The women's encyclopedia of myths and secrets" Harper , Sanfrancisco, 1983.